الجـــزء الرابع عشر

٧٩٦ع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

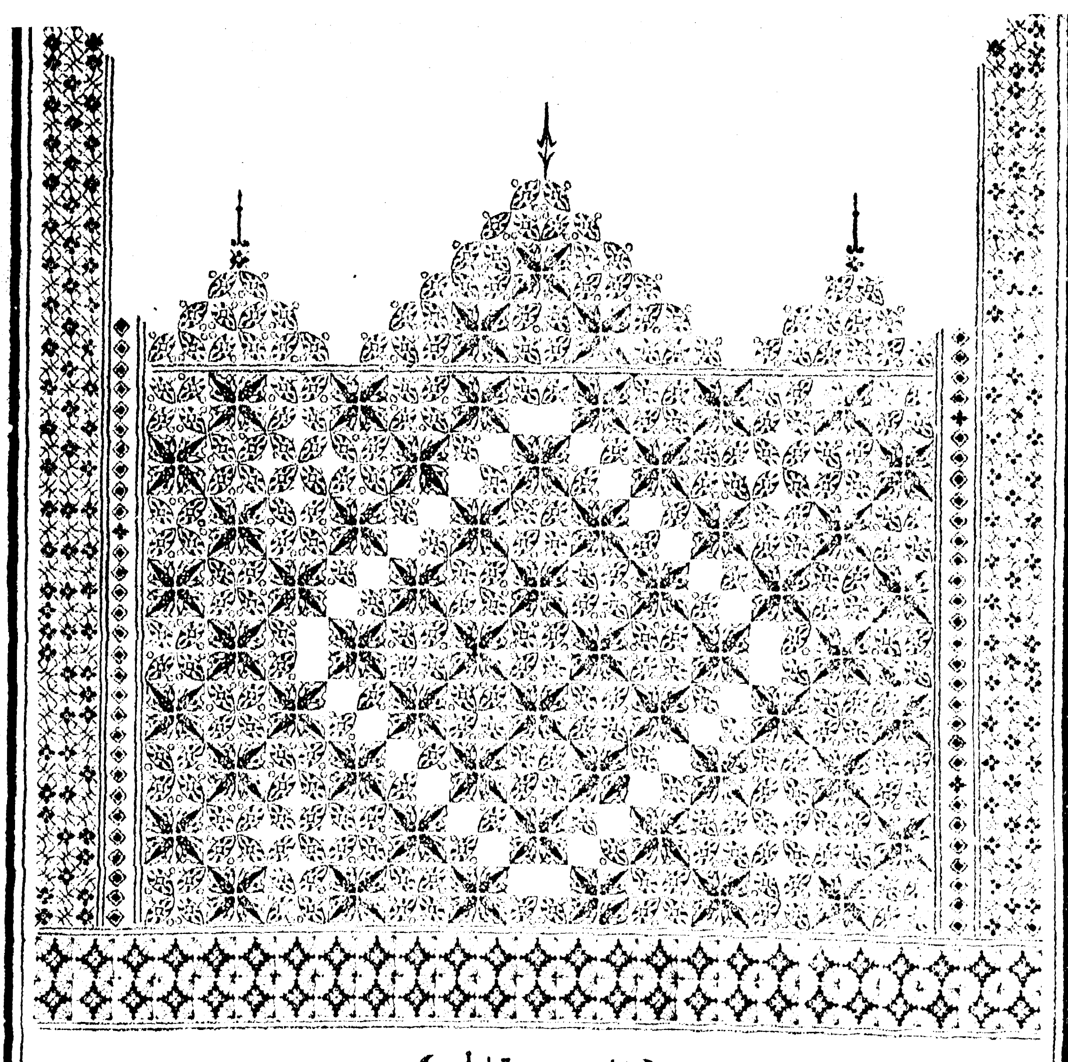
﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الاولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه
سـنة ١٣٢٨ هجريه



﴿ تفسير سورة الحجر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ أما قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه الر فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل وأما قوله تلك آيات الكتاب فانه يعنى هذه الآيات آيات الكتب التى كانت قبل القرآن كالتوراة والانجيل وقرآن يقول وآيات قرآن مبين يقول يبين من تأمله وتدبره رشده وهداه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن مبين قال تبين والله هداه ورشده وخيره حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد الر فواتح يفتتح بها كلامه تلك آيات الكتاب قال التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله الر تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ربما فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ربما بتخفيف الباء وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب واختلف أهل العربية فى معنى ما التى مع رب فقال بعض نحويى البصرة أدخل مع رب ما ليتكلم بالفعل بعدها وان شئت جعلت ما بمنزلة شئ فكأنك قلت رب شئ يود أى رب ود يوده الذين كفروا وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحويى الكوفة وقال المصدر لا يحتاج الى عائد والود قد

﴿ سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها ألف وسبعمائة وواحد وسبعون وكلماتها ستمائة وأربعة وخمسون وآياتها تسع وتسعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين

وقع

وقع على لو ربما يودون لو كانوا أن يكونوا قال وإذا أضمر الهاء في لو ليس بمفعول وهو موضع المفعول ولا ينبغي أن يترجم المصدر بشيء وقد ترجمه بشيء ثم جعله ودّا ثم أعاد عليه عائدا فكان الكسائي والفراء يقولان لا تكاد العرب توقع رب على مستقبل وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل كقولهم ربما فعلت كذا وربما جاءني أخوك قالا وجاء في القرآن مع المستقبل ربما يود وإنما جاز ذلك لأن ما كان في القرآن من وعد ووعيد وما فيه فهو حق كأنه عيان فجرى الكلام فيما لم يكن بعد مجراه فيما كان كما قيل ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت كأنه ماض وهو منتظر لصدقه في المعنى وأنه لا مكذب له وأن القائل لقول إذا نهى أو أمر فعصاه المأمور يقول أما والله لرب ندامة لك تذكر قولي فيها لعلمه بأنه سيندم والله ووعده أصدق من قول المخلوقين وقد يجوز أن يصحب ربما الدائم وإن كان في لفظ يفعل يقال ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن وإن أوليت الأسماء كان معها ضمير كان كما قال أبو دواد

ربما الجامل المؤبل فيهم * وعناجيج بينهن المهار

فتأويل الكلام ربما يود الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين كما حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي قال ثنا خالد بن نافع الأشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا فقال من في النار من الكفار يا ليتنا كنا مسلمين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن القطعي وروح القيسي وعفان بن مسلم واللفظ لأبي قطن قالوا ثنا القاسم بن الفضل بن عبد الله بن أبي جروة قال كان ابن عباس وأنس بن مالك يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قالا ذلك يوم يجمع الله أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار وقال عفان حين يحبس أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون زاد أبو قطن قد جمعنا وإياكم وقال أبو قطن وعفان فيغضب الله لهم بفضل رحمته ولم يقله روح بن عبادة وقالوا جميعا فيخرجهم الله وذلك حين يقول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا الحسن قال ثنا عفان قال ثنا أبو عوانة قال ثنا عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال يدخل الجنة ويرحم حتى يقول في آخر ذلك من كان مسلما فليدخل الجنة قال فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا موحدين حدثنا أحمد بن إسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار حدثني المثنى قال أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال ثنا القاسم قال ثنا ابن أبي فروة العبدي أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يتأولانها يوم

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم

(القراآت) ربما بفتح الباء مخففة أبو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني وربما بضم الباء خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل الملائكة بالنون [illegible] حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاي

المشددة الملائكة بالرفع أبو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزى وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا
بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علىّ بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون علىّ جارا ومجرورا وعيون
بكسر العين حمزة وعلى وابن كثير وابن (٤) ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادى مثل نبئنا عبادى
أنى بالفتح فيهما أبو جعفر ونافع
وابن كثير وأبو عمرو والآخرون
بالاسكان ۞ الوقوف الر قف
كوفى مبين ○ مسلمين ○ يعلمون
○ معلوم ○ وما يستأخرون ○
لمجنون ○ ط لأن التحضيض له
صدر الكلام الصادقين ○ منظرين
○ لحافظون ○ الاولين ○ يستهزؤن
○ المجرمين ○ الاولين ○ يعرجون
○ مسحورون ○ للناظرين لا
رجيم لا ○ مبين ○ موزون ○
رازقين ○ خزائنه ز لاتفاق
الجملتين مع الفصل بين معنى الجمع
فى التقدير والتفريق فى التنزيل
فأسقيناكموه ج لاحتمال ما بعده
الاستئناف أو الحال بخازنين ○
الوارثون ○ المستأخرين ○
يحشرهم ط عليم ○ مسنون ○ ج
لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول
فى الثانية السموم ○ مسنون ○
ساجدين ○ أجمعون ○ لا الا
ابليس ط الساجدين ○ مسنون
○ رجيم ○ الدين ○ يبعثون
○ من المنظرين لا ○ المعلوم ○
أجمعين لا ○ المخلصين ○ مستقيم
○ الغاوين ○ أجمعين ○ أبواب
ط مقسوم ○ وعيون ○ ط لابتداء
القول بعده آمنين ○ متقابلين
○ بمخرجين ○ الرحيم لا الاليم
○ ۞ التفسير قال جار الله (تلك)
اشارة الى ما تضمنته السورة من
الآى والكتاب والقرآن المبين
السورة وتنكير القرآن للتفخيم
وقال آخرون الكتاب والقرآن
المبين هو الكتاب الذى وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل فى كونه
كتابا وفى كونه قرآنا مفيدا للبيان أما قوله (ربما يود) فذكر السكاكى أن فيه سبع لغات أخر بعد المشهورة رب بالراء مضمومة والباء
مخففة مفتوحة أو مضمومة أو مسكنة ورب بالراء مفتوحة والباء كذلك مشددة وربة بالتاء مفتوحة والباء كذلك أى مفتوحة مخففة أو

يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم
ما كنتم تعبدون فى الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن مجاهد
عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل
الجنة فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا
ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت ابراهيم عن هذه الآية ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين قال حدثت أن المشركين قالوا لمن دخل النار من المسلمين ما أغنى عنكم ما كنتم
تعبدون قال فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين اشفعوا فيشفعون فيخرجون من النار حتى
ان ابليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنى**
المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ابراهيم أنه قال فى قول الله عز وجل ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين قال يقول من فى النار من المشركين للمسلمين ما أغنت عنكم لا اله الا الله قال
فيغضب الله لهم فيقول من كان مسلما فليخرج من النار قال فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن حماد عن ابراهيم فى
قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال ان أهل النار يقولون كنا أهل شرك وكفر فما
شأن هؤلاء الموحدين ما أغنى عنهم عبادتهم اياه قال فيخرج من النار من كان فيها من المسلمين قال
فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا الثورى عن حماد عن ابراهيم عن خصيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للموحدين
ما أغنى عنكم ايمانكم قال فاذا قالوا ذلك قال أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرة فعند ذلك يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنى** المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا هشام عن حماد قال
سألت ابراهيم عن قول الله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الكفار يعيرون أهل
التوحيد ما أغنى عنكم لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون فيخرج أهل
التوحيد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء أن يخرج فذلك قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال هذا فى
الجهنميين اذا رأوهم يخرجون من النار يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنى** المثنى قال
ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن مجاهد قال اذا فرغ الله من القضاء
بين خلقه قال من كان مسلما فليدخل الجنة فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين **حدثنى**
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء **وحدثنى** الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى
قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين قال يوم القيامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن جويبر
عن

عن الضحاك في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فيها وجهان اثنان يقولون اذا حضر الكافر الموت ود لو كان مسلما ويقول آخرون بل يعذب الله ناسا من أهل التوحيد في النار بذنوبهم فيعرفهم المشركون فيقولون ما أغنت عنكم عبادة ربكم وقد ألقاكم في النار فيغضب لهم فيخرجهم فيقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال نزلت في الذين يخرجون من النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وذلك والله يوم القيامة ودوا لو كانوا في الدنيا مسلمين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين(١) حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس قال مايزال الله يدخل الجنة ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فذلك حين يقول ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ماهم آكلوه ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها الى أجلهم الذي أجلت لهم ويلههم الأمل عن الاخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم فسوف يعلمون غدا اذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا في خسار وتباب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) يقول تعالى ذكره وما أهلكنا يا محمد من أهل قرية من أهل القرى التي أهلكنا أهلها فيما مضى الا ولها كتاب معلوم يقول الا ولها أجل مؤقت ومدة معروفة لانهلكهم حتى يبلغوها فاذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك فيقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكذلك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة لانهلك مشركي أهلها الا بعد بلوغ كتابهم أجله لأن من قضائي أن لا أهلك أهل قرية الا بعد بلوغ كتابهم أجله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) يقول تعالى ذكره مايتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الاجل الذي جعل لها أجلا كما حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون قال نرى أنه اذا حضر أجله فانه لا يؤخر ساعة ولا يقدم وأما مالم يحضر أجله فان الله يؤخر ماشاء ويقدم ماشاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد يا أيها الذي نزل عليه الذكر وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواعظ خلقه انك لمجنون في دعائك ايانا الى أن نتبعك ونذر آلهتنا لوما تأتينا بالملائكة قالوا هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ماتقول ان كنت من الصادقين يعني ان كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا فان الرب الذي

(١) أي بمثل حديث بشر قبله فتنبه كتبه مصححه

مشددة وانما دخل على المضارع مع أنه مختص بالماضي لان المترقب في أخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود وماهذه كافة أي تكف رب عن العمل فتتهيأ بذلك للدخول على الفعل وقيل ان ما بمعنى شئ أي رب شئ يوده الذين كفروا ورب للتقليل فأورد عليه أن تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل وأجيب بانه على عادة العرب اذا أرادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا أرادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على مافعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك أرادوا لو كان الندم قليلا أو مشكوكا فيه لحق عليك أن لاتفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يحذرون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن فمعنى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله (لو كانوا مسلمين) اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومتى تكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب أو رأى حالا من أحوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثير التمني فلذلك قلل وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهد أمارات العذاب وقيل اذا اسودت وجوههم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة اجتمع أهل النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة فقال الكفار لهم ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيأمر بكل من كان من أهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال مازال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى في آخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (ذرهم)

فعل ما تقول بك لا يتعذر عليه ارسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا وآية لك على نبوتك وصدق مقالتك والعرب تضع موضع لوما لولا وموضع لولا لوما من ذلك قول ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري

يريد لولا الحياء وبنحو الذي قلنا في معنى الذكر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك نزل عليه الذكر قال القرآن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله ما ننزل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ما تنزل الملائكة بالتاء من تنزل وفتحها ورفع الملائكة بمعنى ما تنزل الملائكة على أن الفعل للملائكة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ما ننزل الملائكة بالنون في ننزل وتشديد الزاى ونصب الملائكة بمعنى ما ننزلها نحن والملائكة حينئذ منصوب بوقوع ننزل عليها وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ما تنزل الملائكة برفع الملائكة والتاء في تنزل وضمها على وجه ما لم يسم فاعله قال أبو جعفر وكل هذه القراآت الثلاث متقاربات المعاني وذلك أن الملائكة اذا نزلها الله على رسول من رسله تنزلت اليه واذا تنزلت اليه فانما تنزل بانزال الله اياها اليه فبأى هذه القراآت الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب الصواب في ذلك وان كنت أحب لقارئه أن لا يعدو في قراءته احدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والاخرى التي عليها جمهور قراء الكوفيين لان ذلك هو القراءة المعروفة في العامة والاخرى أعنى قراءة من قرأ ذلك ما تنزل بضم التاء من تنزل ورفع الملائكة شاذة قليل من قرأ بها فتأويل الكلام ما ننزل ملائكتنا الا بالحق يعنى بالرسالة الى رسلنا أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه ولو أرسلناه الى هؤلاء المشركين على ما يسألون ارسالهم معك آية فكفروا لم ينظروا فيؤخروا بالعذاب بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الامم حين سألوا الآيات فكفروا حين أتتهم الآيات فعاجلناهم بالعقوبة وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قال بالرسالة والعذاب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نزلنا الذكر وهو القرآن وانا له لحافظون قال وانا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه والهاء في قوله له من ذكر الذكر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** الحسن قال ثنا شبابة

ظاهره أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يخليهم وشأنهم فاحتجت الاشاعرة به على أنه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا وتجويزا وانما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبي عن ارعوائهم وفيه أنهم من أهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ وفي الآية تنبيه على أن ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدى اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (و) معنى (يلههم الامل) يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة لهيت عن الشئ بالكسر ألهى لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه وألهاني غيره عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم خط خطا وقال هذا الانسان وخط آخر الى جنبه وقال هذا أجله وخط آخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم مزيد تأكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتحذير فقال (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب) أى مكتوب (معلوم) وهو أجلها الذي كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح أن هذا سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لمكان الفاصلة بالواو وكيف وقد زادت الفاصلة في الآية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة اذ التقدير وما أهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان ينزله الله بالمكذبين المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون أراد الموت والاول أقرب لانه في الزجر أبلغ وكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي أن يغتر به العاقل فان لكل أمة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقيل أراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمرا أى جازه وخلفه وراءه بمعنى أنه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا

معناه مضى قبل اتيانه ولم يبلغه فعنى الآية أنه لا يحصل أجل أمة قبل وقته ولا بعده كما فى كل حادث وقد مر بحث الأجل فى أول سورة الانعام وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا فى قوله (وما يستأخرون) حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستأخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ فى تهديد الكفار شرع فى تعديد بعض شبههم ومطاعنهم فى النبى فالأولى أنهم كانوا يحكمون عليه بالجنون لأنهم كانوا يسمعون منه صلى الله عليه وسلم ما لا يوافق آراءهم ولا يطابق أهواءهم وانما نادوه بيا أيها الذى نزل عليه الذكر مع أنهم كانوا لا يقرون بنزول الوحى عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما أو أرادوا يا أيها الذى نزل عليه الوحى فى زعمه واعتقاده وعند أصحابه وأتباعه الثانية (لوما تأتينا بالملائكة) لوما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمنى ومن ما المزيدة فأفاد المجموع الحث على الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تأتينا بملائكة العذاب ان كنت صادقا فى أن تكذيبك يقتضى التعذيب العاجل فأجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله (ما ننزل الملائكة الا بالحق) قالت المعتزلة أى تنزيلا متلبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة فى أن تأتيكم عيانا فان أمر التكليف حينئذ يؤول الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة تعود عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر فيصير انزالهم عبثا أولا حكمة فى انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم تؤمنوا وجب عذاب الاستئصال وذلك قوله (وما كانوا اذا منظرين) فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة أن لا يهلك هذه الأمة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم أو ايمان أولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق أى الا بالوحى أو العذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ بمعنى حين ومن أن الدالة على مجىء فعل بعده نخففت الهمزة فحذفها بعد نقل حركتها وكأنه قيل وما كانوا منظرين اذ أن كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم ثم أنكر على الكفار استهزاءهم فى قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد (انا نحن نزلنا الذكر) ثم دل على كونه آية منزلة من

شبابة قال ثنا ورقاء **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وانا له لحافظون قال عندنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون قال فى آية أخرى لا يأتيه الباطل والباطل ابليس من بين يديه ولا من خلفه فأنزله الله ثم حفظه فلا يستطيع ابليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينتقص منه حقا حفظه الله من ذلك **حدثنى** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وانا له لحافظون قال حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو ينقص منه حقا وقيل الهاء فى قوله وانا له لحافظون من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى وانا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك فى الامم الاولين رسلا وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله ولقد أرسلنا من قبلك عليه وعنى بشيع الاولين أمم الاولين واحدتها شيعة ويقال أيضا لاولياء الرجل شيعته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين يقول أمم الاولين **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين قال فى الامم وقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن يقول وما يأتى شيع الاولين من رسول من الله يرسله اليهم بالدعاء الى توحيده والاذعان بطاعته الا كانوا به يستهزؤن يقول الا كانوا يسخرون بالرسول الذى يرسله الله اليهم عتوا منهم وتمردا على ربهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين﴾ يقول تعالى ذكره كما سلكنا الكفر فى قلوب شيع الاولين بالاستهزاء بالرسل كذلك نفعل ذلك فى قلوب مشركى قومك الذين أجرموا بالكفر بالله لا يؤمنون به يقول لا يصدقون بالذكر الذى أنزل اليك والهاء فى قوله نسلكه من ذكر الاستهزاء بالرسل والتكذيب بهم كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال التكذيب **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال اذا كذبوا سلك الله فى قلوبهم أن لا يؤمنوا به **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حميد عن الحسن فى قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال الشرك **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة عن حميد قال قرأت القرآن كله على الحسن فى بيت أبى خليفة ففسره أجمع على الاثبات فسألته عن قوله كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين قال أعمال سيعملونها لم يعملوها **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل قال قرأت القرآن كله على

عنده فقال (وإنا له لحافظون) لانه لو كان من قول البشر أو لم يكن آية لم يبق محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول أوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيأ أظهر ذلك العقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث ولم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض الصبيان أخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه أنه سبحانه أخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما أخبر بعد تسعمائة سنة فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي أنه سبحانه تولى حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار والتقدير (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا الا أنه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى (في شيع الاولين) في أممهم وأتباعهم [illegible] معنى الشيعة في آخر الانعام قال جار الله معنى أرسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي وقوله (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المألوف شديد وكون الانسان مسخر الأمر من هو مثله أو أقل حالا منه في المال والجاه والقبول أشد على أن السبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم عن مظاهر القهر في الازل قوله (كذلك نسلكه) السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى أقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزؤن وأما الضمير في قوله (لا يؤمنون به) فيعود الى الذكر لأنه لو عاد الى الاستهزاء

الحسن فما كان يفسره الا على الاثبات قال وقفته على نسلكه قال الشرك قال ابن المبارك سمعت سفيان يقول في قوله نسلكه قال نجعله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال هم كما قال الله هو أضلهم ومنعهم الايمان يقال منه سلكه يسلكه سلكا وسلوكا وأسلكه يسلكه اسلاكا ومن السلوك قول عدي بن زيد

وكنت لزاز خصمك (١) لم أعرد * وقد سلكوك في يوم عصيب

ومن الاسلاك قول الآخر

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقوله وقد خلت سنة الاولين يقول تعالى ذكره لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب حتى يروا العذاب الاليم أخذا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضربائهم من الامم التي كذبت رسلها فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حل بها سخط الله فهلكت وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين وقائع الله فيمن خلا قبلكم من الامم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله فظلوا فيه يعرجون فقال بعضهم معنى الكلام ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يقول لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه لقال أهل الشرك انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا فذلك قولهم لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس فظلوا فيه يعرجون فظلت الملائكة يعرجون فيه يراهم بنو آدم عيانا لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين قال ما بين ذلك الى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال رجع الى قوله لوما تأتينا بالملائكة ما بين ذلك قال ابن جريج قال ابن عباس فظلت الملائكة تعرج فنظروا اليهم لقالوا انما سكرت أبصارنا قال قريش تقوله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قال ابن عباس لو فتح الله عليهم من السماء بابا فظلت الملائكة تعرج فيه يقول يختلفون فيه جائين وذاهبين لقالوا انما سكرت أبصارنا حدثت

(١) التعريد سرعة الذهاب في الهزيمة وسبق في سورة هود ولم أعدد بالدال وهو تصحيف فتنبه . مصححه

وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها على شئ واحد وان كان الأحسن ذلك والحاصل أن مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع من اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية فى قوله نسلكه أى نجعل فى قلوبهم أن لا يؤمنوا به فثبتت دلالة الآية على أن الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يعنى الملائكة يقول لو فتحت على المشركين بابا من السماء فنظروا الى الملائكة تعرج بين السماء والارض لقال المشركون نحن قوم مسحورون سحرنا وليس هذا بالحق ألا ترى أنهم قالوا قبل هذه الآية لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن نصر عن الضحاك فى قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال لو أنى فتحت بابا من السماء تعرج فيه الملائكة بين السماء والارض لقال المشركون بل نحن قوم مسحورون ألا ترى أنهم قالوا لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين * وقال آخرون انما عنى بذلك بنو آدم ومعنى الكلام عندهم ولو فتحنا على هؤلاء المشركين من قومك يا محمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قال قتادة كان الحسن يقول لو فعل هذا ببنى آدم فظلوا فيه يعرجون أى يختلفون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وأما قوله يعرجون فان معناه يرقون فيه ويصعدون يقال منه عرج يعرج عروجا اذا رقى وصعد وواحدة المعارج معرج ومعراج ومنه قول كثير

الى حسب عود بنا المرء قبله * أبوه له فيه معارج سلم

وقد حكى عرج يعرج بكسر الراء فى الاستقبال وقوله لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول لقال هؤلاء المشركون الذين وصفت جل ثناؤه صفتهم ما هذا بحق انما سكرت أبصارنا واختلفت القراء فى قراءة قوله سكرت فقرأ أهل المدينة والعراق سكرت بتشديد الكاف بمعنى غشيت وغطيت هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لى عنه وذكر عن مجاهد أنه كان يقرأ لقالوا انما سكرت حدثنى بذلك الحارث قال ثنا القاسم قال سمعت الكسائى يحدث عن حمزة عن شبل عن مجاهد أنه قرأها سكرت أبصارنا خفيفة وذهب مجاهد فى قراءته ذلك كذلك الى حبست أبصارنا عن الرؤية والنظر من سكور الريح وذلك سكونها وركودها يقال منه سكرت الريح اذا سكنت وركدت وقد حكى عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول هو مأخوذ من سكر الشراب وأن معناه قد غشى أبصارنا السكر وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى سكرت سدت ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سكرت أبصارنا قال سدت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج يعنى ابن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير قال سدت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله سكرت أبصارنا يعنى سدت فكأن مجاهدا ذهب فى قوله وتأويله ذلك بمعنى

كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه سمه هذا السلك بعمل آخر قبله وليس الا التنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل نسلك الذكر فى قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل أنا نلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظيره ما اذا أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعنى مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بأن النون انما يستعمله الواحد المتكلم لاظهار العظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له أثر قوى كامل أما اذا فعل بحيث يكون منازعه ومدافعه غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والأمر ههنا كذلك لانه تعالى سلك استماع القرآن وتحفظه وتعلمه فى قلب الكافر لاجل أن يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم فى هذا المقام أما قوله (وقد خلت سنة الاولين) فقيل أى طريقتهم التى بينها الله فى اهلاكهم حين كذبوا رسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله فى الاولين بأن يسلك الكفر والضلال فى قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا) أى هؤلاء الكفار (فيه يعرجون) يتصاعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) هو من سكر الشراب أو من سكر سد الشق يقال

سدت الى أنه بمعنى منعت النظر كما يسكر الماء فيمنع من الجرى بحبسه فى مكان بالسكر الذى يسكر به * وقال آخرون معنى سكرت أخذت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما أخذ أبصارنا وشبه علينا وانما سحرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة لقالوا انما سكرت أبصارنا يقول سحرت أبصارنا يقول أخذت أبصارنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا شيبان عن قتادة قال من قرأ سكرت مشددة يعنى سدت ومن قرأ سكرت مخففة فانه يعنى سحرت وكأن هؤلاء وجهوا معنى قوله سكرت الى أن أبصارهم سحرت فشبه عليهم ما يبصرون فلا يميزون بين الصحيح مما يرون وغيره من قول العرب سكر على فلان رأيه اذا اختلط عليه رأيه فيما يريد فلم يدر الصواب فيه من غيره فاذا عزم على الرأى قالوا ذهب عنه التسكير * وقال آخرون هو مأخوذ من السكر ومعناه غشى على أبصارنا فلا نبصر كما يفعل السكر بصاحبه فذلك اذا دير به وغشى بصره كالسمادر فلم يبصر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما سكرت أبصارنا قال سكرت السكران الذى لا يعقل * وقال آخرون معنى ذلك عميت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الكلبى سكرت قال عميت * وأولى هذه الاقوال بالصواب عندى قول من قال معنى ذلك أخذت أبصارنا وسحرت فلا تبصر الشئ على ما هو به وذهب حد ابصارها وانطفأ نوره كما يقال للشئ الحار اذا ذهبت فورته وسكن حده قد سكر يسكر قال المثنى بن جندل الطهوى

جاء الشتاء واجثأل القبر * واستخفت الأفعى وكانت تظهر

* وجعلت عين الحرور تسكر *

أى تسكن وتذهب وتنطفئ وقال ذو الرمة

قبل انصداع الفجر والتهجر * وخوضهن الليل حين يسكر

يعنى حين تسكن فورته وذكر عن قيس أنها تقول سكرت الريح تسكر سكورا بمعنى سكنت وان كان ذلك عنها صحيحا فان معنى سكرت وسكرت بالتخفيف والتشديد متقاربان غير أن القراءة التى لا أستجيز غيرها فى القرآن سكرت بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليها وغير جائز خلافها فيما جاءت به مجمعة عليه * القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين) يقول تعالى ذكره ولقد جعلنا فى السماء الدنيا منازل للشمس والقمر وهى كواكب ينزلها الشمس والقمر وزيناها للناظرين يقول وزينا السماء بالكواكب لمن نظر اليها وأبصرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا

ابو

سكر النهر اذا سدّه وحبسه من الجرى والتركيب يدل على قطع الشئ من سننه الجارى عليه ومنه السكر فى الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء فى حال الصحو فمعنى الآية حيرت أبصارنا ووقع بها من فساد النظر ما يقع بالرجل السكران أو حبست عن أفعالها بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون فى تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لتشككوا فى تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذى لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله قال فى الكشاف ذكر الظلول ليعنى أنه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للابصار وقيل الضمير فى فظلوا للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التى لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز من جم غفير أن يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة فى النهار الواضح وأجيب بأنهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا رؤساء قليلى العدد فجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد لاسيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة أو غلبة خصم ولما أجاب عن شبه منكرى النبوة بما أجاب وكان القول بالنبوة مفرعا على القول بالصانع أتبعه دلائل ذلك فقال (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) هى اثنا عشر عند أهل النجوم وذلك أنهم قسموا نطاق الفلك الثامن عندهم باثنى عشر قسما متساوية ثم أجيز بمنتهى كل قسم وبأوله مبتدأة من أول الحمل نصف دائرة عظيمة مارة بقطبى الفلك فصار الفلك أيضا منقسما باثنتى عشرة قطعة كل منها تشبه ضلعا من أضلاع البطيخ تسمى برجا ولا شك أن هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة فلذلك يسمى الحمل والاسد والقوس

مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت أجزاء الفلك مختلفة فى الماهيـة على مايجوّزه المتكلمون أو كانت متساوية فى تمام الماهيـة مختلفة فى التأثير كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة أو بتأثير معين مع تساوى الكل فى حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر قدير الدليـل الآخر قوله (وزيناها) أى بالشمس والقمر والنجوم (للناظرين) بنظر الاعتبار والاستبصار وقال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهـذا اينافى الآية على ما يمكن أن يسبق الى الوهم لانها سواء كن فى سماء الدنيا أوفى سموات أخر فوقها فلابد أن يكون ظهورها فى السماء الدنيا فتكـون السماء الدنيا مزينة بها والآية لاتدل الا على هذا القدر ونظير هـذه الآية قوله تعالى فى حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله فى سورة الملك الدليل الثالث قوله (وحفظناها) أى البروج أو السماء (من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع) نصب على الاستثناء المنقطع أى لكن من استرق وجائز أن يكون مخفوضا أى الا ممن استرق وعن ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة (فأتبعه) أى أدركه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشـياطين لايحجبون من السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما لوحفظ أحد نامنزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والاستراق السعى فى استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التى دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنيته فيه فيحدث منها أنواع النيران من جملتها الشهب فلاريب أنها كانت موجودة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم الا أنها لم تكن مسلطة على الشياطين وانما قيض كونها رجوما للشياطين فى زمن عيسى عليه السلام ثم فى زمن

أبوحذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد فى قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا قال كواكب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا وبروجها نجومها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بروجا قال الكواكب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ يقول تعالى ذكره وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه الا من استرق السمع يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث فى السماء بعضها فيتبعه شهاب من النار مبين يبين أثره فيه اما باخباله وافساده أو باحراقه وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول فى قوله الا من استرق السمع هو استثناء خارج كما قال ما أشتكى الا خيرا يريد أذكر خيرا وكان ينكر ذلك من قيله بعضهم ويقول اذا كانت الا بمعنى لكن عملت عمل لكن ولا يحتاج الى اضمار اذكر ويقول لو احتاج والامر كذلك الى اضمار اذكر احتاج قول القائل قام زيد الا عمرو الى اضمار اذكر ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الاعمش عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع قال فينفرد المارد منها فيعلو فيرمى بالشهاب فيصيب جبهتـه أو جنبه أو حيث شاء الله منـه فيلتهب فيأتى أصحابه وهو يلتهب فيقول انه كان من الامر كذا وكذا قال فيـذهب أولئك الى اخوانهم من الكهنة فيزيدون عليه أضعافه من الكذب فيخبرونهم به فاذا رأوا شيأ مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاؤهم به من الكذب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع قال أراد أن يخطف السمع وهو كقوله الا من خطف الخطفة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا من استرق السمع وهو نحو قوله الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الا من استرق السمع قال خطف الخطفة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا من استرق السمع هو كقوله الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب كان ابن عباس يقول ان الشهب لاتقتل ولكن تحرق وتخبل وتجرح من غير أن تقتل حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن ابن جريج من كل شيطان رجيم قال الرجيم الملعون قال وقال القاسم عن الكسائى أنه قال الرجم فى جميع القرآن الشتم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله والارض مددناها والارض دحوناها فبسطناها وألقينا فيها رواسى يقول وألقينا فى ظهورها رواسى يعنى جبالا ثابتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والأرض مددناها وقال فى آية أخرى والارض بعد ذلك دحاها وذكر لنا أن أم القرى مكة منها دحيت الارض قوله وألقينا فيها رواسى رواسيها جبالها وقد بينا معنى الرسو فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته وقوله وأنبتنا فيها من كل شئ

موزون يقول وأنبتنا في الارض من كل شئ يقول من كل شئ بقدر مقدر وبحد معلوم
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا
عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون
يقول معلوم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن
أبيه عن ابن عباس قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم حدثني يعقوب
قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح أو عن أبي مالك في قوله من كل
شئ موزون قال بقدر حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل
ابن أبي خالد عن أبي صالح أو عن أبي مالك مثله حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا
شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شئ موزون قال بقدر حدثنا الحسن بن محمد قال
ثنا علي يعني ابن الجعد قال أخبرنا شريك عن خصيف عن عكرمة من كل شئ موزون قال
بقدر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة
قال بقدر حدثنا أحمد قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير من كل شئ
موزون قال معلوم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا عبد الله بن يونس
قال سمعت الحكم بن عتيبة وسأله أبو مخزوم عن قوله من كل شئ موزون قال من كل شئ
مقدور حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا عبد الله بن يونس قال
سمعت الحكم وسأله أبو عروة عن قول الله عز وجل من كل شئ موزون قال من كل شئ مقدور
هكذا قال الحسن وسأله أبو عروة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا
شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني
المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
في قول الله من كل شئ موزون قال مقدور بقدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من كل شئ موزون قال مقدور بقدر حدثني
المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد قال مقدور
بقدر حدثنا المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال ثنا يحيى بن زكريا عن اسمعيل بن أبي خالد
عن أبي صالح من كل شئ موزون قال بقدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون يقول معلوم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال
ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا
عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من كل شئ موزون يقول معلوم * وكان بعضهم يقول
معنى ذلك وأنبتنا في الجبال من كل شئ موزون يعني من الذهب والفضة والنحاس والرصاص
ونحو ذلك من الاشياء التي توزن ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
قال ابن زيد في قوله وأنبتنا فيها من كل شئ موزون قال الاشياء التي توزن * وأولى القولين

محمد صلى الله عليه وسلم * اسولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان او اكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم انهم مع
ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله لطائفة منهم الحرق لطغيانها قدر له من الدواعي المطمعة في درك
المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي (١٢) الى الهلاك والبوار * آخر قد ورد في الاخبار أن ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام
فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق
السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى
من فطور وان لم يقدروا فكيف
يمكنهم استماع أسرار الملائكة من
ذلك البعد البعيد ولم لا يسمعون
كلام الملائكة حال كونهم في الارض
وأجيب بأنا سلمنا أن بعد ما بين كل
سماء ذلك القدر الا أن ثخن الفلك
لعله قدر قليل وقد روى الزهري
عن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال بينما النبي
صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من
أصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال
ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا
حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد
عظيم أو يموت عظيم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت أحد
ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا
قضى الامر في السماء سبحت حملة
العرش ثم سبح أهل السماء وسبح
أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح
الى هذه السماء و يستخبر أهل
السماء حملة العرش ماذا قال ربكم
فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك
الخبر من سماء الى سماء الى أن
ينتهي الخبر الى هذه السماء
و يتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به
على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون
* آخر الشياطين مخلوقون من نار
فكيف تحرق النار النار والجواب
أن الاقوى قد يبطل الاضعف وان
كان من جنسه * آخر إن هذا الرجم
لو كان من معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم فكيف بقي بعد وفاته
الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة * آخر إن الشهب قد تحدث بالقرب من الارض والاثم عندنا
يمكن الاحساس بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاستراق وأجيب بأن البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى
أجرى عادته بأنهم اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة * آخر لو كان يمكنهم نقل أخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على

عندنا بالصواب القول الاول لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه ۞ القول في تأويل قوله
تعالى ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا لكم أيها
الناس في الارض معايش وهي جمع معيشة ومن لستم له برازقين * اختلف أهل التأويل
في المعني في قوله ومن لستم له برازقين فقال بعضهم عني به الدواب والانعام ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسين قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح وحدثني المثنى قال ثنا
اسحق قال ثنا عبد الله جميعا عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن لستم له برازقين
الدواب والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد مثله * وقال آخرون عني بذلك الوحش خاصة ذكر من قال ذلك حدثني محمد
ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور في هذه الآية ومن لستم له
برازقين قال الوحش فتأويل من في ومن لستم له برازقين على هذا التأويل بمعنى ما وذلك قليل
في كلام العرب * وأولى ذلك بالصواب وأحسن أن يقال عني بقوله ومن لستم له برازقين من
العبيد والاماء والدواب والانعام فمعنى ذلك وجعلنا لكم فيها معايش والعبيد والاماء والدواب
والانعام واذا كان ذلك كذلك حسن أن توضع حينئذ مكان العبيد والاماء والدواب من وذلك أن
العرب تفعل ذلك اذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا اليه
معنى الكلام اذا كانت من في موضع نصب عطفا به على معايش بمعنى جعلنا لكم فيها معايش
وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين وقيل ان من في موضع خفض عطفا به على الكاف والميم
في قوله وجعلنا لكم بمعنى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وأحسب أن منصورا
في قوله هو الوحش قصد هذا المعنى واياه أراد وذلك وان كان له وجه في كلام العرب فبعيد
قليل لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض وربما جاء في شعر بعضهم في حال الضرورة
كما قال بعضهم

هلا سألت بذي الجماجم عنهم * وأبي نعيم ذي اللواء المخرق

فرد أبا نعيم على الهاء والميم في عنهم وقد بينت قبح ذلك في كلامهم ۞ القول في تأويل قوله
تعالى ﴿ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ﴾ يقول تعالى ذكره وما من
شئ من الامطار الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حده ومبلغه *
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا
ابن ادريس قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن رجل عن عبد الله قال ما من أرض أمطر من أرض
ولكن الله يقدره في الارض ثم قرأ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا
ابن حميد قال ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله قال ما من عام بأمطر
من عام ولكن الله يصرفه عمن يشاء ثم قرأ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

نقل أسرار المؤمنين الى الكفار وأجيب بأنه تعالى أقدرهم على شئ وأعجزهم عن شئ ولا يسئل عما يفعل وأقول لعل السبب فيه أن نسبتهم
الى الروحانيات أكثر * آخر اذا جوزتم في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن
بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى أخبر أنهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول
صدق هذا الكلام مبني على صحة
نبوته فلو أثبتنا صحة نبوته به لزم الدور
والجواب أنا نعرف صحة نبوته بدلائل
أخرى حتى لا يدور ولكن لا ريب أن
إخباره عن بعض المغيبات مؤكد
لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل
الرابع قوله (والارض مددناها وألقينا
فيها رواسي) وقد مر تفسير مثله في
أول سورة الرعد الدليل الخامس
قوله (وأنبتنا فيها) أي في الارض أو في
الجبال الرواسي (من كل شئ موزون)
بميزان الحكمة ومقدر بمقدار الحاجة
وذلك أن الوزن سبب معرفة المقدار
فأطلق اسم السبب على المسبب
وقيل أي له وزن وقدر في أبواب
النعمة والمنفعة وقيل أراد أن مقاديرها
من العناصر معلومة وكذا مقدار
تأثير الشمس والكواكب فيها
وقيل أي مناسب أي محكوم عليه
عند العقول السليمة بالحسن
واللطافة يقال كلام موزون أي
مناسب وفلان موزون الحركات
وقيل أراد ما يوزن من نحو الذهب
والفضة والنحاس وغيرها من
الموزونات كأكثر الفواكه والنبات
(وجعلنا لكم فيها) أي في الارض أو في
تلك الموزونات (معايش) ما يتوصل به
الى المعيشة وقد مر في أول الأعراف
(ومن) عطف على معايش أي جعلنا
لكم من (لستم له برازقين) أو عطف
على محل لكم لا على المجرور فقط
فانه لا يجوز في الأكثر إلا بإعادة
الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحده لا
الآباء والسادات والمخاديم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها وقد يذكر غير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من

جهة أنها طالبة لارزاقها عند الحاجة يحكى أنه قلت مياه الاودية فى بعض السنين واشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) قال جمع من المفسرين أراد بالشئ ههنا المطر الذى هو سبب لأرزاق بنى آدم وغيرهم من الطير والوحش وذلك أنه لما ذكر معايشهم بين أن خزائن المطر الذى هو سبب المعايش عنده أى فى أمره وحكمه وتدبيره قوله (وما ننزله الا بقدر معلوم) عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحكم مامن عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر واعلم أن لفظ الآية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح أمكن أن يقبلهما العقل والا كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء وهى وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن أن يقع فى أوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام فى الاحياز وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وشكل معين وحيز ووقت معين الى غير ذلك من الصفات المعينة دون اضدادها لابد أن يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة فى أن المعدوم شئ قبل المراد أن تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى أنها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى نزل أى أخرج بعضها من العدم الى الوجود * الدليل السادس قوله (وأرسلنا الرياح) ومن قرأ الريح فاللام للجنس (لواقح) قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها تلقح السحاب بمعنى أنها تحمل الماء وتمجه فى السحاب أو لانها تلقح الشجر أى تقويها وتميلها الى أن يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء فى كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال * ومختبط مما تطيح الطوائح * يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانبارى تقول العرب أبقل النبت فهو باقل أى مبقل وقال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا ابراهيم بن مهدى المصيصى قال ثنى على بن مسهر عن يزيد بن أبى زياد عن أبى جحيفة عن عبد الله بن مسعود مامن عام بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وان من شئ الا عندنا خزائنه قال المطر خاصة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن الحكم بن عتيبة فى قوله وما ننزله الا بقدر معلوم قال مامن عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان فى البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد ابليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وأرسلنا الرياح لواقح وقرأه بعض قراء أهل الكوفة وأرسلنا الريح لواقح فوحد الريح وهى موصوفة بالجمع أعنى بقوله لواقح وينبغى أن يكون معنى ذلك أن الريح وان كان لفظها واحدا فمعناها الجمع لانه يقال جاءت الريح من كل وجه وهبت من كل مكان فقيل لواقح لذلك فيكون معنى جمعهم نعتها وهى فى اللفظ واحدة معنى قولهم أرض سباسب وأرض أغفال وثوب أخلاق كما قال الشاعر

جاء الشتاء وقميصى أخلاق * شراذم يضحك منى التواق

وكذلك تفعل العرب فى كل شئ اتسع * واختلف أهل العربية فى وجه وصف الرياح باللقح وانما هى ملقحة لا لاقحة وذلك أنها تلقح السحاب والشجر وانما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح كما يقال ناقة لاقح وكان بعض نحويى البصرة يقول قيل الرياح لواقح فجعلها على لاقح كأن الرياح لقحت لان فيها خيرا فقد لقحت بخير قال وقال بعضهم الرياح تلقح السحاب فهذا يدل على ذلك المعنى لانها اذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك اليه وكان بعض نحويى الكوفة يقول فى ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب والماء فيكون فيها اللقاح فيقال ريح لاقح كما يقال ناقة لاقح قال ويشهد على ذلك أنه وصف ريح العذاب فقال عليهم الريح العقيم فجعلها عقيما اذا لم تلقح قال والوجه الآخر أن يكون وصفها باللقح وان كانت تلقح كما قيل ليل نائم والنوم فيه وسر كاتم وكما قيل المبروز والمختوم فجعل مبروزا ولم يقل مبرزا بناه على غير فعله أى ان ذلك من صفاته فجاز مفعول لمفعل كما جاز فاعل لمفعول اذا لم يرد البناء على الفعل كما قيل ماء دافق * والصواب من القول فى ذلك عندى أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها وان كانت قد تلقح السحاب والأشجار فهى لاقحة ملقحة ولقحها حملها الماء والقاحها السحاب والشجر عملها فيه وذلك كما قال عبد الله بن مسعود حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن سكن عن عبد الله بن مسعود فى قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتمرى السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن قيس بن سكن

ويدره كما تدر اللقحة كما يقال راع أي ذو رع "ولابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح في نفسها لاقح أي حاملة للسحاب أو للماء من قوله تعالى حتى اذا أقلت سحابا ثقالا أو حاملة للخير والرزق كما قيل لضدها الريح العقيم (فأسقيناكموه) أي جعلناه لكم سقيا قال أبو علي" يقال سقيته الماء اذا أعطاه قدر ما يروى وأسقيته نهرا أي جعلته شربا له والذي يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله نسقيكم مما في بطونه ولم يختلفوا في قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته وأسقيته لماشيته وأرضه (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه أي نحن الخازنون للماء لا أنتم أراد عظيم قدرته وعجز من سواه * الدليل السابع قوله (وانا لنحن نحيي ونميت) والغرض الاستدلال بانحصار الاحياء والاماتة فيه على أنه واحد في ملكه وملكه قال أكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مختص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان (ونحن الوارثون) مجاز عن بقائه بعد هلاك ماعداه كما مر في آخر آل عمران في قوله ولله ميراث السموات والارض قوله (ولقد علمنا) عن ابن عباس في رواية عطاء (المستقدمين) يريد أهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته ويروى أنه صلى الله عليه وسلم رغب الناس في الصف الاول في الجماعة فازدحم الناس عليه فأنزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني في صف القتال وقال ابن عباس في رواية أبي الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا أيديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وأن علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة

سكن عن عبد الله وأرسلنا الرياح لواقح قال يبعث الله الريح فتلقح السحاب ثم تمريه فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أسباط بن محمد عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال يرسل الرياح فتحمل الماء من السماء ثم تمري السحاب فتدر كما تدر اللقحة فقد بين عبد الله بقوله يرسل الرياح فتحمل الماء أنها هي اللاقحة بحملها الماء وان كانت ملقحة بالقاحها السحاب والشجر

* وأما جماعة أخر من أهل التأويل فانهم وجهوا وصف الله تعالى ذكره اياها بأنها لواقح الى أنه بمعنى ملقحة وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح كما قال نهشل بن حري

ليبك يزيد(١) بائس لضراعة * وأشعث ممن طوحته الطوائح

يريد المطاوح وكما قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

بمعنى منصب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال تلقح السحاب حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم مثله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال لواقح للشجر قلت أو للسحاب قال وللسحاب تمريه حتى يمطر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبي سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن عبيد بن عمير قال يبعث الله المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا عبيد وأرسلنا الرياح لواقح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأرسلنا الرياح لواقح يقول لواقح للسحاب وان من الريح عذابا وان منها رحمة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لواقح قال تلقح الماء في السحاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابن عباس لواقح قال تلقح الشجر وتمري السحاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأرسلنا الرياح لواقح الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماء حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا عبيس بن ميمون قال ثنا أبو المهزم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح الجنوب من الجنة وهي الريح اللواقح وهي التي ذكر الله تعالى في كتابه وفيها منافع للناس حدثني أبو الجماهر الحمصي أو الحضرمي محمد بن عبد الرحمن قال ثنا عبد العزيز بن موسى قال ثنا عبيس بن ميمون أبو عبيدة عن أبي المهزم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء وقوله فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه يقول تعالى ذكره فأنزلنا من السماء مطرا فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم ولو كان معناه أنزلناه لتشربوه

(١) الذي في التفسير الكبير بائس ذو ضراعة وأشعث مما الخ ولعل ما هنا رواية كتبه مصححه

فلا ينبغى أن تحصل الآية بحالة دون أخرى ثم نبه على أن الحشر والنشر أمر واجب ولا يقدر على ذلك أحد الا هو فقال (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) فلحكمته بنى أمر العباد على التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفية مقادير الجزاء * الدليل الثامن الاستدلال على خلق الانسان خاصة وذلك أنه لا بد من انتهاء الناس الى انسان أول ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا أول لها وقد أجمع المفسرون على أنه آدم عليه السلام ورأيت فى كتب الشيعة عن محمد بن على الباقر رضى الله عنه أنه قد انقضى قبل آدم الذى هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو أول الناس والأقرب أنه تعالى خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من حمإ مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من أى جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة أو لما كان فيه من دلالة الملائكة والجن أو لغير ذلك من المصالح ولا شك أن خلق الانسان من هذه الامور أعجب من خلق الشئ من شكله وجنسه والصلصال الطين اليابس الذى يصلصل أى يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه أى صورته قاله سيبويه وقال أبو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ أى أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصورة من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت أبا عمرو يقول معناه متغير منتن وكأنه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل منهما سنين ولا يكون الا منتنا قال فى الكشاف قوله من حما صفة صلصال أى خلقه من صلصال كائن من حما قلت ولا يبعد أن يكون بدلا أى خلقه من حما قال وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر قوله (والجان) قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس يريد ابليس وعن ابن عباس فى رواية أخرى هو أبو الجن كما آدم أبو الناس وهو

لقيل فسقيناكموه وذلك أن العرب تقول اذا سقت الرجل ماء شرب به أو لبنا أو غيره سقيته بغير ألف اذا كان لسقيه واذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته قالوا أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته وكذلك اذا استسقت له قالوا أسقيته واستسقيته كما قال ذو الرمة

وقفت على رسم لمية ناقتى * فما زلت أبكى عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه * تكلمنى أحجاره وملاعبه

وكذلك اذا وهبت لرجل اهابا ليجعله سقاء قالت أسقيته اياه وقوله وما أنتم له بخازنين يقول ولستم بخازنى الماء الذى أنزلنا من السماء فأسقيناكموه فتمنعوه من أسقيه لان ذلك بيدى والى أسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء كما حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال سفيان وما أنتم له بخازنين قال بمانعين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ يقول تعالى ذكره وانا لنحن نحيى من كان ميتا اذا أردنا ونميت من كان حيا اذا شئنا ونحن الوارثون يقول ونحن نرث الارض ومن عليها بأن نميت جميعهم فلا يبقى حى سوانا اذا جاء ذلك الأجل وقوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدم هلاكهم ومن قد خلق وهو حى ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون من قد خلق ومن خلا من الامم والمستأخرون من لم يخلق حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس عن سعيد بن مسروق عن عكرمة فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال هم خلق الله كلهم قد علم من خلق منهم الى اليوم وقد علم من هو خالقه بعد اليوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن عكرمة قال ان الله خلق الخلق ففرغ منهم فالمستقدمون من خرج من الخلق والمستأخرون من بقى فى أصلاب الرجال لم يخرج حدثنى محمد بن أبى معشر قال أخبرنى أبو معشر قال سمعت عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب فى قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود خير صفوف الرجال المقدم وشر صفوف الرجال المؤخر وخير صفوف النساء المؤخر وشر صفوف النساء المقدم فقال محمد بن كعب ليس هكذا ولقد علمنا المستقدمين منكم الميت والمقتول والمستأخرين من يلحق بهم من بعد وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال قال قتادة المستقدمين من مضى والمستأخرين من بقى فى أصلاب الرجال حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا أبو الاحوص قال ثنا سعيد بن مسروق عن عكرمة وخصيف عن مجاهد فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قالا من مات ومن بقى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

ولقد

ولقد علمنا المستقدمين منكم قال كان ابن عباس يقول آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذريته ولقد علمنا المستأخرين من بقى فى أصلاب الرجال حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون آدم ومن بعده حتى نزلت هذه الآية والمستأخرون قال كل من كان من ذريته «قال أبو جعفر» أظنه أنا قال مالم يخلق وما هو مخلوق حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة قال المستقدمون ما خرج من أصلاب الرجال والمستأخرون مالم يخرج ثم قرأ وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم * وقال آخرون عنى بالمستقدمين الذين قد هلكوا والمستأخرين الاحياء الذين لم يهلكوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين يعنى بالمستقدمين من مات ويعنى بالمستأخرين من هو حى لم يمت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم يعنى الاموات منكم ولقد علمنا المستأخرين بقيتهم وهم الاحياء يقول علمنا من مات ومن بقى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون الذين مضوا فى أول الامم والمستأخرون الباقون * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين فى أول الخلق والمستأخرين فى آخرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال أول الخلق وآخره حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى فى قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال ما استقدم فى أول الخلق وما استأخر فى آخر الخلق حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عامر فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم قال فى العصر والمستأخرين منكم فى أصلاب الرجال وأرحام النساء * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين من الامم والمستأخرين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد المستقدمين منكم قال القرون الاول والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمون ما مضى من الامم والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد بنحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى

مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان ولا استبعاد فى خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندل قد يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن أن يغلب عليه أحدها وحينئذ يكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا أنه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقى والملائكة والجن لا يباشرون للطافة أجسامهم والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان (فاذا سويته) عدلت خلقته وأكملتها أو سويت أجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعتدالا نوعيا أو شخصيا (ونفخت فيه من روحى) النفخ اجراء الريح فى تجاويف جسم آخر فمن زعم أن الروح جسم لطيف كالهواء سار فى البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال فى متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه وتمام الكلام فى الروح سوف يجىء ان شاء الله فى قوله ويسئلونك عن الروح والاختلاف فى أن الاضافة فى قوله روحى للتشريف والتكريم

مثل ناقة الله وبيت الله والفاء فى قوله (فقعوا) تدل على أن وقوعهم فى السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله (كلهم) أزال احتمال أن بعض الملائكة لم يسجدوا وقوله (أجمعون) أزال احتمال أنهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل أجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان أجمع معرفة فلا

يقع حالا ولو صح أن يكون حالا وكان منتصبا لأفاد المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء في أول سورة البقرة ثم استأنف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال (أبى أن يكون مع الساجدين) يعني اباه استكبار ثم قال سبحانه وتعالى خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس (١٨) مالك ألا تكون مع الساجدين) وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع أن محذوف ومعناه أي غرض لك في الامتناع من السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني و ينافي حالي أن أسجد (لبشر) وحاصل شبهة اللعين أنه روحاني لطيف وآدم جسماني كثيف وأصله نوراني شريف وأصل آدم ظلماني خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم أجيب بقوله (فاخرج منها) أي من الجنة أو من السماء أو من جملة الملائكة وضرب يوم الدين أي يوم الجزاء حدا اللعنة جريا على عادة العرب في التأبيد كما في قوله مادامت السموات والارض أو أراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف وأقول هذا ان أريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة أما ان أريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من أثبت لابليس رجاء العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق بشرا ولما خصص آدم بالاضافة الى نفسه في سورة ص حيث قال لما خلقت بيدي خصص اللعنة أيضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي فافهم (قال رب فأنظرني) قدمر مثله في أول الأعراف ومعنى (الوقت المعلوم) أن ابليس لما عينه وأشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم و مل ليشمل الموت اللعين أيضا وقيل لم يجب الى ذلك وأنظر الى يوم لا يعلمه الا الله (قال رب بما أغويتني) قدمر مباحثه في الاعراف ومفعول (لأزينن) محذوف أي أزين لهم المعاصي في الارض أي في الدنيا التي هي دار الغرور وأراد أنه اذا قدر على الاحتيال لآدم وهو في السماء فهو

عن عبد الملك عن مجاهد بنحوه ولم يذكر قيسا * وقال آخرون بل معناه ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال كان الحسن يقول المستقدمون في طاعة الله والمستأخرون في معصية الله حدثني المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال المستقدمين في الخير والمستأخرين يقول المبطئين عنه * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين فيها بسبب النساء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن رجل أخبرنا عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء قال فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن قال أخبرني عمرو بن مالك قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قول الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين حدثني محمد بن موسى الحرشي قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قال ابن عباس لا والله ما ان رأيت مثلها قط فكان بعض المسلمين اذا صلوا استقدموا و بعض يستأخرون فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت أيديهم فأنزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا نوح بن قيس وحدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء من أحسن الناس فكان بعض الناس يستقدم في الصف الاول لئلا يراها و يستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه في الصف فأنزل الله في شأنها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال معنى ذلك ولقد علمنا الاموات منكم يا بني آدم فتقدم موته ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد لدلالة ما قبله من الكلام وهو قوله وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون وما بعده وهو قوله وان ربك هو يحشرهم على أن ذلك كذلك اذ كان بين هذين الخبرين ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ولا جاء بعد وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق فقال جل ثناؤه لهم قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم وما كانوا يعملون ومن هو حي منكم ومن هو حادث بعدكم أيها الناس وأعمال جميعكم خيرها وشرها وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم فنجازي كلا بأعماله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حد الله

على التزيين لأولاده وهم فى الارض أقدر أو أراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الارض بأن أزين الارض فى أعينهم وأحدثهم أن الزينة هى فى الارض وحدها كقوله وان يعتذر بالمحل من ذى ضروعها * من الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى أراد يجرح عراقيبها نصلى ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم أن كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق احترز ابليس بهذا الاستثناء من الكذب فيعلم منه أن الكذب فى غاية السماحة والاخلاص فعل الشئ خالصا لله من غير شائبة الغير لا أقل من أن يكون حق الله فيه راجحا أو مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر (قال) الله سبحانه (هذا) يعنى الاخلاص طريق مستقيم علىّ أن أراعيه أو علىّ مروره أى على رضوانى وكرامتى وقيل لما ذكر اللعين أنه يغوى بنى آدم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشير اليه بقوله هذا أى تفويض الامور الى ارادتى ومشيئتى (صراط علىّ) تقريره وتأكيده ومن قرأ علىٌّ بالتنوين فهو من علو الشرف أى الاخلاص أو طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع (مستقيم) لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الحكيم المذكورون فى هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس وذلك أنه لما ذكر الا عبادك بين به أنه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله تعالى فى الاستثناء قائلا (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك) أى ولكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب أصول الاشاعرة وقال آخرون هذا تكذيب لابليس وذلك أنه أوهم عاذكر أن له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى أنه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا الا الغواة لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم وهذا يناسب أصول الاعتزال (وان جهنم لموعدهم أجمعين) قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين (لها سبعة أبواب) أى سبع طبقات بعضها فوق بعض أعلاه للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع

وعمل بغير ما أذن له به و وعد لمن تقدم فى الصفوف لسبب النساء وسارع الى محبة الله ورضوانه فى أفعاله كلها وقوله وان ربك هو يحشرهم يعنى بذلك جل ثناؤه وان ربك يا محمد هو يجمع جميع الاولين والآخرين عنده يوم القيامة أهل الطاعة منهم والمعصية وكل أحد من خلقه المستقدمين منهم والمستأخرين وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان ربك هو يحشرهم قال أى الاول والآخر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشى قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة فى قوله وان ربك هو يحشرهم قال هذا من هاهنا وهذا من هاهنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان ربك هو يحشرهم قال وكلهم ميت ثم يحشرهم ربهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عامر وان ربك هو يحشرهم قال يجمعهم الله يوم القيامة جميعا قال الحسن قال على قال داود سمعت عامرا يفسر قوله انه حكيم عليم يقول ان ربك حكيم فى تدبيره خلقه فى احيائهم اذا أحياهم وفى اماتتهم اذا أماتهم عليم بعددهم وأعمالهم وبالحى منهم والميت والمستقدم منهم والمستأخر كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كل أولئك قد علمهم الله يعنى المستقدمين والمستأخرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا آدم وهو الانسان من صلصال واختلف أهل التأويل فى معنى الصلصال فقال بعضهم هو الطين اليابس لم تصبه نار فاذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب وأما اللازب فالجيد وأما الحمأ فالحمأة وأما الصلصال فالتراب المرقق وانما سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال قال والصلصال التراب اليابس الذى يسمع له صلصلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من صلصال من حمأ مسنون قال الصلصال الطين اليابس يسمع له صلصلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس من صلصال قال الصلصال الماء يقع على الارض الطيبة ثم يحسر عنها فتشقق ثم تصير مثل الخزف الرقاق حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الانسان من ثلاثة من طين لازب وصلصال وحمأ مسنون والطين اللازب اللازق الجيد والصلصال المرقق الذى يصنع منه الفخار والمسنون الطين فيه الحمأة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون قال هو التراب اليابس الذى يبل بعد يبسه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن مسلم عن مجاهد قال

الصلصال الذي يصلصل مثل الخزف من الطين الطيب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الصلصال طين صلب يخالطه الكثيب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من صلصال قال التراب اليابس * وقال آخرون الصلصال المنتن وكأنهم وجهوا ذلك الى أنه من قولهم صل اللحم وأصل اذا أنتن يقال ذلك باللغتين كلتيهما بفعل وأفعل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من صلصال الصلصال المنتن * والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال خلق الانسان من صلصال كالفخار فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخار في يبسه ولو كان معناه في ذلك المنتن لم يشبهه بالفخار لان الفخار ليس عنتن فيشبهه به في النتن غيره وأما قوله من حمأ مسنون فان الحمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير الى السواد وقوله مسنون يعني المتغير * واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله مسنون فكان بعض نحويي البصريين يقول عني به حمأ مصور تام وذكر عن العرب أنهم قالوا سن على مثال سنة الوجه أي صورته قال وكأن سنة الشيء من ذلك أي مثاله الذي وضع عليه قال وليس من الآسن المتغير لانه من سنن مضاعف * وقال آخر منهم هو الحمأ المصبوب قال والمصبوب المسنون وهو من قولهم سننت الماء على الوجه وغيره اذا صببته وكان بعض أهل الكوفة يقول هو المتغير قال كأنه أخذ من سننت الحجر على الحجر وذلك أن يحك أحدهما بالآخر يقال منه سننته أسنه سنا فهو مسنون قال ويقال للذي يخرج من بينهما سنين ويكون ذلك منتنا وقال منه سمي المسن لان الحديد يسن عليه وأما أهل التأويل فانهم قالوا في ذلك نحو ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيري قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله من حمأ مسنون قال الحمأ المنتنة حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من حمأ مسنون قال الذي قد أنتن حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس من حمأ مسنون قال منتن حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله من حمأ مسنون قال هو التراب المبتل المنتن فجعل صلصالا كالفخار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنا ابن وكيع قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من حمأ مسنون قال منتن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من حمأ مسنون والحمأ المسنون الذي قد تغير وأنتن حدثنا محمد بن عبد الاعلى

للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة أقسام لكل قسم باب معين لكل باب جزء من أتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت مراتب العقاب أيضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال (ان المتقين في جنات وعيون) فزعم جمهور المعتزلة أنهم الذين اتقوا جميع المعاصي والا لم يفد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بأنه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه أنه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه آتيا بجميع أصنافه وأفراده الا أن الامة أجمعوا على أن التقوى عن الشرك شرط في حصول هذا الحكم والآية أيضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزمه اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر أن لا يراد شرط آخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان أقل كان أوفق لمقتضى الاصل فثبت أن المتقين يتناول جميع القائلين بكلمة الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من أهل الطاعة أو من أهل المعصية ثم ان الجنات أقلها أربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان وأما العيون فاما أن يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية واما أن يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل أن يختص بعين وينتفع بها كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم قال
ويحتمل أن تجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يعقل أن يقول لهم الله تعالى وبعض الملائكة (ادخلوها) فالجواب لعل المراد أنهم لما ملكوا الجنات فكلما أرادوا أن ينتقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ذلك ومعنى

قال ثنا محمد بن ثور عن معمر من حمإ مسنون قال قد أنتن قال منتنة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله من حمإ مسنون قال من طين لازب وهو اللازق من الكثيب وهو الرمل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله من حمإ مسنون قال الحمأ المنتن * وقال آخرون منهم في ذلك هو الطين الرطب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من حمإ مسنون يقول من طين رطب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ يقول تعالى ذكره والجانّ وقد بينا فيما مضى معنى الجانّ ولم قيل له جانّ وعنى بالجانّ ههنا ابليس أبا الجن يقول تعالى ذكره وابليس خلقناه من قبل الانسان من نار السموم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والجانّ خلقناه من قبل وهو ابليس خلق قبل آدم وانما خلق آدم آخر الخلق فحسده عدو الله ابليس على ما أعطاه الله من الكرامة فقال أنا ناري" وهذا طيني" فكانت السجدة لآدم والطاعة لله تعالى ذكره فقال اخرج منها فانك رجيم واختلف أهل التأويل في معنى نار السموم فقال بعضهم هي السموم الحارّة التي تقتل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس في قوله والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم قال السموم الحارّة التي تقتل حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم قال هي السموم التي تقتل فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هي السموم التي تقتل * وقال آخرون يعني بذلك من لهب النار ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم قال من لهب من نار السموم حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان عن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال دخلت على عمرو بن الأصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثا سمعته من عبد الله سمعت عبد الله يقول هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التي خرج منها الجانّ قال وتلا والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم وكان بعض أهل العربية يقول السموم بالليل والنهار وقال بعضهم الحرور بالنهار والسموم بالليل يقال سم يومنا يسم سموما حدثني المثنى قال ثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد ابن معقل قال سمعت وهب بن منبه وسئل عن الجن ماهم وهل يأكلون أو يشربون أو يموتون أو يتناكحون قال هم أجناس فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون وهي هذه التي منها السعالى والغول وأشباه ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا

(بسلام) أي مع السلامة من آفات النقص والانقطاع قوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل) قد مر تفسيره في الاعراف (اخوانا) نصب على الحال وكذلك (على سرر متقابلين) والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش مستقره الذي يطمئن عليه حال سروره وفرحه والتركيب يدور على العزة والنفاسة ومنه قولهم سرار الوادي لأفضل موضع منه ومنه السر الذي يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الآخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون تقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم أن الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الآفات آمنة من الزوال فقوله ان المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها رمز الى أنها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله (لا يمسهم فيها نصب) أي تعب تلويح الى كونها سالمة من المنغصات الا أن قوله ونزعنا ما في صدورهم اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفي المضار الجسدانية وقوله (وما هم منها بمخرجين) مفيد لمعنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال (نبئ عبادي) وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها اسهاد رسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بأن وبالفصل وبصيغتي الغفور والرحيم مع نوع تكرر وكل ذلك يدل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ۞ التأويل ربما يود الذين كفروا أي النفوس الكافرة لو كانوا مستسلمين لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها وتبدلت أحوالها من الامارية الى الاطمئنان فتمنت حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدء الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح ثم هذه النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت الميشوم

من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته يقول فاذا صورته فعدلت صورته ونفخت فيه من روحي فصار بشرا حيا فقعوا له ساجدين سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة وقد حدثني جعفر بن مكرم قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم وخلق ملائكة أخرى فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا قال فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال اني خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فقالوا سمعنا وأطعنا الا ابليس كان من الكافرين الاولين * القول في تأويل قوله تعالى (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) يقول تعالى ذكره فلما خلق الله ذلك البشر ونفخ فيه الروح بعد أن سوّاه سجد الملائكة كلهم جميعا الا ابليس فانه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا فقال الله تعالى ذكره يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين يقول ما منعك من أن تكون مع الساجدين فأن في قول بعض نحويي الكوفة خفض وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض * القول في تأويل قوله تعالى (قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين) يقول تعالى ذكره قال ابليس لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وهو من طين وأنا من نار والنار تأكل الطين وقوله فاخرج منها يقول قال الله تعالى ذكره لابليس فاخرج منها فانك رجيم والرجيم المرجوم صرف من مفعول الى فعيل وهو المشتوم كذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانك رجيم والرجيم الملعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فاخرج منها فانك رجيم قال ملعون والرجم في القرآن الشتم وقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين يقول وان غضب الله عليك باخراجه اياك من السموات وطرده عنها الى يوم المجازاة وذلك يوم القيامة وقد بينا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن اعادته ههنا * القول في تأويل قوله تعالى (قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يقول تعالى ذكره قال ابليس رب فاذ أخرجتني من السموات ولعنتني فأخرني الى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة قال الله له فانك ممن أخر هلاكه الى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي وذلك حين لا يبقى على الارض من بني آدم ديار * القول في تأويل قوله تعالى (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) يقول تعالى ذكره قال ابليس رب بما أغويتني باغوائك لأزينن لهم في الارض

وكان

الى طبعها واستحسن المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا وما أهلكنا من قرية من القرى البدنية بافساد استعدادها الا ولها كتاب مكتوب في علم الله من سوء أعماله وأحواله ما تسبق من أمة أجلها متى يظهر منها ما هو سبب هلاكها وما يستأخرون لحظة بعد استيفاء أسباب هلاكها وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لوما تأتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى أن النفس الامارة لا تؤمن بما أنزل الله الى القلوب من أنوار الالهية حتى تصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو أنزلت قبل أوانها وكمال استعداد القلوب ما كانوا اذا منظرين مؤخرين من الهلاك لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان والمنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من أسلكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لأنكر وافتح الباب ولقد جعلنا في سماء القلب بروج الاطوار فكما أن البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات وأقمار المكاشفات وسيارات اللوامع والطوالع وزيناها لأهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الأمارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان فأدركه شعلة من أنوار تلك الشواهد فدفع محل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه أن أرض البشرية تميل كنفس الحيوانات الى أن أرساها الله بجبال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي أسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان غذاءه من مواهب الحق وتجلي جماله فقط ولكل شيء خزانة فلصورة الاجسام خزانة ولاسمها خزانة ولمعناها خزانة وكذا للونها ولطعمها ولخواصها من المنافع والمضار وكذا لظلمتها ونورها ولملكها وملكوتها وما من شيء الا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى بأجمعها وأرسلنا رياح العناية لواقح لأشجار القلوب بأنهار الكشوف وبأثمار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على أسرار العارفين أعتقهم من هواجس أنفسهم ورعونات طبائعهم

وكأن قوله بما أغويتني خرّج مخرج القسم كما يقال بالله أو بعزة الله لأغوينهم وعنى بقوله لأزينن لهم في الارض لأحسنن لهم معاصيك ولأحببنها اليهم في الارض ولأغوينهم أجمعين يقول ولأضلنهم عن سبيل الرشاد الا عبادك منهم المخلصين يقول الا من أخلصته بتوفيقك فهديته فان ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به وقد قرئ الا عبادك منهم المخلصين فمن قرأ ذلك كذلك فانه يعني به الا من أخلص طاعتك فانه لا سبيل لي عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا عبادك منهم المخلصين يعني المؤمنين **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا عمرو عن سعيد عن قتادة الا عبادك منهم المخلصين قال قتادة هذه ثنية الله تعالى ذكره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله قال هذا صراط عليّ مستقيم فقرأه عامة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة هذا صراط عليّ مستقيم بمعنى هذا طريق اليّ مستقيم فكان معنى الكلام هذا طريق مرجعه الى فأجازي كلا بأعمالهم كما قال الله تعالى ذكره ان ربك لبالمرصاد وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده طريقك على وأنا على طريقك فكذلك قوله هذا صراط معناه هذا طريق علي وهذا طريق اليّ وكذلك تأول من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هذا صراط عليّ مستقيم قال الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرّج على شئ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا مروان بن شجاع عن خصيف عن زياد بن أبي مريم وعبد الله بن كثير أنهما قرآها هذا صراط عليّ مستقيم وقالا على هي الي وبمنزلتها **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وسعيد عن قتادة عن الحسن هذا صراط عليّ مستقيم يقول اليّ مستقيم وقرأ ذلك قيس بن عباد وابن سيرين وقتادة فيما ذكر عنهم هذا صراط عليٌّ مستقيم برفع عليٌّ على أنه نعت للصراط بمعنى رفيع ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي حماد قال ثني جعفر البصري عن ابن سيرين أنه كان يقرأ هذا صراط عليٌّ مستقيم يعني رفيع **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا صراط عليٌّ مستقيم أي رفيع مستقيم قال بشر قال يزيد قال سعيد هكذا نقرؤها نحن وقتادة **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن هرون عن أبي العوّام عن قتادة عن قيس بن عباد هذا صراط عليٌّ مستقيم يقول رفيع * والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ هذا صراط عليّ مستقيم على التأويل الذي ذكرناه

وتظهر في القلوب نتائج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فأنزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما أنتم له بخازنين في أصل الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا لنحن نحيي قلوب أوليائنا بأنوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد افناء وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشر المستقدمين الى حظائر قدسه والمستأخرين الى أسفل سافلين الطبيعة خاطب ابليس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين أي الى أن تطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح وتصير أرض النفس مشرقة وتتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون أي يبعث الارواح في قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذي يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فتنعكس نور التجلي من الارواح الى النفوس فتجعلها مطمئنة بما أغويتني أضللتني من طريق الامارية لأزينن للارواح في أرض البشرية من الاعمال الصالحات التي تورث الاخلاق الحميدة وبها تربية الارواح وترقيها ولأغوينهم أجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التي لا تتأتى الا عبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط أي هو طريق أهل الاستقامة في السير في الله المنقطعين عن غيره ان عبادي ليس لك عليهم سلطان بحجة تتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم بلا هم وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية عما سواها سبعة أبواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر والابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما أصلا الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعاني والثاني يدرك الصور والباقية أعني المفكرة والحافظة والذاكرة من أعوانهما وأكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها في الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلا جرم صارت أبوابا لجهنم فاذا استعملها في تحصيل السعادات الباقية بحسب تصرف العقل الغريزي صرن مع العقل أبوابا بل أسبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله الخذلانات آمنين من موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير في الله لا يمكن الا بالله وجذباته ولهذا قال جبرئيل ليلة

عن مجاهد والحسن البصري ومن وافقهما عليه لاجماع الحجة من القراء عليها وشذوذ ما خالفها وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين يقول تعالى ذكره ان عبادي ليس لك عليهم حجة الا من اتبعك على ما دعوته اليه من الضلالة ممن غوى وهلك حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبيد الله بن موهب قال ثنا يزيد بن قسيط قال كانت الانبياء لهم مساجد خارجة من قراهم فاذا أراد النبي أن يستنبئ ربه عن شئ خرج الى مسجده فصلى ما كتب الله له ثم سأل ما بدا له فبينما نبي في مسجده اذ جاء عدو الله حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فردد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي شئ تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أخبرني بأي شئ تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ذكره يقول ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى ذكره واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم واني والله ما أحسست بك قط الا استعذت بالله منك فقال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني بأي شئ تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ يقول تعالى ذكره لابليس وان جهنم لموعد من تبعك أجمعين لها سبعة أبواب يقول لجهنم سبعة أطباق لكل طبق منهم يعني من أتباع ابليس جزء يعني قسما ونصيبا مقسوما وذكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا هرون الغنوي قال سمعت حطان قال سمعت عليا وهو يخطب قال ان أبواب جهنم هكذا ووضع شعبة احدى يديه على الاخرى حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي هرون الغنوي عن حطان بن عبد الله قال قال علي تدرون كيف أبواب النار قلنا نعم كنحو هذه الابواب فقال لا ولكنها هكذا فوصف أبو هرون أطباقا بعضها فوق بعض وفعل ذلك أبو بشر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أبي هرون الغنوي عن حطان بن عبد الله عن علي قال هل تدرون كيف أبواب النار قالوا كنحو هذه الابواب قال لا ولكن هكذا ووصف بعضها فوق بعض حدثنا هرون ابن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال أخبرنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن هبيرة عن علي قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلئ الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم تمتلئ كلها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن هبيرة عن علي قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض وأشار بأصابعه على الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن هبيرة بن مريم قال سمعت عليا يقول ان أبواب جهنم بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الذي يليه الى آخرها حدثنا الحسن

ابن

المعراج لودنوت أنملة لاحترقت ونزعنا فيه أن نزع الغل من الصدور لا يكون الا بنزع الله وأن الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرآت من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم أن النفوس المصفاة عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها أنوار جمال الله أو جلاله انعكست منها الى من في مثل درجاتها كما تتعاكس المرايا الصافية المتحاذية فيزداد كل منها في نفسها بخفاء صفاتها وفي قوله نبئ عبادي اشارة الى أن سلوك السالكين وطير الطائرين يجب أن يكون على قدمي الرجاء والخوف وجناحي الانس والجن والله الموفق للصواب ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق

العليم ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين
وقل انى أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر
وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف (٣٥) يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك
عما يقولون فسبح بحمد ربك وكن
من الساجدين واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين) ❁ القراآت ادخلوا
وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى
وخلف غير هشام انا نبشرك بسكون
الباء وضم الشين حمزة الآخرون
بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر
النون المخففة نافع مثله ولكن
مشددة النون ابن كثير الباقون
بفتح النون على أنها علامة رفع يقنط
بكسر النون أبو عمرو وسهل
ويعقوب وعلى وخلف وكذلك بابه
الآخرون بالفتح آل لوط مدغما حيث
كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف
يعقوب وحمزة وعلى وخلف الباقون
بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان
أبو بكر وحماد بناتى إن بفتح الياء أبو
جعفر ونافع انى أنا بفتح ياء المتكلم
جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو
❁ الوقوف ابراهيم ○ ج لئلا يصير اذ
دخلوا ظرفا لنبئهم فانه محال سلاما
ط وجلون ○ عليم ○ تبشرون
○ القانطين ○ الضالون ○
المرسلون ○ مجرمين ○ لا للاستثناء
آل لوط ط أجمعين ○ لا قدرنا
لا لأن الجملة بعده مفعول والكسر
لدخول اللام فى الخبر الغابرين ○
المرسلون ○ لا لأن ما بعده جواب
لما منكرون ○ يمترون ○
لصادقون ○ تؤمرون ○ مصبحين
○ يستبشرون ○ فلا تفضحون
○ لا للعطف ولا تخزون ○ العالمين
○ فاعلين ○ ط لابتداء القسم
يعمهون ○ مشرقين ○ لا لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل ○ ط
للمتوسمين ○ مقيم ○ للمؤمنين ○ ط لتمام القصة لظالمين ○ لا لاتصال الانتقام بظلمهم منهم ○ ط لأن الواو للابتداء فلو وصل لشابه الحال وهو
محال مبين ○ ط لتمام قصتهم المرسلين ○ لا لأن الواو بعده للحال أى وقد آتيناهم معرضين ○ لا للعطف آمنين ○ ط مصبحين ○ ط للاتصال

ابن محمد قال ثنا على قال أخبرنا محمد بن يزيد الواسطى عن جهضم قال سمعت عكرمة يقول فى قوله لها سبعة أبواب قال لها سبعة أطباق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لها سبعة أبواب قال أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية والجحيم فيها أبو جهل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وهى والله منازل بأعمالهم ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه فتجنبوا معاصيه فى جنات وعيون يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين من عقاب الله أو أن تسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم وكرامة أكرمكم بها قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل يقول وأخرجنا ما فى صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض ❁ واختلف أهل التأويل فى الحال التى ينزع الله ذلك من صدورهم فقال بعضهم ينزع ذلك بعد دخولهم الجنة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن بشر البصرى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما فى صدورهم فى الدنيا من الشحناء والضغائن حتى اذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما فى صدورهم فى الدنيا من غل ثم قرأ ونزعنا ما فى صدورهم من غل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو فضالة عن لقمان عن أبى أمامة قال لا يدخل مؤمن الجنة حتى ينزع الله ما فى صدورهم من غل ثم ينزع منه مثل السبع الضارى حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج ابن المنهال قال ثنا سفيان بن عيينة عن اسرائيل عن أبى موسى سمع الحسن البصرى يقول قال على فينا والله أهل بدر نزلت الآية ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال من عداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى عن جويبر عن الضحاك ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن رجل عن على ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على على فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاء فتجفوهم قال على بفيك التراب انى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جعفر عن على نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبان بن عبد الله البجلى عن نعيم بن أبى هند عن ربعى بن حراش بنحوه وزاد فيه قال فقام الى على رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين قال فصاح على صيحة ظننت أن القصر تدهده لها ثم قال اذا لم نكن نحن فمن هم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا أبو مالك الاشجعى عن أبى حبيبة مولى لطلحة قال دخل عمران بن طلحة على على بعدما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال انى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال الله

معنى يكسبون ل م لتمام القصص الابالحق ط الجميل ٥ العليم ٥ العظيم ٥ للمؤمنين ٥ المبين ٥ ج لجواز تعلق الكاف بقوله فأخذتهم أو بقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف أى أنزلنا عليهم العذاب كما أنزلنا وتمام البحث سيجئ فى التفسير المقتسمين ٥ لا عضين ٥ أجمعين ٥ لا يعملون ٥ المشركين ٥ المستهزئين (٣٦) ٥ لا آخر ج لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون ٥ يقولون ٥ لا لاتصال الامر بالتسبيح تسلية الساجدين ٥ لا للعطف اليقين ٥ ۞ التفسير إنه سبحانه عطف (ونبئهم) على نبئ عبادى ليكون سماع هذه القصص مرغبا فى الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا من المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما فى قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوى ماذكر من أنه غفور رحيم للمؤمنين وأن عذابه عذاب أليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقدمر تفسير أكثر هذه القصة فى سورة هود فنذكر الآن ماهو مختص بالمقام فقوله (وجلون) معناه خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل أولدخولهم بغير اذن وفى غير وقت (انا نبشرك) استئناف فى معنى تعليل النهى عن الوجل بشروه بالولد الذكر وبكونه عليما فقيل أرادوا بعلمه نبوته وقيل العلم مطلقا وقوله (على أن مسنى) فى موضع الحال أى مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة فى حالة الهرم لانها أمر عجيب عادة لالأنه شك فى قدرة الله تعالى ولذلك قال (فبم تبشرون) ما استفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأى أعجوبة تبشرونى أرانكم لا تبشرونى بشئ فى الحقيقة لان ذلك أمر غير متصور فى العادة وأحسن ماقيل فيه أن لا يكون قوله عاصلة للتبشير بل يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعنى اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأى طريق تبشرونى بالولد فلذلك قالوا فى جوابه (بشرناك بالحق) أى باليقين الذى لا لبس فيه أو بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله تعالى ووعده وانه قادر على خلق الولد من غير أبوين فضلا من شيخ فان وعجوز عاقر قال أبو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز وأجيب بأنه لم يحذف الا الياء كتنماه بالكسرة ونون

اخوانا على سرر متقابلين ورجلان جالسان على ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالامس وتكونون اخوانا فقال على قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هم اذا ان لم أكن أنا وطلحة وذكر لنا أبو معاوية الحديث بطوله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الواحد قال ثنا أبو مالك قال ثنا أبو حبيبة قال قال على لابن طلحة انى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين نزع مافى صدورهم من غل و يجعلنا اخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حماد بن خالد الخياط عن أبى الحويرية قال ثنا معاوية بن اسحق عن عمران بن طلحة قال لما نظر الى على قال مرحبا بابن أخى فذكر نحوه حدثنا الحسن قال ثنا يزيد ابن هرون قال أخبرنا هشام عن محمد قال استأذن الاشتر على على وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له فلما دخل قال انى لأراك انما حبستنى لهذا قال أجل قال انى لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستنى قال أجل انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن قال ثنا اسحق الازرق قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين بنحوه حدثنا الحسن قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمى قال ثنا السكن ابن المغيرة قال ثنا معاوية بن راشد قال قال على انى لارجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا ابن المتوكل الناجى أن أبا سعيد الخدرى حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة قال فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله الذى كان فى الدنيا وقال بعضهم مايشبه بهم الا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد بن أبى عروبة فى هذه الآية ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال ثنا قتادة أن أبا المتوكل الناجى حدثهم أن أبا سعيد الخدرى حدثهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الى قوله وأذن لهم فى دخول الجنة ثم جعل سائر الكلام عن قتادة قال وقال قتادة فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى بمنزله ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث بشر غير أن الكلام الى آخره عن قتادة سوى أنه قال فى حديثه قال قتادة وقال بعضهم مايشبه بهم الا أهل الجمعة اذا انصرفوا من الجمعة حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا عمر بن زرعة عن محمد بن اسمعيل الزبيدى عن كثير النواء قال سمعته يقول دخلت على أبى جعفر محمد ابن على فقلت وليى وليكم وسلمى سلمكم وعدوى عدوكم وحربى حربكم انى أسألك بالله أتبرأ من أبى بكر وعمر فقال قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين تولهما يا كثير فما أدركك فهو فى رقبتى ثم تلا هذه الآية اخوانا على سرر متقابلين يقول اخوانا يقابل بعضهم وجه بعض لا يستدبره فينظر فى قفاه وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد فى قوله على سرر متقابلين قال لا ينظر أحدهم فى قفا صاحبه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن

ابن

ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله والسرر جمع سرير كما الجدد جمع جديد وجمع سرر وأظهر التضعيف فيها والرا آن متحركتان لخفة الاسماء ولا تفعل ذلك في الافعال لثقل الافعال ولكنهم يدغمون في الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف فاذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني أظهروا حينئذ التضعيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم﴾ يقول تعالى ذكره لا يمس هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم في الجنات نصب يعني تعب وما هم منها بمخرجين يقول وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين بل ذلك دائم أبدا وقوله نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبر عبادي يا محمد أني أنا الذي أستر على ذنوبهم اذا تابوا منها وأنابوا بتركها فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها الرحيم بهم أن أعذبهم بعد توبتهم منها عليها وأن عذابي هو العذاب الاليم يقول وأخبرهم أيضا أن عذابي لمن أصر على معاصي وأقام عليها ولم يتب منها هو العذاب الموجع الذي لا يشبهه عذاب هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه وأمر منه لهم بالانابة والتوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم قال بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا ابن المكي قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا مصعب بن ثابت قال ثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال طلع النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال ألا أراكم تضحكون ثم أدبر حتى اذا كان عند الحجر رجع الينا القهقرى فقال اني لما خرجت جاء جبرئيل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقول لم تقنط عبادي نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف ابراهيم يعني الملائكة الذين دخلوا على ابراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم الى قوم لوط ليهلكوهم فقالوا سلاما يقول فقال الضيف لابراهيم سلاما قال انا منكم وجلون يقول قال ابراهيم انا منكم خائفون وقد بينا وجه النصب في قوله سلاما وسبب وجل ابراهيم من ضيفه واختلاف المختلفين ودللنا على الصحيح من القول فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله قالوا سلاما وهو يعني به الضيف فجمع الخبر عنهم وهم في لفظ واحد فان الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل فلذلك جمع خبره وهو في لفظ واحد وقوله قالوا لا توجل يقول قال الضيف لابراهيم لا توجل لا تخف انا نبشرك بغلام عليم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون يقول فبأي شيء تبشرون وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن

الوقاية لم يوردها كما أوردت في قراءة التشديد وانما كسر نون الجمع لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة قيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب مزيد الطمأنينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما قضى الله أن يخرج من صلب ابراهيم اسحق ومن صلب اسحق أكثر الانبياء وقوله (فلا تكن من القانطين) لا يدل على أنه كان قانطا فقد ينهى عن الشيء ابتداء كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك أنكر ابراهيم نهيهم بقوله (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) أي المخطئون طريق الصواب أو الكافرون نظيره انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وفيه أنه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله هما لغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي أن الاولى أعلى اللغتين ثم سأل عما لاجله أرسلهم الله حيث قال (فما خطبكم) والخطب الشأن العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم وأجاب الأصم بأن المراد ما الامر الذي وجهتم فيه سوى البشرى وقال القاضي انه علم أن المقصود لو كان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم أنه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها أول ما دخلوا قبل أن يوجس ابراهيم منهم خيفة قلت لعله استصغر أمر التبشير اما لاجل التواضع واما لأنه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذي هو أعظم من ذلك وأتم تعظيما لشأنهم (قالوا انا أرسلنا) زعم صاحب الكشاف أن الارسال ههنا في معنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر أو السهم الى المرمى وأقول كأنه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا أرسلنا اليهم لنهلكهم (الا آل لوط) وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين لان القوم موصوفون بالاجرام دون آل لوط ويكون قوله (انا لمنجوهم) جاريا مجرى خبر لكن كأنه قيل لكن قوم لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء من الاستثناء أي أرسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط (الا امرأته) كقول المقر لفلان على عشرة الا ثلاثة الا واحدا وجوز

فى الكشاف أن يكون قوله الا آل لوط مستثنى من الضمير فى مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا أى الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط
وحدهم ولم لا يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على أن آل لوط مستثنى من معمول أرسلنا أو مجرمين والا امرأته من معمول منجوهم وقد
عرفت ما فيه على أنه اذا جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو آل الامر الى ما ذكرنا فلا أدرى لم استبعده مع وفور فضله قال

أهل اللغة قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعلت الشئ على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات أى جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور أى جعلها على مقدار ما يكفى فى أبواب الخير والشر وقيل فى معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشدد فى هذا المعنى أكثر استعمالا وانه جواب سؤال كأنه قيل ما لها استثنيت من الناجين فقيل (قدرنا انها لمن الغابرين) أى الباقين فى الهوالك ويقال للماضى أيضا غابر وهو من الاضداد قال فى الكشاف علق فعل التقدير مع أن التعليق من خصائص أفعال القلوب لانه فى معنى العلم وانما أسندوا الفعل الى أنفسهم مع أن التقدير لله عز وجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بأنهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) أى لوط (انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر منكم وذلك أنهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف أن يطرقوه بشر فلذلك (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرحك وتشفيك من
عدوك وهو العذاب الذى كنت تخوفهم به وهم يشكون فى وقوعه (وأتيناك بالحق) باليقين الثابت وقال الكلبى قال ه
بالعذاب الذى لا شك فيه (وانا لصادقون) فيما أخبرناك به (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أى فى آخره وقدم فى سورة هود وزاد ههنا قوله (واتبع
أدبارهم) لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى حالهم ففى الآية زيادة بيان لكيفية الاسراء ثم زاد فى البيان فقال (ولا تلتفت

محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون قال عجب من كبره وكبر امرأته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال على أن مسنى الكبر ومعناه لأن مسنى الكبر وبأن مسنى الكبر وهو نحو قوله حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق بمعنى بأن لا أقول وبمثله فى الكلام أتيتك أنك تعطى فلم أجدك تعطى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يقول تعالى ذكره قال ضيف ابراهيم له بشرناك بحق يقين وعلم منا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البشرى واختلفت القراء فى قراءة قوله من القانطين فقرأته عامة قراء الامصار من القانطين بالألف وذكر عن يحيى بن وثاب أنه كان يقرأ ذلك القنطين * والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة على ذلك وشذوذ ما خالفه وقوله قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للضيف ومن ييأس من رحمة الله الا القوم الذين قد أخطؤا سبيل الصواب وتركوا قصد السبيل فى تركهم رجاء الله ولا يخيب من رجاه فضلوا بذلك عن دين الله واختلفت القراء فى قراءة قوله ومن يقنط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ومن يقنط بفتح النون الا الاعمش والكسائى فانهما كسرا النون من يقنط فأما الذين فتحوا النون منه ممن ذكرنا فانهم قرؤا من بعد ما قنطوا بفتح القاف والنون وأما الاعمش فكان يقرأ ذلك من بعد ما قنطوا بكسر النون وكان الكسائى يقرؤه بفتح النون وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ الحرفين جميعا على النحو الذى ذكرنا من قراءة الكسائى * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ من بعد ما قنطوا بفتح النون ومن يقنط بكسر النون لاجماع الحجة من القراء على فتحها فى قوله من بعد ما قنطوا فكسرها فى ومن يقنط أولى اذ كان مجمعا على فتحها فى قنط لان فعل اذا كانت عين الفعل منها مفتوحة ولم تكن من الحروف الستة التى هى حروف الحلق فانها تكون فى يفعل مكسورة أو مضمومة فأما الفتح فلا يعرف ذلك فى كلام العرب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للملائكة فما شأنكم ما أمركم أيها المرسلون قالت الملائكة له انا أرسلنا الى قوم مجرمين يقول الى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله الا آل لوط يقول الا اتباع لوط على ما هو عليه من الدين فانا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذى أمرنا أن نعذب به قوم لوط سوى امرأة لوط قدرنا انها من الغابرين يقول قضى الله فيها انها لمن الباقين ثم هى مهلكة بعد وقد بينا معنى الغابر فيما مضى بشواهده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يقول تعالى ذكره فلما أتى رسل الله آل لوط أنكرهم لوط فلم يعرفهم وقال لهم انكم قوم منكرون أى ننكركم لا نعرفكم فقالت له الرسل بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

منكم أحد) ولم يستثن امرأته اكتفاء بما مر في السورة من قوله الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قال جار الله ثم أمر باتباع أدبارهم ونهى عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع أنهم ليسوا من أهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز أن يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني لأن من يلتفت لابد أن يقع له أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) قال الجوهري مضى الشئ مضيا ذهب ومضى في الامر مضيا أنفذه وقال في الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لأن حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون قلت حاصل الكلام يرجع الى قوله اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه أو أنفذوا أمر الذهاب الى هنالك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط ثم أخبر عن حالهم مجملا فقال (وقضينا) ضمن معنى أوحينا ولذلك عدى بالى كأنه قيل وأوحينا (اليه ذلك الامر) مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي يستأصلون عن آخرهم حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشأن الامر وتعظيم له ثم حكى ما أبدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال (وجاء أهل المدينة) أي أهل سذوم التي ضرب بقاضيها المثل فقيل أجور من قاضي سذوم (يستبشرون) بظهور السرور بمجيء الملائكة لانهم رأوهم مردا حسان الوجوه (قال) لوط لما قصدوا أضيافه (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا أسيء اليه في دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار (واتقوا الله ولا تخزون) مر في هود (قالوا) في جواب لوط (أولم ننهك عن العالمين) أي ألسنا نهيناك عن أن تكلمنا في شأن أحد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط عليه السلام ينهاهم عن ذلك فأوعدوه

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قال انكم قوم منكرون قال أنكرهم لوط وقوله بما كانوا فيه يمترون قال بعذاب قوم لوط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون) يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط وجئناك بالحق اليقين من عند الله وذلك الحق هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذبهم به وقولهم وانا لصادقون يقولون انا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مهلك قومك فأسر بأهلك بقطع من الليل يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط فأسر بأهلك ببقية من الليل واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسري بهم كن من ورائهم وسر خلفهم وهم أمامك ولا يلتفت منكم وراءه أحد وامضوا حيث يأمركم الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يلتفت منكم أحد لا يلتفت وراءه أحد ولا يعرج حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يلتفت منكم أحد لا ينظر وراءه أحد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتبع أدبارهم قال أمر أن يكون خلف أهله يتبع أدبارهم في آخرهم اذا مشوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأسر بأهلك بقطع من الليل قال بعض الليل واتبع أدبارهم أدبار أهله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون) يقول تعالى ذكره وفرغنا الى لوط من ذلك الامر وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يقول أن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم وأن من قوله أن دابر في موضع نصب ردا على الامر بوقوع القضاء عليها وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض ويكون معناه وقضينا اليه ذلك الامر بأن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وقلنا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وعني بقوله مصبحين اذا أصبحوا أو حين يصبحون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يعني استئصال هلاكهم مصبحين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

نظيره لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) من الصلب أو أراد نساء أمته كما مر فى هود قال جار الله (ان كنتم فاعلين) شك فى قبولهم لقوله كأنه قال وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك) مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال أى قسمى أو هو مما أقسم به

ابن زيد فى قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال أوحينا اليه وقوله وجاء أهل المدينة يستبشرون يقول وجاء أهل مدينة سدوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم فى ركوب الفاحشة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء أهل المدينة يستبشرون استبشروا بأضياف نبى الله صلى الله عليه وسلم لوط حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا اليهم من المنكر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين) يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه ان هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفى وحق على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون أيها القوم فى ضيفى وأكرمونى فى ترككم التعرض لهم بالمكروه وقوله واتقوا الله يقول وخافوا الله فىّ وفى أنفسكم أن يحل بكم عقابه ولا تخزون يقول ولا تذلونى ولا تهينونى فيهم بالتعرض لهم بالمكروه قالوا أولم ننهك عن العالمين يقول تعالى ذكره قال للوط قومه أولم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم ننهك عن العالمين قال ألم ننهك أن تضيف أحدا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين) يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه تزوجوا النساء فأتوهن ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من اتيان الرجال ان كنتم فاعلين ما آمركم به ومنتهين الى أمرى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين أمرهم نبى الله لوط أن يتزوجوا النساء وأراد أن يقى أضيافه ببناته وقوله لعمرك يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وحياتك يا محمد ان قومك من قريش لفى سكرتهم يعمهون يقول لفى ضلالتهم وجهلهم يترددون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى ذكره لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمى قال ثنا الحسن بن أبى جعفر قال ثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قول الله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال ما حلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم قال وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك فى الدنيا انهم لفى سكرتهم يعمهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وهى كلمة من كلام العرب لفى سكرتهم أى فى ضلالتهم يعمهون أى يلعبون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال لفى غفلتهم يترددون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى سكرتهم قال فى ضلالتهم يعمهون قال يلعبون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال مجاهد يعمهون قال يترددون حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعمرك يقول لعيشك انهم لفى سكرتهم يعمهون قال يتمادون

والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح اتباعا للاخف فان الحلف كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفى سكرتهم) غوايتهم التى أذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطئهم وصوابك (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك الذى تأمرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم بحياته صلى الله عليه وسلم كرامة له صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد قط وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله (فأخذتهم الصيحة مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من أول الصبح لقوله مصبحين أليس الصبح بقريب وغايته كانت عند طلوع الشمس قال المفسرون هى صيحة جبرئيل قلت و يحتمل أن تكون صيحة قلب المدائن وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال (وأمطرنا عليهم) وفى سورة هود وأمطرنا عليها لانه أراد ههنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا أرسلنا الى قوم مجرمين (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت فى النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشىء فعبر به عن التأمل والتفكر (وانها) يعنى تلك القرى وآثارها (لبسبيل مقيم)

ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار قهر الله وغضبه هنالك قال بعضهم انما جمع الآيات فى قوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين لأنه أشار الى ما تقدم عن ضيف ابراهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم وقال فى الثانية وانها أى القرية لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) وقيل ما جاء من

حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يكرهون أن يقول الرجل لعمري يرونه كقوله وحياتي وقوله فأخذتهم الصيحة مشرقين يقول تعالى ذكره فأخذتهم صاعقة العذاب وهي الصيحة مشرقين يقول اذا أشرقوا ومعناه اذا أشرقت الشمس ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى اذا أصبحوا واذا أشرقوا يقال منه صيح بهم اذا أهلكوا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأخذتهم الصيحة مشرقين قال حين أشرقت الشمس ذلك مشرقين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ يقول تعالى ذكره فجعلنا عالي أرضهم سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (١) كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل أي من طين وقوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول ان في الذي فعلنا بقوم لوط من اهلاكهم وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به وانما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله صلى الله عليه وسلم من قريش يقول فلقومك يا محمد في قوم لوط وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم وتمادوا في غيهم وضلالهم معتبر وبنحو الذي قلنا في معنى قوله للمتوسمين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا عبد الملك بن أبي سليمن عن قيس عن مجاهد في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عبد الملك وحدثنا الحسن الزعفراني قال ثنى محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال للمتفرسين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المتوسمين المتفرسين قال * توسمت فيك الخير نافلة * حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عبد الملك ابن أبي سليمن عن قيس عن مجاهد ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفرسين حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس ان في ذلك لآيات للمتوسمين يقول للناظرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك للمتوسمين قال للناظرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لآيات للمتوسمين أي المعتبرين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله للمتوسمين قال للمعتبرين حدثني محمد بن عمارة قال ثنى حسن بن مالك قال ثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة

(١) لعل الأصل من سجيل أي من طين كما يظهر بالتأمل فتنبه كتبه مصححه

القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلهذا ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم أجمل قصة قوم شعيب فقال (وان كان أصحاب الأيكة لظالمين) إن مخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا أصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها والايكة الشجر الملتف والضمير في قوله (وانهما) يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر أحد الموضعين ههنا وهو الايكة على الآخر (لبامام مبين) لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء أو لأن القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين (وآتيناهم) أي أعطينا رسولهم (آياتنا) أراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف (فكانوا عنها) أي عن النظر فيها والاعتبار بها (معرضين) وفيه أن التقليد مذموم والاستدلال واجب (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من أن تنهدم ويتداعى بنيانها أو يقع سقفهم عليهم أو آمنين من عذاب الله أو من حوادث الدهر (فما أغنى عنهم) لم يدفع عنهم شيأ من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي متلبسة بالفوائد والغايات والحكم الصحيحة منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض منهم وهذا النظم يناسب أصول الاعتزال قال الجبائي فيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون أن أكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل

وأجيب بأن أفعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب أن يكون الله خالقها ويمكن أن يقال في وجه النظم ان هذا ابتداء شروع
في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتصبيره على أذيات قومه بعد اقتصاص أحوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع أنبيائهم ويؤيد هذا النظم
قوله (وان الساعة لآتية) معناه ان الله سينتقم لك فيهما من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق

السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال أمرك ولما صبره على أذى قومه رغبه في الصفح فقال (فاصفح الصفح الجميل) أي فأعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لا الذي يشتمل على حقد واجتهال ومكر وان كان للعهد فلعل المراد ما أمر به في نحو قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ بآية السيف والاظهر أن حسن المعاشرة والمخالقة مأمور به ما أمكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ (ان ربك هو الخلاق) كثير الخلق (العليم) الكامل العلم يعلم ما يجري بين الخلائق من الاحوال والاخلاق وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيامة على حسب ذلك وقيل أراد انه الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم واليوم الصفح أصلح فاصفحوا الى أن يكون السيف أصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بذكر النعم العظام التي خصه بها فقال (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) أكثر المفسرين على أن المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلي رضي الله عنهم وابن مسعود وأبي هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وذلك أنها سبع آيات والمثاني جمع مثناة من التثنية أو جمع مثنية لانها تثنى في كل صلاة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها وأيضا قسمت بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث في هذا المعنى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقد مر في أول الكتاب وأيضا كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده مقرر ومما يتفرع على هذا القول ما نقل القاضي عن أبي بكر الأصم أنه رأوه

المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في ذلك لآيات للمتوسمين حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا محمد بن كثير مولى بني هاشم قال ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا الفرات بن السائب قال ثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله حدثنا عبد الأعلى بن واصل قال ثني سعيد بن محمد الجرمي قال ثنا عبد الواحد بن واصل قال ثنا أبو بشر المزلق عن ثابت البناني عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال المتفكرون والمعتبرون الذين يتوسمون الاشياء ويتفكرون فيها ويعتبرون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله للمتوسمين يقول الناظرين حدثني أبو شرحبيل الحمصي قال ثنا سليمن بن سلمة قال ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي قال ثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي قال ثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله القول في تأويل قوله تعالى (وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين) يقول تعالى ذكره وان هذه المدينة مدينة سدوم لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لا خفاء بها ولا يبرح مكانها فيجهل ذو لب أمرها وغب معصية الله والكفر به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانها لبسبيل مقيم قال لبطريق معلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانها لبسبيل مقيم يقول بطريق واضح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانها لبسبيل مقيم قال طريق السبيل الطريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لبسبيل مقيم يقول بطريق معلم وقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين يقول تعالى ذكره ان في صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به وانقاذه من عذابه اذا نزل بقوم أهل الايمان به منهم كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير في قوله ان في ذلك لآية قال هو كالرجل يقول لاهله علامة ما بيني وبينكم أن أرسل اليكم خاتمي أو آية كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان في ذلك لآية قال ألا ترى الرجل يرسل بخاتمه الى أهله فيقول هاتوا خذي هاتوا خذي فاذا

قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كأنه رأى أنه تعالى عطف عليه قوله والقرآن العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب أن تكون السبع المثاني غير القرآن والجواب أنه قد يكون بعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل أو بالعكس كما في الآية والمقصود في الوصفين تميز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فإن قلت ليس لعطف الكل على البعض نظير والاستدلال بالآية استدلال بصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك دليلا على أنه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد بن جبير في رواية أن السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك أو لأنها تثني على الله بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى وأنكر الربيع هذا القول لأن هذه السورة مكية وأكثر تلك السور مدنية وأجيب بأن المراد من الإيتاء إنزالها إلى السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بأن إطلاق لفظ الإيتاء على ما لم يصل بعد إليه خلاف الظاهر وقال قوم السبع المثاني هي التي دون الطوال والمئين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية هذه السور مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروى عن ابن عباس وإليه ذهب طاوس أنها هي القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثاني وأنها سبعة أسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى العطف على هذا القول الجمعة كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام وكأنه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج ووافقه صاحب الكشاف ومن في من المثاني للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول وللبيان إذا أردت الأسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية ورغبه فيها نفره من اللذات العاجلة الزائلة لأن كل

رأوه علموا أنه حق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾ يقول تعالى ذكره وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين يقول كانوا بالله كافرين والأيكة الشجر الملتف المجتمع كما قال أمية

كبكا الحمام على فروع الأيك في الغصن الجوانح

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف قال في قوله أصحاب الأيكة قال الشجر وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة وفي الشتاء اليابسة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة وكان عامة شجرهم هذا الدوم وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم وإلى أهل مدين أرسل إلى أمتين من الناس وعذبتا بعذابين شتى أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس ذكر لنا أنه سلط عليهم الحر سبعة أيام لا يظلهم منه ظل ولا يمنعهم منه شيء فبعث الله عليهم سحابة فحلوا تحتها يلتمسون الروح فيها فجعلها الله عليهم عذابا بعث عليهم نارا فاضطرمت عليهم فأكلتهم فذلك عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قال أصحاب الأيكة أصحاب غيضة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين قال قوم شعيب قال ابن عباس الأيكة ذات آجام وشجر كانوا فيها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أصحاب الأيكة قال هم قوم شعيب والأيكة الغيضة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة أنه قال إن أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف وقوله فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين يقول تعالى ذكره فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة وقوله وإنهما لبإمام مبين يقول وإن مدينة أصحاب الأيكة ومدينة قوم لوط والهاء والميم في قوله وإنهما من ذكر المدينتين لبإمام يقول لبطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به مبين يقول يبين لمن ائتم به استقامته وإنما جعل الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وإنهما لبإمام مبين يقول على الطريق حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين يقول طريق ظاهر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وإنهما لبإمام مبين قال بطريق معلم حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وإنهما لبإمام مبين قال طريق واضح حدثت

نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقرآن أى لم يستغن به فليس منا وقول أبى بكر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القرآن الواقف على معانيه أن لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدى انما يكون مادّا عينيه الى الشئ اذا أدام النظر نحوه وادامة النظر اليه تدل على استحسانه وتمنيه وقال فى الكشاف معنى (لا تمدن) لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى أصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهرى الأزواج القرناء وقال بعضهم لا تمدن عينيك أى لا تحسدن أحدا على ما أوتى من الدنيا وضعف بأن الحسد منهى عنه مطلقا فكيف يحسن تخصيص الرسول به ويمكن أن يجاب بأن المراد منه نهى التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد الغبطة فهى محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لجلالة منصبه وان كانت جائزة لأمته ويروى أنه وافت من بلاد الشام سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع وانما قال فى هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما فى سورة طه ثم لما نهاه عن الالتفات الى أموالهم وأمتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم أنفسهم وان لم يحصل لهم فى قلبه قدر ووزن فقال (ولا تحزن عليهم) أى على أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وكما أمره بالتكبر على الاغنياء والترفع عنهم اذا كانوا كفارا أمره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال (واخفض جناحك للمؤمنين) الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال فى سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وأنذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر أن اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالأقربين من

عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لبامام مبين بطريق مستبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد كذب سكان الحجر وجعلوا السكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها كما قال تعالى ذكره ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها والحجر مدينة ثمود وكان قتادة يقول فى معنى الحجر ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أصحاب الحجر قال أصحاب الوادى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب وهو يذكر الحجر مساكن ثمود قال قال سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال مررنا مع النبى صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر فأسرع حتى خلفها حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن أبى عباد المكى قال ثنا داود بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابن سابط عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالحجر هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله الا رجلا كان فى حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل يا رسول الله من هو قال أبو رغال وقوله وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يقول وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به اليهم رسولنا صالحا فكانوا عن آياتنا التى آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ يقول تعالى ذكره وكان أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التى نحتوها من الجبال وقيل آمنين من الموت وقوله فأخذتهم الصيحة مصبحين يقول فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذى وعدوا العذاب وقيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الاعمال الخبيثة قبل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا الخلائق كلها سماءها وأرضها ما فيهما وما بينهما يعنى بقوله وما بينهما مما فى أطباق ذلك الا بالحق يقول الا بالعدل والانصاف لا بالظلم والجور وانما يعنى تعالى ذكره بذلك أنه لم يظلم أحدا من الامم التى اقتص قصصها فى هذه السورة وقصص اهلاكه اياها بما فعل به من تعجيل النقمة له على كفره به فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق لانه لم يخلق السموات والارض وما بينهما بالظلم والجور ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل وقوله وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان الساعة وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة لجائية فارض بها المشركى قومك الذين كذبوك وردوا عليك ما جئتهم به من الحق فاصفح الصفح الجميل يقول فأعرض عنهم اعراضا جميلا واعف عنهم عفوا حسنا

عشيرته فقد يدل من اتبعك ليعلم أن هذا التشريف شامل لجميع متبعيه من الأمة ولما بعثه على الرفق بأهل الايمان أمره بالانذار لكل المكلفين
فقال (وقل انى أنا النذير المبين) ويدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع التكاليف لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل
ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل فى كونه مبينا كونه شارحا لجميع مراتب (٣٥) أهل التكاليف من الجنة والنار فالانذار بالنار
والاحذار بالجنة هو الاخبار عن
موجب الحرمان عنها وفى متعلق
قوله (كما أنزلنا) وجهان بعد ما مر به
فى الوقوف أحدهما أن يتعلق
بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا
عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين)
ومن هم قيل أهل الكتاب (الذين
جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء
جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من
عضى الشاة اذا جعلها أجزاء
واعضاء أو فعلة من عضهته اذا بهته
فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن
عكرمة العضه السحر بلسان
قريش يقولون للساحرة عاضهة
ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة فمنقصانها
الهاء أيضا وجمعت العضة بالمعانى
جمع العقلاء لما لحقها من الحذف
فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا
عما لحقها من الحذف كسنين
فعنى الآية أن اليهود اقتسموا
القرآن الى حق وباطل وحرفوه
فقالوا بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل مخالف
لهما ويجوز أن يراد بالقرآن
ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه
بتحريفهم وتكذيبهم والاقرار
بالبعض والتكذيب بالبعض
كقوله أفتؤمنون ببعض الكتاب
وتكفرون ببعض وفى هذا تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن
تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا
وسط بين المتعلق بقوله لا تمدن
الآية لانه مدد التسلية لما فيه من
النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين * الوجه الثانى أن يتعلق بقوله النذير المبين وعلى
هذا لا يكون بد من التزام اضمار أو زيادة أما الاضمار فأن يكون التقدير انا النذير عذابا كما أنزلنا كقولك رأيت كالقمر فى الحسن أى وجها
كالقمر وأما الزيادة فأن تكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شئ ويمكن أن يقال الكاف بمعنى مثل ولا حاجة الى الالتزام والتقدير أنذر

حسنا وقوله ان ربك هو الخلاق العليم يقول تعالى ذكره ان ربك هو الذى خلقهم وخلق كل شئ
وهو عالم بهم وبتدبيرهم وما يأتون من الافعال وكان جماعة من أهل التأويل تقول هذه الآية
منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاصفح الصفح
الجميل ثم نسخ ذلك بعد فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده
ورسوله لا يقبل منهم غيره حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر
عن الضحاك فى قوله فاصفح الصفح الجميل فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وأعرض عن
المشركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله به نبيه
صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه حتى أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واحصروهم
واقعدوا لهم كل مرصد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد فاصفح
الصفح الجميل قال هذا قبل القتال حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير
عن سفيان بن عيينة فى قوله فاصفح الصفح الجميل وقوله وأعرض عن المشركين قال كان هذا قبل
أن ينزل الجهاد فلما أمر بالجهاد قاتلهم فقال أنا نبى الرحمة ونبى الملحمة وبعثت بالحصاد ولم أبعث
بالزراعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) اختلف
أهل التأويل فى معنى السبع الذى آتى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من المثانى فقال بعضهم عنى
بالسبع السبع السور من أول القرآن اللواتى يعرفن بالطول وقائلو هذه المقالة مختلفون فى المثانى
فكان بعضهم يقول المثانى هذه السبع وانما سمين بذلك لانهن تثنى فيهن الامثال والخبر والعبر ذكر
من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن يونس عن ابن سيرين عن ابن
مسعود فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال السبع الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا
ابن يمان عن سفيان عن سعيد الجريرى عن رجل عن ابن عمر قال السبع الطول حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله ولقد آتيناك سبعا من
المثانى قال السبع الطول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد
عن ابن عباس مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن الوليد
ابن العيزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هن السبع الطول ولم يعطهن أحد الا النبى صلى
الله عليه وسلم وأعطى موسى منهن اثنتين حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن الاعمش
عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتى النبى صلى الله عليه وسلم سبعا من المثانى
الطول وأوتى موسى ستا فلما ألقى الالواح رفعت اثنتان وبقيت أربع حدثنا الحسن بن محمد
قال ثنا على بن عبد الله بن جعفر قال ثنا جرير عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن
مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله سبعا من المثانى قال البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة والانعام والاعراف قال اسرائيل وذكر السابعة فنسيتها حدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى

قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار عما سيكون وقد كان واما غيرهم من أهل مكة أو من قوم صالح قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة ومداخلها أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم لاتغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا اقربا من أربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي وقال مقاتل اقتسموه قال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم أساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله لنبيتنه صالحا كما سيجيء في سورة النمل فرمتهم الملائكة بالحجارة وقتلوهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين ثم أقسم على سبيل الوعيد فقال (فوربك لنسألنهم) الآية وقد مر تفسير مثله في أول الأعراف وذلك قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم والاظهر أن الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وأن السؤال يكون عن جميع الأعمال وقد يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه قائلا (فاصدع) أي اجهر (بما تؤمر) وأظهره وفرق بين الحق والباطل وأصل الصدع الشق والفصل ومنه سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الخبر محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرائع مثل أمرتك الخير ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول وقالوا ومازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال (وأعرض عن المشركين) أي لاتبال بهم ولا تلتفت الى لومهم بالك على اظهار الدعوة وهذا لاينافي آية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم

السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس فيهن الفرائض والحدود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن خوات عن سعيد بن جبير قال السبع الطول حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أبو بشر أخبرنا عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول قال وقال مجاهد هن السبع الطول قال ويقال هن القرآن العظيم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا سعيد عن جعفر عن سعيد في قوله سبعا من المثاني قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس تثنى فيها الأحكام والفرائض حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال هن السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير في قوله سبعا من المثاني قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس قال قلت ما المثاني قال يثنى فيهن القضاء والقصص حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والأعراف ويونس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشي قال ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد عن سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال هي السبع الطول حدثنا الحسن بن محمد بن عبيد الله قال ثنا عبد الملك عن قيس عن مجاهد في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال هي السبع الطول حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال من القرآن السبع الطول السبع الاول حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد قال هن السبع الطول حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال السبع الطول حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن سفيان عن عبد الله

ابن

ابن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هي الامثال والخبر والعبر حدثنا ابن
وكيع قال ثنا ابن نمير عن اسمعيل عن خوات عن سعيد بن جبير قال هي السبع الطول
أعطي موسى ستا وأعطي محمد صلى الله عليه وسلم سبعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سبعا من المثاني يعني السبع الطول
* وقال آخرون عني بذلك سبع آيات وقالوا هن آيات فاتحة الكتاب لانهن سبع آيات وهم
أيضا مختلفون في معنى المثاني فقال بعضهم انما سمين مثاني لانهن يثنين في كل ركعة من الصلاة
ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا ابن علية عن سعيد الجريري عن
أبي نضرة قال قال رجل منا يقال له جابر أو جويبر طلبت الى عمر حاجة في خلافته فقدمت المدينة
ليلا فقلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد منزلا فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا الى
جنبي رجل يصلي يقرأ بأم الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو
عمر فكانت في نفسي فغدوت عليه فقلت يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة قال هات حاجتك قلت اني
قدمت ليلا فقلت بين أن أتخذ منزلا وبين المسجد فاخترت المسجد فأرقت نشوا من آخر الليل فاذا
الى جنبي رجل يقرأ بأم الكتاب ثم يسبح قدر السورة ثم يركع ولا يقرأ فلم أعرفه حتى جهر فاذا هو
أنت وليس كذلك نفعل قبلنا قال وكيف تفعلون قال يقرأ أحدنا أم الكتاب ثم يفتتح السورة
فيقرؤها قال مالهم يعلمون ولا يعملون ولا يعملون مالهم يعلمون ولا يعملون وما تبغي عن
السبع المثاني وعن التسبيح صلاة الخلق حدثني طليق بن محمد الواسطي قال أخبرنا يزيد عن
الجريري عن أبي نضرة عن جابر أو جويبر عن عمر بنحوه الا أنه قال فقال يقرأ القرآن ما تيسر
أحيانا ويسبح أحيانا مالهم رغبة عن فاتحة الكتاب وما يبتغي بعد المثاني وصلاة الخلق التسبيح
حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدي عن عبد خير عن علي قال
السبع المثاني فاتحة الكتاب حدثنا نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حفص بن عمر عن الحسن
ابن صالح وسفيان عن السدي عن عبد خير عن علي مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن
يمان عن سفيان عن السدي عن عبد خير عن علي مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي
وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن السدي عن عبد خير عن
علي مثله حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا هشام عن ابن
سيرين قال سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني قال فاتحة الكتاب حدثني يعقوب قال
ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة
الكتاب قال وقال ابن سيرين عن ابن مسعود هي فاتحة الكتاب حدثني المثنى قال ثنا
عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن ابن سيرين عن ابن مسعود سبعا من المثاني قال
فاتحة الكتاب حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثني أبي قال ثنا ابن جريج قال
أخبرنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من
المثاني قال هي فاتحة الكتاب فقرأها علي ستا ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة قال

آكد النهي عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال (انا كفيناك المستهزئين) ولا ريب أنهم طبقة ذو شوكة قدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة
قدره والآية لا تفيد الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم وأسماءهم مع اختلاف بينهم والأشهر على ما رواه عروة بن الزبير أنهم خمسة
نفر من الأشراف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن
ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر وقال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي وأشار الى أنف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجر ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد في تسلية نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك ثم أمره لكشف ما نابه بأربعة أشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي بذلك لانه أمر متيقن ولا يجب الاخلال بالعبادة ما دام المكلف حيا وهذا كما قيل في تحديد مدة طلب العلم انه من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له أضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المصالح الدنيوية فلا يستوحش من
فقدانها ولا يستأنس بوجدانها وقال أهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فعليه أن يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر أنواع
العبادة فكأنه يقول وجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكاره وقالت المعتزلة من اعتقد تنزيه الله عن القبائح سهل
عليه تحمل المشاق لانه يعلم أنه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطمئن قلبه ﴿ التأويل ﴾ في بشارة ابراهيم اشارة الى أن الطالب

صادق وان كان مسناضعيف القوى كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد فانه ينبغى أن لا يقنط من رحمة الله و يتقرب اليه بالاعمال القلبية
ليتقرب اليه ربه بأصناف الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب روحه ورحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله الذى فى
قلب المؤمن ان فى ذلك لآيات لاصحاب (٣٨) القلوب المتوسمين بشواهد أحكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وأرض الاشباح وما
بينهما من النفوس والقلوب
والأسرار والخفيات الا بالحق أى
الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان
المخصوص بذلك من بين سائر
المخلوقات وان الساعة يعنى قيامة
العشق لآتية لنفوس الطالبين
الصادقين من أصحاب الرياضات لان
أنفسهم تموت بالرياضة ومن مات
فقد قامت قيامته فاصفح أيها
الطالب الصادق عن النفس المرتاضة
بأن تداويها وتواسيها فان فى قيامة
العشق يحصل من تزكية النفس
فى لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة
فى سنين كثيرة ومن هنا قيل جذبة
من جذبات الرحمن توازى عمل
الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور
المخلوقات ولمعانيها ولحقائقها العليم
عن خلقه مستعدا لمظهرية ذاته
وصفاته ومظهريتهما وليس ذلك فى
السموات والارض وما بينهما الا
الانسان الكامل وغيره مختص
بمظهرية الصفات دون الذات وان
كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك
سبعا أى سبع صفات ذاتية لله
تبارك وتعالى السمع والبصر
والكلام والحياة والعلم والاراده
والقدرة من المثانى أى من
خصوصية المظهرية والمظهرية
للذات والصفات والقرآن العظيم
ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان
خلقه القرآن لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به أزواجا من أهل الدنيا
والآخرة واخفض جناحك
للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح
همتك اليه على المقتسمين الذين قسموا قهر الله على أنفسهم فصار وامظاهر القهر الذين جعلوا القرآن سبعا
عضين أى جزؤه فى الاستعمال فقوم قرؤه ليقال لهم القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه ليقال لهم الحفاظ وبه يجرّون الرزق وقوم صنفوا تفسيره
وتأويله اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معانيه وفقهه على وفق آرائهم ومذاهبهم فكفروا اذ فسروا القرآن برأيهم

سعيد وقرأها ابن عباس علىّ كما قرأها عليك ثم قال الآية السابعة بسم الله الرحمن الرحيم فقال
ابن عباس قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال أخبرنى ابن جريج أن أباه حدثه عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس فاستفتح
بيسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم قال تدرى ما هذا ولقد آتيناك سبعا من المثانى
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس
قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى يقول السبع الحمد لله رب العالمين والقرآن العظيم ويقال
هن السبع الطول وهن المثون حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن
ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فاتحة الكتاب حدثنى عمران بن موسى
القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر وعن أبى فاختة فى هذه
الآية ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قالا هى أم الكتاب حدثنى المثنى قال ثنا
وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن السدى عمن سمع عليا يقول الحمد لله رب العالمين هى السبع
المثانى حدثنا أبو المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت العلاء بن عبد الرحمن
يحدث عن أبيه عن أبى بن كعب أنه قال السبع المثانى الحمد لله رب العالمين حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية فى قول الله تعالى ولقد
آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة الكتاب سبع آيات قلت للربيع انهم يقولون السبع الطول
فقال لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطول شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال فاتحة الكتاب قال وانما سميت
المثانى لانه يثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها فقيل لابى العالية ان الضحاك بن مزاحم يقول هى
السبع الطول فقال لقد نزلت هذه السورة سبعا من المثانى وما أنزل شئ من الطول حدثنا أبو
كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن أبيه عن سعيد بن جبير قال فاتحة الكتاب حدثنا
أبو كريب قال ثنا ابن يمان وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى جميعا عن سفيان عن الحسن
ابن عبيد الله عن ابراهيم قال فاتحة الكتاب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا
سفيان عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان وحدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبى وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن هرون بن أبى
ابراهيم البربرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال السبع من المثانى فاتحة الكتاب حدثنا أبو
كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن أبى مليكة ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة
الكتاب قال وذكر فاتحة الكتاب لنبيكم صلى الله عليه وسلم لم تذكر لنبى قبله حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن شهر بن حوشب فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال فاتحة
الكتاب حدثنى محمد بن أبى خداش قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا هرون البربرى عن عبد الله
ابن عبيد بن عمير الليثى فى قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى قال هى الحمد لله رب العالمين
حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن قوله تعالى ولقد آتيناك

أنا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله إلها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لأنك لست منهم وكن من الساجدين سجدة الشكر واعبد ربك بالاخلاص حتى يأتيك اليقين أي الى الابدال لأن كل مقام يحصل فيه اليقين بالعيان بعد العرفان فانه يحصل فوقه مقام آخر مشكوك فيه الى أن يحصل برد اليقين فيه أيضا فهنالك مراتب لا تتناهى فاليقين يكون اشارة الى الأبد والله أعلم

(سورة النحل مكية غير ثلاث آيات وان عاقبتم الخ حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة كلمها ألف وثمانمائة وأحد وأربعون آياتها مائة وثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم

سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها الحمد لله رب العالمين حتى أتى على آخرها فقال تثنى في كل قراءة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال فاتحة الكتاب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد قال فاتحة الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب وأنهن يثنين في كل قراءة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة مكتوبة وتطوع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حماد بن زيد وحجاج عن ابن جريج قال أخبرني أبي عن سعيد بن جبير أنه أخبره أنه سئل ابن عباس عن السبع المثاني فقال أم القرآن قال سعيد ثم قرأها وقرأ منها بسم الله الرحمن الرحيم قال أبي قرأها سعيد كما قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال سعيد قلت لابن عباس فما المثاني قال هي أم القرآن استثناها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فرفعها في أم الكتاب فذخرها لهم حتى أخرجها لهم ولم يعطها لأحد قبله قال قلت لأبي أخبرك سعيد أن ابن عباس قال له بسم الله الرحمن الرحيم آية من القرآن قال نعم قال ابن جريج قال عطاء فاتحة الكتاب وهي سبع ببسم الله الرحمن الرحيم والمثاني القرآن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء أنه قال السبع المثاني أم القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا عبد الله العتكي عن خالد الحنفي قاضي مرو في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب * وقال آخرون عني بالسبع من المثاني معاني القرآن ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد الشهيدي قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن زياد بن أبي مريم في قوله سبعا من المثاني قال أعطيتك سبعة أجزاء مر وانه وبشر وأنذر واضرب الأمثال واعدد النعم وآتيتك نبأ القرآن * وقال آخرون من الذين قالوا عني بالسبع من المثاني فاتحة الكتاب المثاني هو القرآن العظيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران ابن عيينة عن حصين عن أبي مالك قال القرآن كله مثاني حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حصين عن أبي مالك قال القرآن كله مثاني حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبيد أبو زيد عن حصين عن أبي مالك قال القرآن مثاني وعد البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف وبراءة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن جريج عن مجاهد وعن ابن طاوس عن أبيه قال القرآن كله يثنى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال المثاني ما ثني من القرآن ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول المثاني القرآن يذكر الله القصة الواحدة مرارا وهو قوله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بالسبع المثاني السبع اللواتي هن آيات أم الكتاب لصحة الخبر بذلك

يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين ﴾ ۞ القرا آت تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على
الغيبة تنزل بالفتحات الثلاث الملائكة بالرفع (٤٠) سهل وروح وزيد وأبو زيد مثله لكن بضم التاء الفوقانية جبلة ينزل من الانزال
الملائكة بالنصب ابن كثير وأبو
عمرو ورويس والباقون بالتشديد
من التنزيل بشق الانفس بفتح
الشين يزيد الباقون بكسرها ننبت
بالنون يحيى وحماد الآخرون
بياء الغيبة والشمس والقمر
والنجوم مسخرات كلها مرفوعات
ابن عامر وافق حفص والمفضل في
النجوم مسخرات الباقون بنصب
الجميع على أن مسخرات حال
يسرون ويعلنون بالياء التحتانية
فيهما الخزاز عن هبيرة الآخرون
بتاء الخطاب يدعون على الغيبة
سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى
الباقون على الخطاب ۞ الوقوف
فلا تستعجلوه ط يشركون ○
فاتقون ○ بالحق ط يشركون
○ مبين ○ ج خلقها ج لاحتمال
تمام الكلام واحتمال أن يكون
لكم متعلقا به والوقف حينئذ على
لكم تأكلون ○ ص للعطف
تسرحون ○ ص لذلك الأنفس
ط رحيم ○ لا لأن الخيل مفعول خلق
وزينة ط ما لا تعلمون ○ جائر
ط أجمعين ○ تسيمون ○ الثمرات
ط يتفكرون ○ والنهار ط
لمن قرأ والشمس وما بعده بالرفع
ومن نصب الشمس والقمر ورفع
النجوم وقف على القمر ومن نصب
الكل وقف على بأمره بأمره
ط يعقلون ○ لا لان ما بعده
مفعول سخر ألوانه ط يذكرون
○ تلبسونها ج لان قوله وترى
فعل مستأنف مع اتصال المعنى
تشكرون ○ لا تهتدون ○ لا لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ○ لا يخلق ط صلى
تذكرون ○ لا تحصوها ط رحيم ○ وما تعلنون ○ وهم يخلقون ○ ط لان التقدير هم أموات غير أحياء ج لاختلاف الجملتين وما
يشعرون ○ لا لان ما بعده مفعول يبعثون ○ واحد ط لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون ○ وما يعلنون ○ المستكبرين ○

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنيه يزيد بن مخلد بن خداش الواسطي قال ثنا خالد
ابن عبد الله عن عبد الرحمن بن اسحق عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أم القرآن السبع المثاني التي أعطيتها **حدثني** أحمد بن المقدام العجلي قال ثنا يزيد
ابن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لأبي اني أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها
قال نعم يا رسول الله قال اني لأرجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلمها ثم أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيدي يحدثني فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ الباب قبل أن ينقضي الحديث فلما دنوت
قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني قال ما تقرأ في الصلاة فقرأت عليه أم القرآن فقال والذي
نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها السبع من
المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته **حدثنا** أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب العكلي
قال ثنا مالك بن أنس قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبي سعيد
مولى عامر بن فلان أو ابن فلان عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اذا
افتتحت الصلاة بم تفتتح قال الحمد لله رب العالمين حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن
عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور
ولا في القرآن مثلها قلت بلى قال اني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقمت معه فجعل يحدثني ويده في يدي فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل
أن يخبرني بها فلما قرب من الباب قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ اذا
افتتحت الصلاة قال فقرأ فاتحة الكتاب قال هي هي وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى ولقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربي
عن ابراهيم بن الفضل المدني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الركعتان اللتان لا يقرأ فيهما كالخداج لم يتما قال رجل أرأيت ان لم يكن معي الا أم القرآن
قال هي حسبك هي أم القرآن هي السبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن نمير
عن ابراهيم بن الفضل عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ركعة
التي لا يقرأ فيها كالخداج قلت لأبي هريرة فان لم يكن معي الا أم القرآن قال هي حسبك هي أم
الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد
ابن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها يعني
أم القرآن وانها لهي السبع المثاني التي آتاني الله تعالى **حدثني** يونس بن عبد الأعلى قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله

التفسير هذه السورة تسمى سورة النعم أيضا وحكى الاصم عن بعضهم أن كلها مدنية وقال الآخرون من أولها الى قوله كن فيكون مدنية وماسواه مكي وعن قتادة بالعكس منه قال أهل النظم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيأ من ذلك أقبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ماوعدوا به استهزاء وروى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ماهو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت (أتى أمر الله) فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت (فلا تستعجلوه) فاطمأنوا والحاصل أن قوله أتى أمر الله جواب عن شبهتهم اجراء للمتحقق وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاعانة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع أو المراد أن أمر الله بذلك وحكمه قد وقع وأتى فأما المحكوم به فانه لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كأنهم قالوا اهب يا محمد أنا سلمنا صحة ما تقول من أنه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا أنا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) كما مر في أول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وأن يكون لأحد من الارواح والاجساد أن يشفع عنده الا باذنه أو يستعجل في حكم من أحكامه أو قضية قبل أوانه ثم انهم كأنهم قالوا سلمنا أنه تعالى يقضي على طائفة باللطف وعلى الآخرين بالقهر ولكن كيف صرت واقفا على أسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن أين حصل لك هذا الفضل علينا فأزال الله سبحانه شبهتهم بقوله (ينزل الملائكة) الآية والمراد أن له بحكم

صلى الله عليه وسلم قال هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا يزيد بن هرون وشبابة قالا أخبرنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب قال هي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنا العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب فقال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قلت نعم يا رسول الله قال فكيف تقرأ في الصلاة فقرأت عليه أم الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما أنزلت سورة في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وانها السبع المثاني والقرآن العظيم حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا سعيد بن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه وهو يصلي فصلى ثم أتاه فقال ما منعك أن تجيبني قال اني كنت أصلي قال ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعلمنك أعظم سورة في القرآن فكأنه بينها أو نسي فقلت يا رسول الله الذي قلت قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته فاذ كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا فالواجب أن تكون المثاني مرادا بها القرآن كله فيكون معنى الكلام ولقد آتيناك سبع آيات مما يثني بعض آيه بعضا واذا كان ذلك كذلك كانت المثاني جمع مثناة وتكون آي القرآن موصوفة بذلك لان بعضها يثني بعضا وبعضها يتلو بعضا بفصول تفصل بينها فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها كما وصفها به تعالى ذكره فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك ومن قال ذلك أن القرآن انما قيل له مثاني لان القصص والاخبار كررت فيه مرة بعد أخرى وقد ذكرنا قول الحسن البصري أنها انما سميت مثاني لانها تثنى في كل قراءة وقول ابن عباس انها انما سميت مثاني لان الله تعالى ذكره استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء غيره فادخرها له وكان بعض أهل العربية يزعم أنها سميت مثاني لان فيها الرحمن الرحيم مرتين وأنها تثنى في كل سورة يعني بسم الله الرحمن الرحيم وأما القول الذي اخترناه في تأويل ذلك فهو أحد أقوال ابن عباس وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك وقد ذكرنا ذلك قبل وأما قوله والقرآن العظيم فان القرآن معطوف على السبع بمعنى ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن وغير ذلك من سائر القرآن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والقرآن العظيم قال سائره يعني سائر القرآن مع السبع من المثاني حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والقرآن العظيم يعني الكتاب كله القول في تأويل قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا

المالكية أن يختص بعض عبيده بانزال الوحي عليه و يامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة توحيد الله و بعبادته فظهر بهذا البيان أن هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن عباس أنه أراد بالملائكة ههنا جبرئيل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة وعلى هذا التفسير (٤٢) فالمراد بالروح كلام الله تعالى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال المحققون الروح الأصلي هو القرآن الذي فيه بيان المبدإ والوسط والمعاد فبه يحصل اشراق العقل وبالعقل يكمل ضياء جوهر الروح و بالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه و بهذه المناسبة يسمى جبرئيل روحا وعيسى روحا وعن أبي عبيدة أن الروح ههنا جبرئيل والباء بمعنى مع أي تنزل الملائكة مع جبرئيل وذلك أنه في أكثر الاحوال كان ينزل ومعه أقوام من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف (بالروح من أمره) أي بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من أمره معناه أن ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بأمر ربك قال الزجاج (أن أنذروا) بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وأن اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة من الثقيلة وضمير الشأن مقدر أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أي أعلموا الناس قولي (لا اله الا أنا) وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله (فاتقون) رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم أن النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحياة أبدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون جبريل صادقا ولا معصوما من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه يتوقف على أن هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بأن جبرئيل صادق مبرأ عن التلبيس وأفعال الشياطين وحينئذ يلزم الدور وهذا مقام صعب أقول قد ذكرنا مرارا أن

منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للاغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يتمتعون فيها فان من ورائهم عذابا غليظا ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على ما متعوا به فعجل لهم فان لك في الآخرة ما هو خير منه مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة باعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم يقال منه مد فلان عينه الى مال فلان اذا اشتهاه وتمناه وأراده وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي من لم يستغن به ويقول ألا تراه يقول ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال قال ومنه قول الآخر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما * وبنحو الذي قلنا في قوله أزواجا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الاغنياء الامثال الاشباه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم قال نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه وقوله واخفض جناحك للمؤمنين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وألن لمن آمن بك واتبعك واتبع كلامك وقربهم منك ولا تجف بهم ولا تغلظ عليهم يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين والجناحان من بني آدم جنباه والجناحان الناحيتان ومنه قول الله تعالى ذكره واضمم يدك الى جناحك قيل معناه الى ناحيتك وجنبك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للمشركين اني أنا النذير الذي قد أبان انذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم كما أنزلنا على المقتسمين يقول مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله المقتسمين فقال بعضهم عني به اليهود والنصارى وقال كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ذكر من قال ذلك حدثني عيسى بن عثمن الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قول الله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنا ابن المثنى

الفرق بين المعجز والسحر هو أن صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو أن الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف تشتبه المعجزة بالسحر وجبرئيل بابليس ومن أين يلزم الدور ولما بين الله سبحانه أن روح الارواح وروح الاجساد هو أن يعرف الحق لذاته والخير

لاجل أن يعمل به أتبعه دلائل التوحيد مبتدئا من الاشرف وهو السماويات الى الأدون وهو الارضيات فقال (خلق السموات والارض بالحق) وقدم تفسير مثله مرارا وقوله (تعالى عما يشركون) تنزيه لذاته عمن يشاركه فى الازلية والقدم والتدبير والتأثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله فى أول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان أشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب المذكور بقوله (خلق الانسان من نطفة) قالت الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان وفى العروق له هضم ثالث وفى جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزأ من العضو المغتذى شبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة فى أوعيتها وعلى هذا تكون النطفة جسما مختلفة الاجزاء والطبائع وان كانت تخيل فى الحس أنها متشابهة الاجزاء وكيفما كان فالمقتضى لتولد البدن منها ليس هى الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تأثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت فى مادة متشابهة الاجزاء وجب أن يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء فى قولهم البسائط يجب أن تكون أشكالها الطبيعية فى الكرة واذا عملت فى مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه ينحل الى بسائط فانه يلزم أن يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا أن حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة

المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال المقتسمين أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين قال يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض حدثنى مطر ابن محمد الضبى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم أهل الكتاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور حدثنى المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال هم أهل الكتاب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال هم اليهود والنصارى من أهل الكتاب قسموا الكتاب فجعلوه أعضاء يقول أحزابا فآمنوا ببعض وكفروا ببعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس المقتسمين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وفرقوا الكتاب * وقال آخرون المقتسمون أهل الكتاب ولكنهم سموا المقتسمين لان بعضهم قال استهزاء بالقرآن هذه السورة لى وقال بعضهم هذه لى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية الذين جعلوا القرآن عضين قال كانوا يستهزؤن يقول هذا لى سورة البقرة ويقول هذا لى سورة آل عمران * وقال آخرون هم أهل الكتاب ولكنهم قيل لهم المقتسمون لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم ذلك بايمان بعضهم ببعضها وكفره ببعض وكفر آخرين بما آمن به غيرهم وايمانهم بما كفر به الآخرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وجعلوه أعضاء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنى الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب فرقوه وبدلوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كما أنزلنا على المقتسمين قال أهل الكتاب * وقال آخرون عنى بذلك رهط من كفار قريش بأعيانهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين رهط خمسة من قريش عضهوا كتاب الله * وقال آخرون عنى بذلك رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييت صالح وأهله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن

الاستحالة فالاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله فى الاسفل والجزء الذى هو مادة القلب قد يحصل فى الفوق فلا يكون حدوث أعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما ولا أكثريا وحيث كان كذلك علمنا أن حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وأنها ليست واجبة الوجود لذاتها فلابد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير أما قوله (فاذا هو خصيم مبين) فقد ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد أن كان نطفة لاحس به ولا حراك وتقرير ذلك أن النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقل فهما وذكاء من نفوس سائر الحيوانات ألا ترى أن ولد الدجاجة كما يخرج من البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذى يوافقه والذى لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى أن يقوى على معرفـــة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما يكون بتدبير الله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة * الوجه الثانى أن المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم فعلى الوجه الاول جوز أن يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وأن يكون بمعنى مختصم وعلى الوجه الثانى تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على أن هذه الآيات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع الحكيم وقدرته لا لأجل وصف الانسان بالتمادى فى القحة والكفران وقد يرجح الثانى بما روى أن أبى بن خلف الجمحى جاء بعظم رميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم أردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التى ينتفع بها الانسان فى ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفى غير الضروريات من الاغراض الصحيحة كالتزين والجمال فقال (والانعام خلقها) هى الازواج الثمانية المذكورة فى سورة الانعام

وهب قال قال ابن زيد فى قوله كما أنزلنا على المقتسمين قال الذين تقاسموا بصالح وقرأ قول الله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله حتى بلغ الآية * وقال بعضهم هم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم كان أهلها بعثوهم فى عقابها وتقدموا الى بعضهم أن يشيع فى الناحية التى توجه اليها لمن سأله عن نبى الله صلى الله عليه وسلم من القادمين عليهم أن يقول هو مجنون والى آخر انه شاعر والى بعضهم انه ساحر * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته أن يحل بهم على كفرهم ربهم وتكذيبهم نبيهم ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين أهل الكتابين التوراة والانجيل لانهم اقتسموا كتاب الله فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالانجيل والفرقان وأقرت النصارى ببعض الانجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان وجائز أن يكون عنى بذلك المشركون من قريش لانهم اقتسموا القرآن فسماه بعضهم شعرا وبعض كهانة وبعض أساطير الاولين وجائز أن يكون عنى به الفريقان وممكن أن يكون عنى به المقتسمون على صالح من قومه فاذ لم يكن فى التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين ولا فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى فطرة عقل وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت وجب أن يكون مقتضيا بأن كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض وتصديق بعض واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله فى الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية فداخل فى ذلك لانهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين فقال بعضهم معناه الذين جعلوا القرآن فرقا مفترقة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال فرقا حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال جزؤه فجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة عن عطاء الذين جعلوا القرآن عضين قال المشركون من قريش عضوا القرآن فجعلوه أجزاء فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم مجنون فذلك العضون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جعلوا القرآن عضين جعلوا كتابهم أعضاء كأعضاء الجزور وذلك أنهم تقطعوه زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهو قوله فرقوا دينهم وكانوا شيعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذين جعلوا القرآن عضين عضهوا كتاب الله زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه كاهن «قال أبو جعفر» هكذا قال كاهن وانما هو كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش

عن

وهي الضأن والمعز والإبل والبقر وإن شئت قلت الإبل والبقر والغنم قال في الكشاف وأكثر ما يقع هذا اللفظ على الإبل قلت ويمكن أن
يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل أثقالكم لأن هذا الوصف لا يليق إلا بالإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز أن يكون معطوفا
على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال (خلقها لكم) أي ما خلقها إلا لكم (٤٥) ولمصالحكم يا جنس الإنسان قال صاحب النظم

عن أبي ظبيان عن ابن عباس الذين جعلوا القرآن عضين قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض
حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين جعلوا القرآن عضين قال
جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة قال بعضهم كهانة وقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم شعر
وقال بعضهم أساطير الأولين اكتتبها الآية جعلوه أعضاء كما تعضى الشاة فوجه قائلو هذه المقالة
قوله عضين إلى أن واحدها عضو وأن عضين جمعه وأنه مأخوذ من قولهم عضيت الشيء تعضية
إذا فرقته كما قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * يعني بالمفرق وكما قال الآخر

وعضى بني عوف فأما عدوهم * فأرضى وأما العز منهم فغيرا

يعني بقوله وعضى سباهم وقطعاهم بألسنتهما * وقال آخرون بل هي جمع عضة جمعت عضين كما
جمعت البرة برين والعزة عزين فإذا وجه ذلك إلى هذا التأويل كان أصل الكلام عضهة ذهبت
هاؤها الأصلية كما نقصوا الهاء من الشفة وأصلها شفهة ومن الشاة وأصلها شاهة يدل على أن ذلك
الأصل تصغيرهم الشفة شفيهة والشاة شويهة فيردون الهاء التي تسقط في غير حال التصغير إليها
في حال التصغير يقال منه عضهت الرجل أعضهه عضها إذا بهته وقذفته ببهتان وكأن تأويل من
تأول ذلك كذلك الذين عضهوا القرآن فقالوا هو سحر أو هو شعر نحو القول الذي ذكرناه عن
قتادة وقد قال جماعة من أهل التأويل إنه إنما عنى بالعضة في هذا الموضع نسبتهم إياه إلى أنه سحر
خاصة دون غيره من معاني الذم كما قال الشاعر * للماء من عضاتهن زمزمة * يعني من سحرهن
ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن إسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن
عكرمة الذين جعلوا القرآن عضين قال سحرا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن
ثور عن معمر عن قتادة عضين قال عضهوه وبهتوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن
معمر عن قتادة قال كان عكرمة يقول العضه السحر بلسان قريش تقول للساحرة إنها العاضهة
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا
إسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله جعلوا القرآن عضين قال
سحرا أعضاء الكتب كلها وقريش فرقوا القرآن قالوا هو سحر * والصواب من القول في ذلك
أن يقال إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم قوما عضهوا القرآن أنه لهم نذير من
عقوبة تنزل بهم بعضهم إياه مثل ما أنزل بالمقتسمين وكان عضهم إياه قذفهموه بالباطل وقيلهم
إنه شعر وسحر وما أشبه ذلك وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات به لدلالة ما قبله من ابتداء السورة
وما بعده وذلك قوله إنا كفيناك المستهزئين على صحة ما قلنا وأنه إنما عنى بقوله الذين جعلوا القرآن
عضين مشركي قومه وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن
ويكفر ببعض بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين إما مؤمن بجميعه وإما كافر بجميعه
وإذ كان ذلك كذلك فالصحيح من القول في معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين قول الذين زعموا
أنهم عضهوه فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو شعر وقال بعضهم هو كهانة وما أشبه ذلك

والأحسن الوجهين أن يكون الوقف
عند قوله خلقها بدليل أنه عطف
عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء
اسم ما يدفأ به كالملء اسم ما يملأ به
وهو الدفاء من لباس معمول من
صوف أو وبر أو شعر قال الجوهري
الدفء نتاج الإبل وألبانها وما
ينتفع به منها والدفء أيضا السخونة
وقوله (ومنافع) قالوا المراد نسلها
ودرها والمنافع بالحقيقة أعم من
ذلك فقد ينتفع بها في البيع والشراء
بالنقود والأثواب وبسائر الحاجات
أما قوله (ومنها تأكلون) بتقديم
الظرف المؤذن بالاختصاص فلأن
الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده
الناس في مآكلهم عادة وأما الأكل
من غيرها كالدجاج وصيد البر
والبحر فكغير المعتد به الجاري
مجرى التفكه ويحتمل أن يراد أن
غالب أطعمتكم إنما يحصل منها
لأنكم تحرثون بالبقر وتكتسبون
بأكراء الإبل وتشترون بنتاجها
وألبانها وجلودها جميع ما تشتهون
من الأطعمة قوله (حين تريحون)
الإراحة رد الإبل إلى مراحها حيث
تأوي إليه ليلا ويقال سرح القوم
إبلهم سرحا إذا أخرجوها بالغداة
إلى المرعى وقدم الإراحة لأن الجمال
فيها أظهر حين تقبل ملأى البطون
حافلة الضروع ثم تأوي إلى الحظائر
حاضرة لأهلها قوله (بشق الأنفس)
من قرأ بفتح الشين فمعناه المشقة
فيكون مصدر شق الأمر عليه شقا
وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع ومن قرأ بالكسر فمعناه النصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضي
في قوله لم تكونوا راجع إلى الفرض والتقدير أي لو لم نخلق الإبل لم تكونوا إلا كذلك وإنما لم يقل لم تكونوا حامليها إلى ذلك البلد ليطابق قوله
وتحمل أثقالكم لأجل المبالغة كأنه قيل قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم

و يجوز أن يكون العائد الى الاثقال محذوفا أى لم تكونوا بالغيها الا بالشق أو المراد بالاثقال الاجساد عن ابن عباس أنه فسر البلد بمكة الى اليمن و الى الشام والى مصر قال الواحدى هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها أكثر متاجر أهل مكة (ان ربكم لرؤف رحيم) (٤٦) والا لم يخلق هذه الحوامل لأجل تيسير هذه المصالح احتج منكر والكرامات بالآية على امتناع طى الارض كما ينقل عن بعض الاولياء والجواب أن الامتناع العادى لا ينافى الامكان الذاتى (والخيل والبغال والحمير) معطوفات على الانعام أى وخلق هؤلاء للركوب والزينة فانتصب على أنه مفعول له معطوف على محل (لتركبوها) وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق والتحقيق فيه أن الركوب أحد الامور المعتبرة فى المقصود بخلاف التزين بالشئ فانه قلما يلتفت اليه أرباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه غالبا وكأنه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل فى نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بأن أفعال الله معللة بالمصالح بأن قوله لتركبوها يقتضى أن هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب أن استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنفية بالآية على تحريم لحوم الخيل من وجوه أحدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل فى الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها أن منفعة الاكل أعظم منه من الركوب والتزين فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر وثالثها أن قوله فيما قبل ومنها تأكلون يقتضى الحصر فيجب أن لا يجوز أكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها أن قوله لتركبوها يقتضى أن تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة فلو كان حل أكلها مقصودا لزم أن يكون ما فرض تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب أن تحريم

من القول أو عضوه ففرقوه بنحو ذلك من القول واذا كان ذلك معناه احتمل قوله عضين أن يكون جمع عضه واحتمل أن يكون جمع عضو لان معنى التعضية التفريق كما يعضى الجزور والشاة فتفرق أعضاء والعضه البهت و رميه بالباطل من القول فهما متقاربان فى المعنى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن فى الدنيا عضين فى الآخرة عما كانوا يعملون فى الدنيا فيما أمرناهم به وفيما بعثناك به اليهم من آى كتابى الذى أنزلته اليهم وفيما دعوناهم اليه من الاقرار به ومن توحيدى والبراءة من الانداد والاوثان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن بشير عن أنس فى قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين قال عن شهادة أن لا اله الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فوربك لنسئلنهم أجمعين قال عن لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن بشير عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد فى قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال قال عبد الله والذى لا اله غيره ما منكم من أحد الا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك منى بى ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ماذا أجبت المرسلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعما أجابوا المرسلين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحسين الجعفى عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى عن ابن عمر لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون ثم قال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر فانه أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته قومه وجميع من أرسل اليه ويعنى بقوله فاصدع بما تؤمر فامض وافرق كما قال أبو ذؤيب

وكأنهن ربابة وكأنه * يسر يفيض على القداح ويصدع

يعنى بقوله يصدع يفرق بالقداح وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فاصدع

بما تؤمر يقول فامضه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاصدع بما تؤمر يقول افعل ما تؤمر حدثنى الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا يحيى بن ابراهيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال هو القرآن حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال الجهر بالقرآن فى الصلاة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن فى الصلاة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاصدع بما تؤمر قال اجهر بالقرآن فى الصلاة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو أسامة قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة قال مازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فخرج هو وأصحابه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاصدع بما تؤمر قال بالقرآن الذى يوحى اليه أن يبلغهم اياه وقال تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر ولم يقل بما تؤمر به والامر يقتضى الباء لان معنى الكلام فاصدع بأمرنا فقد أمرناك أن تدعو الى ما بعثناك به من الدين خلقى وأذناك فى اظهاره ومعنى ما التى فى قوله بما تؤمر معنى المصدر كما قال تعالى ذكره يا أبت افعل ما تؤمر معناه افعل الامر الذى تؤمر به وكان بعض نحويى أهل الكوفة يقول فى ذلك حذفت الباء التى يوصل بها تؤمر من قوله فاصدع بما تؤمر على لغة الذين يقولون أمرتك أمرا وكان يقول للعرب فى ذلك لغتان احداهما أمرتك أمرا والاخرى أمرتك بأمر فكان يقول ادخال الباء فى ذلك واسقاطها سواء واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرقاشى ليزيد بن المهلب

أمرتك أمرا جازما فعصيتنى * فأصبحت مسلوب الامارة نادما

فقال أمرتك أمرا ولم يقل أمرتك بأمر وذلك كما قال تعالى ذكره ألا ان عادا كفروا ربهم ولم يقل بربهم وكما قالوا مددت الزمام ومددت بالزمام وما أشبه ذلك من الكلام وأما قوله وأعرض عن المشركين يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم بلغ قومك ما أرسلت به واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم وذلك قبل أن يفرض عليه جهادهم ثم نسخ ذلك بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأعرض عن المشركين وهو من المنسوخ حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأعرض عن المشركين وقل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله وهذا النحو كله فى القرآن أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله

الخيل محل النزاع وتحريم الحمير بنص الكتاب ممنوع لما روى عن جماعة من الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للآية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الآية مكية عند الاكثرين ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن الحمير والخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما وجه وأيضا كون معظم المنة فى الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما أعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكأنما أعطى الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر فى قوله ومنها تأكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان أنواع الغرائب والعجائب المخلوقة فى هذا العالم لاحد لها ولا حصر فلهذا أشار الى ما بقى منها على سبيل الاجمال فقال (ويخلق مالا تعلمون) أى كنهه وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلى وغرائب العالم العلوى لا يعلمها الا موجدها روى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من رأسه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وفى الكعبة أيضا سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وقيل المراد ما خلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه فهم أحد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين أنه انما ذكرها ازاحة للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال (وعلى الله قصد السبيل) ذكر صاحب الكشاف أن السبيل للجنس والقصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة بالآية على مسألتين من أصولهم احداهما أنه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف أى وعلى الله بيان قصد السبيل فالمعنى أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة

عنه والثانية أنه لا يضل أحدا ولا يغويه والا لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر فلما غير أسلوب الكلام قائلا (ومنها جائر) دل على أنه أراد أن يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة على الوجوب أنه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني أن دلالة قوله ومنها جائر على ماذكرتم ليست دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فأما أن فاعل تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه أصلا على أن قوله (ولو شاء لهداكم أجمعين) يناقض ما ادعيتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر أو بالهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب أحوال الحيوانات أراد أن يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب أحوال النبات فقال (هو الذي أنزل من السماء ماء) وقوله (لكم) متعلق بأنزل أو بشراب خبر له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد أن الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل أن يكون الماء المحتبس في الآبار والعيون منه كقوله فأسكناه في الارض وبعضه يحصل منه شجر يرعاه المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط أصوات بعضهم بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلا وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر في الآية الكلأ وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت أراد الكلأ وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب أن أن يكون الشجر ما له ساق وأجيب بأن عطف الجنس على النوع جائز وبأن قوله
منه
(فيه تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت وأسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي أن يكون الشجر هو العشب لمكن الرعي ورد بأن الابل قد تقدر على رعي الاشجار الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان أتبعه ذكر غذاء الانسان فقال

عليه وسلم أن يكون ذلك منه ثم أمره بالقتال فنسخ ذلك كله فقال خذوهم واقتلوهم الآية

❁ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا كفيناك المستهزئين يا محمد الذين يستهزؤن بك ويسخرون منك فاصدع بأمر الله ولا تخف شيأ سوى الله فان الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين ذكر أسمائهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد قال كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الاسود بن المطلب أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه فقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده ومن بني زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص بن وائل ابن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم ومن خزاعة الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن ملكان فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى ذكره فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الى قوله فسوف يعلمون قال محمد بن اسحق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجر سبله يعني ازاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار الى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فوقص على شبرقة فدخل في أخمص رجله منها شوكة فقتلته «قال أبو جعفر» الشبرقة المعروف بالحسك منه حبنا والحبن الماء الاصفر ومر به الحرث بن الطلاطلة فأشار الى رأسه فامتخط قيحا فقتله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد القرشي عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد عن سعيد بن جبير في قوله انا كفيناك المستهزئين قال كان المستهزئين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة فأتاه جبرئيل فأومأ باصبعه الى رأس الوليد فقال ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ بيده الى أخمص العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ فقال كفيت وأومأ بيده الى عين أبي زمعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعت شيأ قال كفيت وأومأ باصبعه الى رأس الاسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع لي خالي فقال كفيت وأومأ باصبعه الى بطن الحرث فقال النبي صلى الله

(ينبت لكم به الزرع) الذي هو الغذاء الاصلي (والزيتون) الذي هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن (والنخيل والاعناب)
اللتين هما أشرف الفواكه ثم أشار الى سائر الثمرات بقوله (ومن كل الثمرات) كما أجمل الحيوانات التي لم يذكرها بقوله و يخلق ما لا تعلمون قال في
الكشاف انما لم يقل وكل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة واعلم أنه قدم الغذاء الحيواني على الغذاء

عليه وسلم ما صنعت شيأ فقال كفيت قال فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه
بروة أو شرة و بين يديه نساء فجعل يستحيي أن يطامن ينتزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل
مريضا حتى مات وركب العاص بن وائل بغلة له بيضاء الى حاجة له بأسفل مكة فذهب ينزل فوضع
أخمص قدمه على شبرقة فحكت رجله فلم يزل يحكها حتى مات وعمي أبو زمعة وأخذ الاكلة في
رأس الاسود وأخذ الحرث الماء في بطنه **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن أبي بشر
عن سعيد بن جبير في قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة رهط من قريش الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل وأبو زمعة والحرث بن عيطلة والاسود بن قيس **حدثني** المثنى قال ثنا
عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله انا كفيناك المستهزئين
قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث
ابن عيطلة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن
دينار عن عكرمة في قوله انا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة كلهم هلك قبل بدر العاص بن
وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة بن عبد الأسود والحرث بن قيس والاسود بن عبد يغوث **حدثنا**
ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة انا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة **حدثنا** المثنى قال ثنا
عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي بكر الهذلي قال قلت للزهري ان سعيد بن جبير وعكرمة
اختلفا في رجل من المستهزئين فقال سعيد هو الحرث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحرث بن قيس
فقال صدقا كانت أمه تسمى عيطلة وأبوه قيس **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون
قال أخبرنا هشيم عن حصين عن الشعبي قال المستهزئين سبعة وسمى منهم أربعة **حدثنا** ابن
وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين قال كانوا من
قريش خمسة نفر العاص بن وائل السهمي كفي بصداع أخذه في رأسه فسال دماغه حتى كان
يتكلم من أنفه والوليد بن المغيرة المخزومي كفي برجل من خزاعة أصلح سهما له فندرت منه شظية
فوطئ عليها فمات وهبار بن الاسود وعبد يغوث بن وهب والحرث بن عيطلة **حدثنا** أحمد بن
اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر انا كفيناك المستهزئين
قال كلهم من قريش العاص بن وائل فكفي بأنه أصابه صداع في رأسه فسال دماغه حتى
لا يتكلم الا من تحت أنفه والحرث بن عيطلة بصفر في بطنه وابن الاسود فكفي بالجدري والوليد
بأن رجلا ذهب ليصلح سهما له فوقعت شظية فوطئ عليها وعبد يغوث فكفي بالعمى ذهب
بصره **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعن مقسم انا
كفيناك المستهزئين قال هم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن
عبد يغوث والاسود بن المطلب مروا رجلا رجلا على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبرئيل
فاذا مر به رجل منهم قال جبرئيل كيف تجد هذا فيقول بئس عبد الله فيقول جبرئيل كفاكه
فأما الوليد بن المغيرة فتردى فتعلق سهم بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات وأما

النباتي لان النعمة فيه أعظم لانه أسرع تشبها ببدن الانسان وفي ذكر الغذاء النباتي قدم غذاء الحيوان وهو الشجر على غذاء الانسان وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق وهو أن يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب في قوله كلوا وارعوا أنعامكم بناء على ما هو الواجب في نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله (وسخر لكم الليل والنهار) معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف وفي سورة ابراهيم وهذا حسم لمادة شبهة من يزعم أن حركات الافلاك هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هي المستدعية للحوادث السفليات فانه ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرأ عن الحدوث والنقصان وهو الله سبحانه (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) قال جار الله جمع الآية وذكر العقل لان آثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الآيات لتطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة في موضع آخر مسخرات

في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات وأقول انما جمع لان
كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية في نفسها لتباين الليل والنهار وتخالف مسيرات الكواكب كما هو مقرر في علم
الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات آية واحدة وكذا قوله (وما ذرأ لكم في الارض) أي خلق لكم فيها من حيوان وشجر وثمر وغير

ذلك (مختلفا ألوانه) فان ذرء هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية وفي تأثير الفلكيات فيها آية واحدة على وجود الصانع تعالى شأنه ولست أدعي الا امكان هذه الاعتبارات والا ففي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد وانما خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة

وخص المقام الثاني بالعقل لذكره بعد اماطة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الآيات التي هي في الحقيقة انعامات على الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به أكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز ومصدره طراوة يقال شيء طري أي غض بين الطراوة وقال قطرب طرو اللحم وطري طراوة والمراد في الآية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم أنه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث أظهر الضد من الضد قال أكثر الفقهاء ومنهم أبو حنيفة والشافعي من حلف أن لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ورد عليهم الامام فخر الدين الرازي بأنه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع أنكم تقولون انه يحنث بأكل لحم العصفور فثبت أن العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان ولقائل أن يقول لعل الانكار في هذه الصورة بعد تسليمه انما جاء من قبل ندرة شراء العصفور أو شراء لحمه فانه انما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا أراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزيينهن لاجلهم ولقائل أن يقول لا مانع من تزيين الرجال باللآلئ ونحوها

الاسود بن عبد يغوث فأتى بغصن فيه شوك فضرب به وجهه فسالت حدقتاه على وجهه فكان يقول دعوت على محمد دعوة ودعا علي دعوة فاستجيب لي واستجيب له دعا علي أن أعمى فعميت ودعوت عليه أن يكون وحيدا فريدا في أهل يثرب فكان كذلك وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك وأما الاسود بن المطلب وعدي بن قيس فان أحدهما قام من الليل وهو ظمآن فشرب ماء من جرة فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات وأما الآخر فلدغته حية فمات **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان عن مقسم مولى ابن عباس في قوله انا كفيناك المستهزئين ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن ابن ثور **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين هم رهط خمسة من قريش عضهوا القرآن زعم بعضهم أنه سحر وزعم بعضهم أنه شعر وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين أما أحدهم فالاسود بن عبد يغوث أتى على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو عند البيت فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله على أنه خالي قال كفيناك ثم أتى عليه الوليد بن المغيرة فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه عدي بن قيس أخو بني سهم فقال الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه الاسود بن المطلب فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك ثم أتى عليه العاص بن وائل فقال له الملك كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال كفيناك فأما الاسود بن عبد يغوث فأتى بغصن من شوك فضرب به وجهه حتى سالت حدقتاه على وجهه فكان بعد ذلك يقول دعا علي محمد بدعوة ودعوت عليه بأخرى فاستجاب الله له في واستجاب الله لي فيه دعا علي أن أثكل وأن أعمى فكان كذلك ودعوت عليه أن يصير شريدا طريدا فطردناه مع يهود يثرب وسراق الحجيج وكان كذلك وأما الوليد بن المغيرة فذهب يرتدي فتعلق بردائه سهم غرب فأصاب أكحله أو أبجله فأتي في كل ذلك فمات وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فأتي في ذلك جعل يتساقط لحمه عضوا عضوا فمات وهو كذلك وأما الاسود بن المطلب وعدي بن قيس فلا أدري ما أصابهما ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر نهى أصحابه عن قتل أبي البختري وقال خذوه أخذا فانه قد كان له بلاء فقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا البختري انا قد نهينا عن قتلك فهلم الى الأمنة والامان فقال أبو البختري وابن أخي معي فقالوا لم نؤمر الا بك فراودوه ثلاث مرات فأبى الا وابن أخيه معه قال فأغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم الكلام فحمل عليه رجل من القوم فطعنه فقتله فجاء قاتله وكأنما على ظهره جبل أوثق مخافة أن يلومه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبر بقوله قال النبي صلى الله عليه وسلم أبعده الله وأسحقه وهم المستهزؤن الذين قال الله انا كفيناك المستهزئين وهم الخمسة الذين قيل فيهم انا كفيناك المستهزئين استهزؤا بكتاب الله ونبيه صلى الله عليه وسلم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انا كفيناك المستهزئين هم من قريش **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وزعم ابن أبي بزة أنهم العاص بن وائل السهمي

السهمي والوليد بن المغيرة الوحيد والحرث بن عدي بن سهم بن العيطلة والاسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى بن قصي وهو أبو زمعة والاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن ابن عباس نحو حديث محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور غير أنه قال كانوا ثمانية ثم عدهم وقال كلهم مات قبل بدر وقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون وعيد من الله تعالى ذكره وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره انا كفيناك يا محمد الساخرين منك الجاعلين مع الله شريكا في عبادته فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم اليه في القيامة وما يحل بهم من البلاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم اياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به وأن ذلك يحرجك فسبح بحمد ربك يقول فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم الى الشكر لله والثناء عليه والصلاة يكفك الله من ذلك ما أهمك وهذا نحو الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك الموت الذي هو موقن به وقيل يقين وهو موقن به كما قيل خمر عتيق وهي معتقة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثنى طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول حتى يأتيك اليقين قال الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال يعني الموت حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى يأتيك اليقين قال اليقين الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله حتى يأتيك اليقين قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن طارق عن سالم مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت اذا جاءه الموت جاءه تصديق ما قال الله له وحدثه من أمر الآخرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن

شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف (١) استدل الامام فخر الدين بالآية في ابطال قول الشافعية انه لا زكاة في الحلي قال لان اللام فيما روي أنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا زكاة في الحلي تنصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الآية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكاة في اللآلئ وهذا باطل بالاتفاق ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن تكون اللام للجنس فتشمل المصوغ من الذهب والفضة أيضا فيكون الحديث مخصصا بالآية ان ثبت صحته ومن عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه (وترى الفلك مواخر فيه) قال أهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء أنه صوت دوي الفلك بالرياح وقال ابن عباس مواخر أي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله (لتبتغوا من فضله) أي تتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم أن قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مضي مفعولي ترى وأما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تأكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل تأكلون حذف لفظة منه هناك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتأكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع أي لو حضرت أيها المخاطب لرأيته بهذه الصفة ويمكن أن يقال انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر ولم تكتنف المتعلق المتعلقات وانما بنينا الكلام على أن قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا وبعد ذلك والله أعلم قوله (أن تميد بكم) أي كراهة أن تميد الارض بكم والباء للتعدية أو للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمنا وشمالا يروى أنه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا ألقيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا

(١) قوله واستدل الى قوله بالاتفاق بمراجعة عبارة الفخر تعلم ما فيه اه كتبه مصححه

الارض مستقرعلى الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بأن السفينة انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل فى تجاويف الخشب ومسامها أما الارض فجسم كثيف ثقيل من شأنها الرسوب فى الماء على ماهو مشاهد من حال أجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها (٥٢) حتى توجب الجبال ارساءها وثباتها وان لم تكن طبيعة الكل كذلك حتى تكون طافية مائدة وقد أرساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينتقل الكلام الى وقوف الماء فى حيزه المعين وان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف التقدير لانا نفينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم يكن بالطبع بل كان واقفا بتخليق الفاعل المختار وتسكينه فى حيزه المخصوص فلم لانقول مثله فى تسكين الارض هذا تلخيص ماقاله الامام فخر الدين الرازى ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو أن الارض جسم كرى والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك بأدنى سبب فلما أحدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعتها عن السلاسة والحركة قلت فى هذا الحل خلل أما أولا فلكونه مبنيا على غير قواعد أهل التفسير وأما ثانيا فلما ثبت فى الحكمة أن نسبة أعظم جبل فى الارض وهو مارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب أن ذلك القدر من الشعيرة لايخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغى أن يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة أهل الشرع أن يقال لانسلم أن الارض بكليتها لها طبيعة موجبة لحالة من الاحوال وعلى تقدير التسليم فلانسلم أن لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسى وأما قوله لم أوقف الله الماء فى حيزه ولم يوقف الارض من غير ارساء فلايخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل فى الامور العادية وان لم نقل بتأثيرها هذا وان حركة

ابن شهاب أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أم العلاء امرأة من الانصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة قالت وطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى مات فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ياعثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك أن الله أكرمه قالت يارسول الله فمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لأرجو له الخير حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا اسمعيل قال ثنا ابراهيم بن سعد قال ثنا ابن شهاب عن خارجة بن زيد عن أم العلاء امرأة من نسائهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا ابراهيم بن اسمعيل عن محمد بن شهاب أن خارجة بن زيد حدثه عن أم العلاء امرأة منهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أنه قال فى حديثه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما هو فقد عاين اليقين

(تفسير سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره أتى أمر الله فقرب منكم أيها الناس ودنا فلا تستعجلوا وقوعه ثم اختلف أهل التأويل فى الامر الذى أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ماهو وأى شئ هو فقال بعضهم هو فرائضه وأحكامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك فى قوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال الاحكام والحدود والفرائض * وقال آخرون بل ذلك وعيد من الله لأهل الشرك به أخبرهم أن الساعة قد قربت وأن عذابهم قد حضر أجله فدنا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية يعنى أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض ان هذا يزعم أن أمر الله أتى فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ماهو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون فقالوا ان هذا يزعم مثلها أيضا فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نراه نزل شئ فنزلت ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى بكر بن حفص قال لما نزلت أتى أمر الله رفعوا رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو بكر بن شعيب قال سمعت أبا صادق يقرأ ياعبادى أتى أمر الله فلا تستعجلوه * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو تهديد من الله

أهل الكفر به وبرسوله واعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقب ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون فدل بذلك على تقريعه المشركين به ووعيده لهم و بعد فانه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها وأما مستعجلو العذاب من المشركين فقد كانوا كثيرا وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وعلوا له عن الشرك الذى كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ماهم عليه يدين به واختلفت القراء فى قراءة قوله وتعالى عما يشركون فقرأ ذلك أهل المدينة و بعض البصريين والكوفيين عما يشركون بالياء على الخبر عن أهل الكفر بالله وتوجيه للخطاب بالاستعجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قرؤا الثانية بالياء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب بقوله فلا تستعجلوه الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و بقوله وتعالى عما تشركون الى المشركين والقراءة بالتاء فى الحرفين جميعا على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بينت من التأويل أن ذلك انما هو وعيد من الله للمشركين ابتدأ أول الآية بتهديدهم وختم آخرها بنكير فعلهم واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ينزل الملائكة فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ينزل الملائكة بالياء وتشديد الزاى ونصب الملائكة بمعنى ينزل الله الملائكة بالروح وقرأ ذلك بعض البصريين و بعض المكيين ينزل الملائكة بالياء وتخفيف الزاى ونصب الملائكة وحكى عن بعض الكوفيين أنه كان يقرؤه تنزل الملائكة بالتاء وتشديد الزاى والملائكة بالرفع على اختلاف عنه فى ذلك وقد روى عنه موافقة سائر قراء بلده * وأولى القرا آت بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ ينزل الملائكة بمعنى ينزل الله ملائكته وانما اخترت ذلك لان الله هو المنزل ملائكته بوحيه الى رسله واضافة فعل ذلك اليه أولى وأحق واخترت ينزل بالتشديد على التخفيف لانه تعالى ذكره كان ينزل من الوحى على من نزله شيأ بعد شئ والتشديد به اذ كان ذلك معناه أولى من التخفيف فتأويل الكلام ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق ويضمحل به الباطل من أمره على من يشاء من عباده يعنى على من يشاء من رسله أن أنذروا فأن الاولى فى موضع خفض ردا على الروح والثانية فى موضع نصب بأنذروا ومعنى الكلام ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده بأن أنذروا عبادى سطوتى على كفرهم بى واشراكهم فى اتخاذهم معى الآلهة والاوثان فانه لا اله الا أنا يقول لا تنبغى الالوهة الالى ولا يصلح أن يعبد شئ سواى فاتقون يقول فاحذرونى بأداء فرائضى وافراد العبادة واخلاص الربوبية لى فان ذلك نجاتكم من الهلكة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ينزل الملائكة بالروح يقول بالوحى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده

الارض عند الزلازل لاتنافى حكم الله بعدم اضطرابها الان اثبات الحركة لجزء الشئ لا ينافى نفيها عن كله وشبهوا الزلزلة وهى حركة قطعة من الارض لاحتقان البخارات فى داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل فى جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه (وأنهارا) معطوف على رواسى أى وجعل فيها رواسى وأنهارا لأن الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله وألقيت عليك (٥٣) محبة منى وكذا قوله (وسبلا) أى أظهرها وبينها لاجل أن تهتدوا بها فى أسفاركم ولما ذكر أنه أظهر فى الارض سبلا معينة ذكر أنه أظهر فى تلك السبل علامات مخصوصة وهى كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك يحكى أن جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله (وعلامات) وقوله (وبالنجم هم يهتدون) كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدرهم فى أيدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى قال بعض المفسرين أراد بقوله هم يهتدون أهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل أراد أعم من ذلك فأهل البر أيضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم فى الطرق والمسالك وفى معرفة القبلة وانما جىء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبل وقال فى الكشاف كأنه أراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا بتقديم النجم واقحام لفظ هم كأنه قيل و بالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون ثم لما عدد الآيات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال أراد أن يوبخ أهل الشرك والعناد فقال (أفمن يخلق كمن لا يخلق) أى كالاصنام التى لا تخلق شيأ الا أنه أجراها مجرى أولى العلم فاطلق عليها لفظ من التى هى لأولى العقل بناء على زعمهم أنها آلهة أولاجل المشاكلة بينه و بين من يخلق أو أراد أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده أو أراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه أولو العلم منهم واعلم أن أهل البيان يقولون ان المشبه به يجب أن يكون أقوى وأتم فى وجه الشبه من المشبه ليلتحق الاضعف

يقول ينزل الملائكة(١) حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بالروح من أمره انه لا ينزل ملك الا ومعه روح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره قال لا ينزل ملك الا معه روح ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده قال بالنبوة قال ابن جريج وسمعت أن الروح خلق من الملائكة نزل به الروح و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون قال كل كلام تكلم به ربنا فهو روح منه وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الى قوله ألا الى الله تصير الامور حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره يقول ينزل بالرحمة والوحى من أمره على من يشاء من عباده فيصطفى منهم رسلا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده قال بالوحى والرحمة وأما قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون فقد بينا معناه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون انما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده و يطاع أمره و يجتنب سخطه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره معرفا خلقه حجته عليهم فى توحيده وأنه لا تصلح الالوهة الا له خلق ربكم أيها الناس السموات والارض بالعدل وهو الحق منفردا بخلقها لم يشركه فى انشائها واحداثها شريك ولم يعنه عليه معين فأنى يكون له شريك تعالى عما يشركون يقول جل ثناؤه علا ربكم أيها القوم عن شرككم ودعواكم الها دونه فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير لأنه لا يكون الها الا من يخلق و ينشئ بقدرته مثل السموات والارض و يبتدع الاجسام فيحدثها من غير شئ وليس ذلك فى قدرة أحد سوى الله الواحد القهار الذى لا تنبغى العبادة الا له ولا تصلح الالوهة لشئ سواه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين﴾ يقول تعالى ذكره ومن حججه عليكم أيضا أيها الناس أنه خلق الانسان من نطفة فأحدث من ماء مهين خلقا عجيبا قلبه تارات خلقا بعد خلق فى ظلمات ثلاث ثم أخرجه الى ضياء الدنيا بعد ما تم خلقه ونفخ فيه الروح فغذاه ورزقه القوت ونماه حتى اذا استوى على سوقه كفر بنعمة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضر ولا ينفع وخاصم الهه فقال من يحيى العظام وهى رميم ونسى الذى خلقه فسواه خلقا سويا من ماء مهين و يعنى بالمبين أنه يبين عن خصومته بمنطقه و يجادل بلسانه فذلك ابانته وعنى بالانسان جميع الناس أخرج بلفظ الواحد وهو فى معنى الجميع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن

(١) أى بنحو ما قبله فى حديث المثنى عن ابن عباس تأمل كتبه مصححه

بالاقوى فى وجه الشبه كقولك وجهه كالقمر ولاريب أن الخالق أقوى من غير الخالق فكان حق النظم فى الظاهر أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس و وجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كأنهم جعلوا غير الخالق أقوى حالا وأعرف من الخالق قال فى الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها حين جعلوا غيره مثله فى التسمية والعبادة فأنكر عليهم ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له أدنى عقل بل حس قال (أفلا تذكرون) وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه لجلائه كالحاصل الذى يحصل عند العقل بأدنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة فى الآية دلالة على أن العبد غير خالق لافعال نفسه لان الآية سيقت لبيان امتيازه بصفة الخالقية أجابت المعتزلة بأن المراد أفمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم أو نقول معنى الآية ان كل ما كان خالقا يكون أفضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على أن كل من كان خالقا فانه يجب أن يكون الها نظيره قوله ألهم أرجل يمشون بها أراد به أن الانسان أفضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبى فى تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن أطلق ذلك فقد أخطأ الا فى مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا أن أصحاب أبى هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان أبا عبد الله البصرى قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الآيات التى هى بالنسبة الى المكلفين نعم قال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وقدمر تفسيره فى سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من أجزاء البدن الانسانى لو ظهر فيه أدنى خلل لنغص العمر على الانسان وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت فى ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع أن الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده فليكن هذا المثال

حجه

حاضرا في ذهنك وقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر أدنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الآية بقوله (ان الله لغفور رحيم) يغفر التقصير الصادر عنكم في أداء شكر النعمة ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كانوا مع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر والمكايد في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فأوعدهم

حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الانعام فسخرها لكم وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفئون بها ومنافع من ألبانها وظهورها تركبونها ومنها تأكلون يقول ومن الانعام ما تأكلون لحمه كالابل والبقر والغنم وسائر ما يؤكل لحمه وحذفت ما من الكلام لدلالة من عليها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قال المثنى أخبرنا وقال ابن داود ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء يقول الثياب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يعني بالدفء الثياب والمنافع ما ينتفعون به من الاطعمة والأشربة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لكم فيها دفء قال لباس ينسج ومنها مركب ولبن ولحم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لكم فيها دفء لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله لكم فيها دفء ومنافع قال نسل كل دابة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل باسناده عن ابن عباس مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال قال ابن عباس والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون قال هو منافع ومآكل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع قال دفء اللحف التي جعلها الله منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع قال نتاجها وركوبها وألبانها ولحومها

القول في تأويل قوله تعالى (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ولكم في هذه الانعام والمواشي التي خلقها الله لكم جمال حين تريحون يعني تردونها بالعشي من مسارحها الى مراحها ومنازلها التي تأوي اليها ولذلك سمي المكان المراح لانها تراح اليه عشيا فتأوي اليه يقال منه أراح فلان ماشيته فهو يريحها اراحة وقوله وحين تسرحون يقول وفي وقت اخراجكموها غدوة من مراحها الى مسارحها يقال منه سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحا اذا أخرجها للرعي غدوة وسرحت الماشية اذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسروحا فالسرح بالغداة والاراحة بالعشي ومنه قول الشاعر

كأن بقايا الاتن فوق متونه * مدب الدبى فوق النقا وهو سارح

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

بقوله (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) وفيه أيضا تعريض وتوبيخ بسبب أن الاله يجب أن يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها جمادات لا شعور لها أصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال (والذين يدعون) أي الآلهة الذين يدعونهم الكفار (من دون الله لا يخلقون شيأ) وقد ذكر هذا المعنى في قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله (وهم يخلقون) أي يخلق الله أو بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم ففي هذه الآية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال وأثبت صفة النقصان وكذلك قوله أموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح وأما الحجارة فأموات لا تقبل الحياة أصلا وفيه أن الاله الحق يجب أن يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه أن هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد يقرر المعنى الواحد مع الغبي الجاهل بعبارتين مختلفتين تنبيها على بلادته (وما يشعرون) الضمير فيه للآلهة أما الضمير في (أيان يبعثون) فاما للآلهة أيضا ويؤيده ما روى عن ابن عباس أن الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين أي لا يشعر الآلهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف واما للاحياء أي لا يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف أن يراد بالذين يدعوهم الكفار الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم

ومعنى أنهم (أموات) أى لا بد لهم من الموت (غير أحياء) أى غير باقية حياتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولماز يف طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق فى نفس الامر فقال (الهكم اله واحد) ثم ذكر ما لاجله أصر الكفار على شركهم فقال (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة)

للوحدانية أو لكل كلام يخالف هواهم (وهم مستكبرون) عن قبول الحق وذلك أن المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب والترهيب فينقاد للحق أسرع وأما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق رأيه و يلائم طبعه فيبقى فى ظلمة الانكار (لا جرم) أى حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم على ما أسروا من الاستكبار وأعلنوا من العناد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد فيختص بالمشركين أو كل مستكبر فيدخل هؤلاء دخولا أوليا لان الكلام فيهم * التأويل الناس طبقات ثلاث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب اذا كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم أصحاب النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم فى الطاعات والاعمال الصالحات وهم أرباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذى الجلال فحين قال فى الازل أتى أمر الله استعجل أرواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له فى القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن أن يشاركه فى الحكم أحد فلا مبدل لكلماته بالروح من أمره أى بما يحيى القلوب من المواهب الربانية من أمره انوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلى الصفات لافناء الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء أن أنذروا أعلموا أوصافه وجودكم ببذلها فى أنانيتى أنه لا اله الا أنا فاتقون عن أنانيتكم بأنانيتى خلق سموات الارواح وأرض الاشباح وجعلها مظهرا لأفاعيله فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون وخلق

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك أعجب ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا أسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال اذا راحت كأعظم ما تكون أسنمة وأحسن ما تكون ضروعا وقوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول وتحمل هذه الانعام أثقالكم الى بلد آخر لم تكونوا بالغيه الا بجهد من أنفسكم شديد ومشقة عظيمة كما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن عكرمة وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو تكلفونه لم تبلغوه الا بجهد شديد حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال لو كلفتموه لم تبلغوه الا بشق الانفس حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس قال البلد مكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الا بشق الانفس قال مشقة عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقول بجهد الانفس حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار بكسر الشين الا بشق الانفس سوى أبى جعفر القارى فان المثنى حدثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنى أبو سعيد الرازى عن أبى جعفر قارئ المدينة أنه كان يقرأ لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس بفتح الشين وكان يقول انما الشق شق النفس وقال ابن أبى حماد وكان معاذ الهراء يقول هى لغة تقول العرب بشق و بشق و برق و برق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهى كسر الشين لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وقد ينشد هذا البيت بكسر الشين وفتحها وذلك قول الشاعر

وذى ابل يسعى ويحسبها له * أخى نصب من شقها ودؤوب

ومن شقها أيضا بالكسر والفتح وكذلك قول العجاج * أصبح مسحول يوازى شقا * وشقا بالفتح والكسر ويعنى بقوله يوازى شقا يقاسى مشقة وكان بعض أهل العربية يذهب بالفتح الى المصدر من شققت عليه أشق شقا وبالكسر الى الاسم وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا بالكسر أرادوا الا بنقص من القوة وذهاب شئ منها حتى لا يبلغه الا بعد نقصها فيكون معناه عند ذلك لم تكونوا بالغيه الا بشق قوى أنفسكم وذهاب شقها الآخر ويحكى عن العرب خذ هذا الشق لشقة الشاة بالكسر فأما فى شققت عليك شقا فلم يحك فيه الا النصب وقوله ان ربكم لرؤف رحيم يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس ذو رأفة بكم ورحمة ومن رحمته بكم خلق لكم الانعام لمنافعكم ومصالحكم

وخلق السموات والارض أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة إلهكم لتشكروه على نعمه عليكم فيزيدكم من فضله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوها وزينة يقول وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التي فيها لكم للركوب وغير ذلك ونصب الخيل والبغال عطفا على الهاء والالف في قوله خلقها ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بينت ولو لم يكن معها واو وكان الكلام لتركبوها زينة كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها الذي هي به متصلة ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتركبوها وزينة قال جعلها لتركبوها وجعلها زينة لكم وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا أبو حمزة عن أبي اسحق عن رجل عن ابن عباس قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها قال هذه للركوب والانعام خلقها لكم فيها دفء قال هذه للاكل حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام الدستوائي قال ثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون فهذه للاكل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فهذه للركوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الآية والخيل والبغال والحمير لتركبوها الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن لحوم الخيل فقال اقرأ التي قبلها والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعل هذه للاكل وهذه للركوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية عن أبيه عن الحكم والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون فجعل منه الاكل ثم قرأ حتى بلغ والخيل والبغال والحمير لتركبوها قال لم يجعل لكم فيها أكلا قال وكان الحكم يقول الخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن أبي غنية عن الحكم قال لحوم الخيل حرام في كتاب الله ثم قرأ والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الى قوله لتركبوها وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل ويرون أن ذلك غير دال على تحريم شئ وأن الله جل ثناؤه انما عرف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونبههم به على حججه عليهم وأدلته على وحدانيته وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك ذكر بعض من كان لا يرى بأسا بأكل لحم الفرس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن الاسود أنه أكل لحم الفرس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم عن الاسود بنحوه حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال نحر أصحابنا فرسا في النخع وأكلوا منه ولم يروا به بأسا * والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني وذلك أنه لو كان في قوله

الارواح والاشباح في احالة أفاعيله الى غيره خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعي الشركة معه في الوجود والافاعيل والانعام أي الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة في جبلتكم ومنافع ومنها تأكلون باستفادة بدل ما يتحلل ولكم فيها جمال في أوقات الفترات وأزمنة الاستراحات وتحمل أثقال أرواحكم وهي أعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم اذا أفنيتم أنفسكم في جبروته يبقيكم ببقاء عظموته والخيل والبغال والحمير أي صفاتها خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى مستقره الذي أهبط منه ويخلق فيكم حينئذ ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بجذبة ارجعي ومنها جائر يعني نفوسكم تحيد عن الفناء وبذل الوجود هو الذي أنزل من سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة وأعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة وما ذرأ لكم في أرض جبلتكم من الاستعدادات يتلون في كل عالم بلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعاني فيلبس بها أرواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرائع والمذاهب جواري في بحر العلوم لتبتغوا الأسرار الخفية عن الملائكة وألقى في أرض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وأنهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي أفمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه

من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات والله يعلم ما تسرون من أداء شكر نعمه بالقلوب وما تعلنون من أداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون شيأ من المنافع وهم يخلقون بتعب الطلب في تحصيلها ولهذا

قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثها دواعي البشرية فالذين لا يؤمنون بالآخرة عما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله حسبي

﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه

تعالى ذكره لتركبوها دلالة على أنها لا تصلح اذ كانت للركوب للاكل لكان في قوله فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون دلالة على أنها لا تصلح اذ كانت للاكل والدفء للركوب وفي اجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره ومنها تأكلون جائز حلال غير حرام دليل واضح على أن أكل ما قال لتركبوها جائز حلال غير حرام الا بما نص على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي الى رسوله صلى الله عليه وسلم فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الاهلية بوحيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا كتاب الاطعمة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع اذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك وانما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على أن لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن عطاء عن جابر قال كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فالبغال قال أما البغال فلا وقوله ويخلق ما لا تعلمون يقول تعالى ذكره ويخلق ربكم مع خلقه هذه الاشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحق لكم فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها والسبيل هي الطريق والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه كما قال الراجز

* فصد عن نهج الطريق القاصد *

وقوله ومنها جائر يعني تعالى ذكره ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج فالقاصد من السبل الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها سوى الحنيفية المسلمة وقيل ومنها جائر لان السبيل يؤنث ويذكر فأنث في هذا الموضع وقد كان بعضهم يقول وانما قيل ومنها لان السبيل وان كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وعلى الله قصد السبيل يقول البيان **حدثنا** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان أن يبين الهدى والضلالة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل **وحدثني** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الله قصد السبيل قال طريق الحق على الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الله قصد السبيل قال السبيل طريق الهدى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وعلى الله قصد السبيل

الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل ومالهم من ناصرين وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا (٥٩) فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)

قال انارتها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان بيين الهدى من الضلالة ويبين السبيل التى تفرقت عن سبله ومنها جائر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها جائر أى من السبل سبل الشيطان وفى قراءة عبدالله بن مسعود ومنكم جائر ولو شاء الله لهداكم أجمعين حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنها جائر قال فى حرف ابن مسعود ومنكم جائر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ومنها جائر يعنى السبل المتفرقة حدثنى على بن داود قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ومنها جائر يقول الاهواء المختلفة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومنها جائر يعنى السبل التى تفرقت عن سبيله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ومنها جائر السبل المتفرقة عن سبيله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنها جائر قال من السبل جائر عن الحق قال وقال الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله ولو شاء لهداكم أجمعين يقول ولو شاء الله للطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه فكنتم تهتدون وتلزمون قصد السبيل ولا تجورون عنه فتتفرقون فى سبل عن الحق جائرة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شاء لهداكم أجمعين قال لو شاء لهداكم أجمعين لقصد السبيل الذى هو الحق وقرأ ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا الآية وقرأ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ يقول تعالى ذكره والذى أنعم عليكم هذه النعم وخلق لكم الانعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم هو الرب الذى أنزل من السماء ماء يعنى مطرا لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ومنه شراب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها فيه تسيمون يقول فى الشجر الذى ينبت من الماء الذى أنزل من السماء تسيمون يعنى ترعون يقال منه أسام فلان ابله يسيمها اسامة اذا أرعاها وسومها أيضا يسومها وسامت هى اذا رعت فهى تسوم وهى ابل سائمة ومن ذلك قيل للمواشى المطلقة فى الفلاة وغيرها للرعى سائمة وقد وجه بعضهم معنى السوم فى البيع الى أنه من هذا وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين فيما ينبغى له من زيادة ثمن ونقصانه كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت من مراعيها ومنه قول الاعشى

ومشى القوم بالعماد الى المر * عى وأعيا المسيم أين المساق

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن النضر بن عربى عن عكرمة ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى عن النضر بن عربى عن عكرمة فى قوله فيه تسيمون قال ترعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال ترعون حدثنى على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثله حدثنى

۞ القراآت شركاى مثل هداى زمعة عن ابن كثير والخزاعى عن البزى وقرأ الخزاز عن هبيرة شركائى الذين مرسلة الياء الباقون بفتح الياء وكذلك فى الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفاهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لايهدى بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلى الباقون بالرفع ۞ الوقوف ربكم لا لأن ما بعده جواب اذا الأولين ○ لا لتعلق اللام يوم القيامة لا لأن قوله ومن أوزار مفعول ليحملوا بغير علم ط ما يزرون ○ لا يشعرون ○ فيهم ط الكافرين ○ لا بناء على أن ما بعده صفة أنفسهم ص لطول الكلام من سوء ط تعملون ○ خالدين فيها ط المتكبرين ○ أنزل ربكم ط خيرا ط حسنة ط خير ط المتقين ○ لا لأن ما بعده بدل يشاؤن ط المتقين ○ طيبين ○ لا لان ما بعده حال آخر سلام عليكم لا لأن قوله ادخلوا مفعول يقولون تعملون ○ أمر ربك ط من قبلهم ط يظلمون ○ يستهزؤن ○ من شئ الثانى ط من قبلهم ج للاستفهام مع الفاء المبين ○ الطاغوت ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ○ ناصرين ○ أيمانهم لا لأن ما بعده جواب القسم يموت ط لايعلمون ○ لا لتعلق لام كى كاذبين ○ فيكون ○ حسنة ط أكبر م لان جواب لو محذوف أى لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة لو وصل اصار قوله ولأجر الآخرة متعلقا بشرط أن لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ○ لا بناء على أن الذين صبروا بدل الذين هاجروا

يتوكلون ٥ ۞ التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد أراد أن يذكر شبهات منكري النبوة مع أجوبتها فالشبهة الاولى أنهم طعنوا في
القرآن وعدّوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزله ربكم أو ما مبتدأ أو ذا موصولة والجملة صلتها والمجموع
خبر المبتدأ وعلى التقديرين فقوله أساطير (٦٠) الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار والا لكان المعنى الذي أنزله ربنا أساطير الاولين

محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنه شجر
فيه تسيمون يقول شجر يرعون فيه أنعامهم وشاءهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني
حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فيه تسيمون قال ترعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو
معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك فيه ترعون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ
يقول ثنا عبيد عن الضحاك في قوله تسيمون يقول ترعون أنعامكم حدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبي عن طلحة بن أبي طلحة القناد قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى قال فيه ترعون
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله شجر فيه تسيمون يقول ترعون
حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال ترعون حدثنا محمد
ابن سنان قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله شجر فيه تسيمون قال ترعون
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنه شجر فيه تسيمون قال ترعون
قال الاسامة الرعية وقال الشاعر

مثل ابن بزعة أو كآخر مثله ۞ أولى لك ابن مسيمة الاجمال

قال يا ابن راعية الاجمال ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يقول تعالى ذكره ينبت لكم ربكم
بالماء الذي أنزل لكم من السماء زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم ومن كل الثمرات يعني من
كل الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا وادامًا وفاكهة نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا وحجة على
من كفر به منكم ان في ذلك لآية يقول جل ثناؤه ان في اخراج الله بما ينزل من السماء من ماء
ما وصف لكم لآية يقول لدلالة واضحة وعلامة بينة لقوم يتفكرون يقول لقوم يعتبرون مواعظ
الله ويتفكرون في حججه فيتذكرون وينيبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وسخر لكم
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يقول
تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
عليكم هذا لتصرفكم في معاشكم وهذا لسكنكم فيه والشمس والقمر لمعرفة أوقات أزمنتكم
وشهوركم وسنينكم وصلاح معايشكم والنجوم مسخرات لكم بأمر الله تجري في فلكها لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره ان في تسخير الله ذلك على
ما سخره لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون عنه تنبيهه اياهم ۞ القول في تأويل
قوله تعالى (وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) يعني جل ثناؤه
بقوله وما ذرأ لكم وسخر لكم ما ذرأ لكم أي ما خلق لكم في الارض مختلفا ألوانه من الدواب والثمار
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ذرأ لكم في الارض يقول وما خلق
لكم مختلفا ألوانه من الدواب ومن الشجر والثمار نعم من الله متظاهرة فاشكروها لله حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال من الدواب والاشجار والثمار ونصب
قوله مختلفا لان قوله وما في موضع نصب بالمعنى الذي وصفت واذ كان ذلك كذلك وجب أن يكون

والكفار لا يقرون بالانزال فهو
اذن كلام مستأنف أي ليس
ما تدعون انزاله منزلا بل هو أساطير
الاولين وقال في الكشاف معناه
المنزل أساطير الاولين وذكر في دفع
التناقض أنه على السخرية كقوله
ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون
وجوز كونه منصوبا ولم يقرأ به
واختلفوا في السائل فقيل هو كلام
بعضهم لبعض وقيل هو قول
المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين
الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا أحاديث الاولين وأباطيلهم
ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة
والحقائق والدقائق ثم انه تعالى
اقتصر في جواب شبههم على محض
الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما مر
ذكره مرارا أن القرآن معجز تحدوا
بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة
فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم
فيه بعد ذلك مجرد المكابرة والعناد
فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد
والوعيد واللام في قوله (ليحملوا) ليس
لام الغرض لانهم لم يصفوا القرآن
بكونه أساطير لغرض حمل الأوزار
ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك
حسن التعليل به فكان لام العاقبة
وقوله (كاملة) معناه انه تعالى
لا يخفف من عقابهم شيأ وفيه
دليل على أنه تعالى قد يسقط بعض
العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة قال مختلفا
الواحدي لفظة من في قوله (ومن أوزار الذين) ليست للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض أوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم أيما داع
دعا الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء ولكنها للابتداء أي ليحملوا ما قد نشأ من أوزار الاتباع أو للبيان

أي ليحملوا ماهو من جنس أوزار تبعهم ومعنى (بغير علم) أن هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم أوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال (ألا ساء ما يزرون) وزرهم ثم حكى حال أضرابهم من المتقدمين فقال (قد مكر الذين من قبلهم) ذهب أكثر المفسرين الى أن المراد به نمروذ بن كنعان بنى صرحا عظيما ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا وألقت رأس الصرح في البحر فأحدث نمروذ وتبلبلت يومئذ ألسن الناس من الفزع فتكلموا بثلاثة وتسعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاء الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والأصح أن الآية عامة في جميع المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله (فأتى الله) أي أمره وحكمه (بنيانهم من القواعد) وهي أساطين البناء التي تعمده أو الأساس أنه أسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله (من فوقهم) التنصيص على أن الابنية تهدمت وهم ماتحتها وعلى الثاني يكون الكلام محض التمثيل والمراد أنهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك الحيل كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن ضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لأخيه فقد وقع فيه وبعبارة أخرى من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين أن عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة بادخالهم النار انك من تدخل النار فقد أخزيته (ويقول) مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ (أين شركائي) الاضافة لأدنى الملابسة أو هي حكاية لاضافتهم استهزاء وتوبيخا (الذين كنتم تشاقون) تخاصمون المؤمنين في شأنهم ومن قرأ بكسر النون فعلى حذف ياء المتكلم لان مشاقة المؤمنين

مختلفا ألوانه حالا من ما والخبر دونه تام ولو لم تكن ما في موضع نصب وكان الكلام مبتدأ من قوله وما ذرأ لكم لم يكن في مختلف الا الرفع لأنه كان يصير مرافع ما حينئذ ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والذي فعل هذه الافعال بكم وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم الذي سخر لكم البحر وهو كل نهر ملحا كان ماؤه أو عذبا لتأكلوا منه لحما طريا وهو السمك الذي يصطاد منه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وهو اللؤلؤ والمرجان كما حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة في قوله وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا قال منهما جميعا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها قال هذا اللؤلؤ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتأكلوا منه لحما طريا يعني حيتان البحر حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا حماد عن يحيى قال ثنا اسمعيل بن عبد الملك قال جاء رجل الى أبي جعفر فقال هل في حلي النساء صدقة قال لا هي كما قال الله تعالى حلية تلبسونها وترى الفلك يعني السفن مواخر فيه وهي جمع ماخرة * وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله مواخر فقال بعضهم المواخر المواقر ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا يونس عن الحسن في قوله وترى الفلك مواخر فيه قال المواقر * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة عن أبي بكر الاصم عن عكرمة في قوله وترى الفلك مواخر فيه قال ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء فهو المواخر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي مكين عن عكرمة في قوله وترى الفلك مواخر فيه قال هي السفينة تقول بالماء هكذا يعني تشقه * وقال آخرون فيه ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبي صالح وترى الفلك مواخر فيه قال تجري فيه متعرضة * وقال آخرون فيه ما حدثني به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وترى الفلك مواخر فيه قال تمخر السفينة الرياح ولا تمخر الريح من السفن الا الفلك العظام حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه غير أن الحرث قال في حديثه ولا تمخر الرياح من السفن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مواخر قال تمخر الريح * وقال آخرون فيه ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وترى الفلك مواخر فيه تجري بريح واحدة مقبلة ومدبرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال تجري مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن ابراهيم قال سمعت الحسن وترى الفلك مواخر فيه قال مقبلة ومدبرة بريح واحدة والمخر في كلام العرب صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها وهو في هذا

الموضع صوت جرى السفينة بالريح اذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها يقال منه مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا وهي ماخرة ويقال امتخرت الريح وتمخرتها اذا نظرت من أين هبوبها وتسمعت صوت هبوبها ومنه قول واصل مولى ابن عيينة كان يقال اذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح يريد بذلك لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وترده عليه وقوله ولتبتغوا من فضله يقول تعالى ذكره ولتتصرفوا في طلب معايشكم بالتجارة سخرلكم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولتبتغوا من فضله قال تجارة البر والبحر وقوله ولعلكم تشكرون يقول ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك سخر لكم ما سخر من هذه الاشياء التي عددها في هذه الآيات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا أن ألقى في الارض رواسي وهي جمع راسية وهي الثوابت في الارض من الجبال وقوله أن تميد بكم يعني أن لا تميد بكم وذلك كقوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى أن لا تضلوا وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الارض بالجبال لئلا يميد خلقه الذي على ظهرها وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله تبارك وتعالى لما خلق الارض جعلت تمور قالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحت صبحا وفيها رواسيها حدثني المثنى قال ثنا الحجاج ابن المنهال قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب عن علي بن أبي طالب قال لما خلق الله الارض قمصت وقالت أي رب أتجعل على بني آدم يعملون على الخطايا ويجعلون على الخبث قال فأرسى الله عليها من الجبال ما ترون وما لا ترون فكان اقرارها كاللحم يترجرج والميد هو الاضطراب والتكفؤ يقال مادت السفينة تميد ميدا اذا تكفأت بأهلها ومالت ومنه الميد الذي يعتري راكب البحر وهو الدوار ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن تميد بكم أن تكفأ بكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن في قوله وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم قال الجبال أن تميد بكم قال قتادة سمعت الحسن يقول لما خلقت الارض كادت تميد فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقوله وأنهارا يقول وجعل فيها أنهارا فعطف بالانهار على الرواسي وأعمل فيها ما أعمل في الرواسي اذ كان مفهوما معنى الكلام والمراد منه وذلك نظير قول الراجز

تسمع في أجوافهن صورا ۞ وفي اليدين حشة وبورا

والحشة اليبس فعطف بالحشة على الصوت والحشة لا تسمع اذ كان مفهوما المراد منه وأن معناه وترى في اليدين حشة وقوله وسبلا وهي جمع سبيل كالطرق جمع طريق ومعنى الكلام جعل

مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستئناف (قال الذين أوتوا العلم) عن ابن عباس هم الملائكة وقال الآخرون هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيامة شماتة بهم قالت المرجئة قولهم (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يدل على أن ماهية الخزى والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم

أما قوله (فألقوا السلم) فعن ابن عباس المراد انهم أسلموا وأقروا بالعبودية عند الموت وقيل انه في يوم القيامة وقولهم (ما كنا نعمل من سوء) أرادوا الشرك قالوه على وجه الكذب والجحود ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة قال أرادوا في اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم أولو العلم أو الملائكة بقولهم (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم) وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتأكيد يجرى مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لهما في كل القرآن ثم أتبع أوصاف الاشقياء أحوال السعداء فقال (وقيل للذين اتقوا) الآية وانما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا بينا من غير تلعثم أي أنزل خيرا أو (قالوا خيرا) لا شرا كما قاله الكفار أو قالوا أنزل خيرا ولو رفعوا لأوهم أنه كلام مستأنف كما في جواب الكفار وليس بمنزل روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف كما مر فكان الوافد يقول كيف أرجع الى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى لكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز في الكشاف أن يكون (للذين أحسنوا) وما بعده بدلا من خيرا كأنه فسر الخير بهذا القول وجوز أن يكون كلاما مبتدأ على سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم

أما قوله (في هذه الدنيا) فاما أن يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جاؤا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الآخرة (حسنة) هي الثواب العظيم أو المضاعف الى سبعمائة أو أكثر واما أن يتعلق بما بعده والتقدير الذين أحسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح والثناء أو بالظفر على أعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد أو بفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات (٦٣) والحاصل أن لهم في الدنيا مكافأة باحسانهم (ولدار الآخرة خير) منها ثم بين الخيرية بقوله (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال (جنات عدن) أي هي هذه فيكون المبتدأ محذوفا أو الجنات مبتدأ وما بعدها خبر أو جنات عدن هو المخصوص بالمدح فالجنات يدل على القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله (تجري من تحتها الانهار) على أنه حصل هنالك أبنية مرتفعة هم عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله (لهم فيها ما يشاؤن) أبلغ من قوله في موضع آخر فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وفي تقديم الظرف دلالة على أن الانسان لا يجد كل ما يريده الا في الجنة وقوله (الذين تتوفاهم الملائكة) أكثر المفسرين على أن هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله (طيبين) أي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي أو دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل أنواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت دليله قوله (يقولون سلام عليكم) يروى أنه اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة فذلك قوله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وعن الحسن أن المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه (هل ينظرون) قيل انه جواب شبهة أخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك (الا أن تأتيهم الملائكة) شاهدين بذلك ويحتمل أن يقال انهم لما طعنوا في القرآن بأنه أساطير الاولين أوعدهم الله تعالى بما أوعد ثم وصف القرآن

لكم أيها الناس في الارض سبلا وفجاجا تسلكونها وتسيرون فيها في حوائجكم وطلب معايشكم رحمة بكم ونعمة منه بذلك عليكم ولو عماها عليكم لهلكتم ضلالا وحيرة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبلا أي طرقا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سبلا قال طرقا وقوله لعلكم تهتدون يقول لكي تهتدوا بهذه السبل التي جعلها لكم في الارض الى الأماكن التي تقصدون والمواضع التي تريدون فلا تضلوا وتتحيروا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالعلامات فقال بعضهم عني بها معالم الطرق بالنهار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعلامات وبالنجم هم يهتدون يعني بالعلامات معالم الطرق بالنهار وبالنجم هم يهتدون بالليل * وقال آخرون عني بها النجوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال منها ما يكون علامة ومنها ما يهتدى به حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا قبيصة عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله * قال المثنى قال اسحق خالف قبيصة وكيعا في الاسناد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون والعلامات النجوم وان الله تبارك وتعالى انما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعلامات قال النجوم * وقال آخرون عني بها الجبال ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي وعلامات قال الجبال * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره عدد على عباده من نعمه انعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض فكل علامة استدل بها الناس على طرقهم وفجاج سبلهم فداخل في قوله وعلامات والطرق المسبولة الموطوءة علامة للناحية المقصودة والجبال علامات يهتدى بهن الى قصد السبيل وكذلك النجوم بالليل غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار اذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله وبالنجم هم يهتدون واذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها الى المستقيم منها نهارا وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلا هو الجدي

بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر أن أولئك الكفار لاينزجرون عن كفرهم بسبب البيانات التى ذكرناها الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد أو لقبض الارواح أو أتاهم أمر ربك وهو العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) فأصابهم الهلاك المعجل (وما ظلمهم الله) بتدميرهم فانه أنزل (٦٤) بهم ما استحقوه بكفرهم (فأصابهم سيئات ما عملوا) أى جزاء سيئات أعمالهم أو هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) أى نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكرى النبوة انهم تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا (لو شاء الله ما عبدنا) الآية وقد مر فى تفسير مثلها فى آخر سورة الانعام وذكرنا أسرار المتشابه هنالك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لأنت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال آخرون انه سبحانه أجاب عن شبهتهم وهى أنه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعنى أنهم اعترضوا على أحكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من الكفرة (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) أى ما عليهم الا التبليغ فأما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه أكد هذا المعنى بقوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) الى قوله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) وفيه دلالة على أن أمر الله قد لا يوافق ارادته فانه يأمر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو أرادها للكل لم يكفر أحد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب قائلا لرسوله (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل) لا يرشد أحدا أضله قال ابن عباس وقال خبرا الفراء لا يهدى معناه لا يهتدى ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا تقدر أنت ولا أحد على هداية من أضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى أن أول الآية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة أما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى آخر الآيات فانهم قد صاروا فيه الى التأويل

والفرقدان لان بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم فتأويل الكلام اذا وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم فى أسفاركم ونجوما تهتدون بها ليلا فى سبلكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التى عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة كمن لا يخلق شيأ ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة يقول أتشركون هذا فى عبادة هذا يعرفهم بذلك عظم جهلهم وسوء نظرهم لانفسهم وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التى عددها عليهم التى لا يحصيها أحد غيره قال لهم جل ثناؤه موبخهم أفلا تذكرون أيها الناس يقول أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها وأنها لا تجلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها واقراركم لها بالالوهة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون والله هو الخالق الرازق وهذه الاوثان التى تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيأ ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا قال الله أفلا تذكرون وقيل كمن لا يخلق هو الوثن والصنم ومن لذوى التمييز خاصة فجعل فى هذا الموضع لغيرهم للتمييز اذ وقع تفصيلا بين من يخلق ومن لا يخلق ومحكى عن العرب اشتبه على الراكب وجمله فما أدرى من ذا ومن ذا حيث جمعا وأحدهما انسان حسنت من فيهما جميعا ومنه قول الله عز وجل فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا أداء شكرها ان الله لغفور رحيم يقول جل ثناؤه ان الله لغفور لما كان منكم من تقصير فى شكر بعض ذلك اذا تبتم وأنبتم الى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الانابة اليه والتوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى هو الهكم أيها الناس يعلم ما تسرون فى أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به يوم القيامة المحسن منكم باحسانه والمسىء منكم باساءته ومسائلكم عما كان منكم من الشكر فى الدنيا على نعمه التى أنعمها عليكم فيها التى أحصيتم والتى لم تحصوا وقوله والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون يقول تعالى ذكره وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيأ وهى تخلق فكيف يكون الها ما كان مصنوعا مدبرا لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش والذين تدعون من دون الله أيها الناس أموات غير أحياء وجعلها جل ثناؤه أمواتا غير أحياء اذ كانت لا أرواح فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون وهى هذه الاوثان التى تعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها ولا تملك لاهلها ضرا ولا نفعا وفى رفع الاموات وجهان أحدهما أن يكون

خبر الذين والآخر على الاستئناف وقوله وما يشعرون يقول وما تدرى أصنامكم التى تدعون من دون الله متى تبعث وقيل انما عنى بذلك الكفار أنهم لا يدرون متى يبعثون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره معبودكم الذى يستحق عليكم العبادة وافراد الطاعة له دون سائر الاشياء معبود واحد لانه لا تصلح العبادة الا له فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة ولا تجعلوا معه شريكا سواه فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده ولا يقرون بالمعاد اليه بعد الممات قلوبهم منكرة يقول تعالى ذكره مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته وجميل نعمه عليهم وأن العبادة لا تصلح الا له والألوهة ليست لشئ غيره وهم مستكبرون يقول وهم مستكبرون عن افراد الله بالالوهة والاقرار له بالوحدانية اتباعا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لهذا الحديث الذى مضى وهم مستكبرون عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله لا جرم حقا أن الله يعلم ما يسر هؤلاء المشركون من انكارهم ما ذكرنا من الانباء فى هذه السورة واعتقادهم نكيرة قولنا الهكم اله واحد واستكبارهم على الله وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه انه لا يحب المستكبرين يقول ان الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحدوه ويخلعوا ما دونه من الآلهة والانداد كما حدثنا محمد بن عمرو بن على قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا مسعر عن رجل أن الحسن بن على كان يجلس الى المساكين ثم يقول انه لا يحب المستكبرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين ماذا أنزل ربكم أى شئ أنزل ربكم قالوا الذى أنزل ما سطره الاولون من قبلنا من الاباطيل وكان ذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين وباطلهم قال ذلك قوم من مشركى العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم فاذا مر بهم أحد من المؤمنين يريد نبى الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم أساطير الاولين يريدون أحاديث الاولين وباطلهم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أساطير الاولين يقول أحاديث الاولين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ يقول تعالى ذكره يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم ماذا أنزل ربكم الذى أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه أساطير الاولين لتكون لهم ذنوبهم التى هم عليها مقيمون من تكذيبهم بالله وكفرهم بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ومن ذنوب الذين يصدونهم عن الايمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم وقوله ألا ساء ما يزرون يقول ألا ساء الاثم الذى يأثمون والثقل الذى يحملون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

فقالوا معناه أن متقدميهم أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبيح فعلهم أسندوه الى الله (فهل على الرسل الا) أن يبلغوا الحق وان الله برئ من الظلم وخلق القبائح والمنكرات وما من أمة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذى هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) لانه من أهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الخذلان لانه عرفه مصمما على الكفر أو المراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال لعلمه بضلاله أو منهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من أضله عنها (فسيروا فى الارض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى أنى لا أقدر الشر ولا أشاؤه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا تفسير الفريقين لاشتمال آيات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم فى الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك أنهم (أقسموا بالله جهد أيمانهم) أى اغلاظ الايمان كما مر فى المائدة كأنهم ادعوا علما ضروريا بأن الشئ اذا فنى وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيأ آخر فأكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فأجاب الله عن شبهتهم بقوله (بلى) وهو اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم وقوله (وعدا) مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله تعالى أى وعد البعث (وعدا عليه حقا) لا خلاف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أن وعد الله حق ثم ذكر حكمة البعث فقال (ليبين) أى يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين (لهم) الحق الذى اختلفوا فيه بأنا عيانا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصى والحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم أن يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا أى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب فى ادعاء الشريك له وفى قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا

جرام ثم برهن على امكان البعث بقوله (انما قولنا) وهو مبتدأ خبره أن نقول وقد فسرنا مثل هذه الاية فى سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض أنه سبحانه لامانع له من الايجاد والاعدام ولا تتوقف آثار قدرته الا على مجرد الارادة والمشيئة فكيف يمتنع عليه البعث الذى (٦٦) هو أهون من الابداء قال فى الكشاف قرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول قلت ولا مانع من كونه منصوبا باضمار أن لوقوعه فى جواب الامر بعد الفاء وقد مر فى البقرة احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى أن يقال له كن ثم الكلام فى هذا اللفظ كالكلام فى الاول وتسلسل والجواب بعد تسليم أن هذا ليس مثلا وأن ثم قولا أن اذا لاتفيد التكرار فلا يلزم فى كل ما يحدثه الله تعالى أن يقول له كن وكيف يتصور أن تكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على أن قوله انما قولنا لشئ اذا أردناه يقتضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وأنه علق القول بكلمة اذا ولا شك أنها للاستقبال وكذا قوله (أن نقول) ثم ان كلمة (كن) متقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فتلخص من هذه الدلائل أن الكلام المسموع لابد أن يكون محدثا هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازى ولعل لنافيه نظرا ولما حكى الله سبحانه عن الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء لم يبعد منهم والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينئذ يلزمهم أن يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين قائلا (والذين هاجروا فى الله) أى فى حقه وسبيله (من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا) مثوبة (حسنة) أومباءة حسنة هى المدينة أواهم أهلها ونصروهم قاله الحسن والشعبى وقتادة المدينة وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هى الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على أهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الآية فى جماعة منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم

ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار من أضلوا احتمالهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال ومن أوزار الذين يضلونهم حملهم ذنوب أنفسهم وسائر الحديث مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم قال حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيأ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة أى ذنوبهم وذنوب الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم يقول يحملون ذنوبهم وذلك مثل قوله وأثقالا مع أثقالهم يقول يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يضلونهم بغير علم حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وأيما داع دعا الى هدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شئ حدثنى المثنى قال أخبرنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن رجل قال قال زيد بن أسلم انه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله فى صورة أقبح ما خلق الله وجها وأنتنه ريحا فيجلس الى جنبه كلما أفزعه شئ زاده فزعا وكلما تخوف شيأ زاده خوفا فيقول بئس الصاحب أنت ومن أنت فيقول وما تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك كان قبيحا فلذلك ترانى قبيحا وكان منتنا فلذلك ترانى منتنا طأطئ الى أركبك فطالما ركبتنى فى الدنيا فيركبه وهو قوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله من أراد اتباع دين الله فراموا مغالبة الله ببناء بنوه يريدون بزعمهم الارتفاع الى السماء لحرب من فيها وكان الذى رام ذلك فيما ذكر لنا جبارا من جبابرة النبط فقال بعضهم هو نمرود بن كنعان وقال بعضهم هو بختنصر وقد ذكرت بعض أخبارهما فى سورة ابراهيم وقيل ان الذى ذكر فى هذا الموضع هو الذى ذكره الله فى سورة ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أمر الذى حاج ابراهيم فى ربه بابراهيم فأخرج يعنى من مدينته قال فلقى لوطا على باب

وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم ماله وهاجر فلما راه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أما الضمير في قوله (لو كانوا يعلمون) فاما أن يرجع الى الكفار أى لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا في دينهم واما أن يعودالى المهاجرين أى لو علموا أن أجر الآخرة أكبر لازدادوا في اجتهادهم وصبرهم

ثم مدحهم بقوله (الذين صبروا) على هم الذين أو أعنى الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى المجاهدة في سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو آخر الطريق والله ولى التوفيق فان العارفين بالصبر ساروا وبالتوكل طاروا ثم في الله حاروا وحسبي الله ونعم الوكيل ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو

المدينة وهو ابن أخيه فدعاه فآمن به وقال انى مهاجر الى ربى وحلف نمرود أن يطلب اله ابراهيم فأخذ أربعة أفراخ من فراخ النسور فرباهن باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعلجن فربطهن في تابوت وقعد في ذلك التابوت ثم رفع لهن رجلا من لحم فطرن حتى اذا ذهبن في السماء أشرف ينظر الى الأرض فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ثم رفع لهن اللحم ثم نظر فرأى الارض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع فألقى اللحم فاتبعته منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهن فزعت الجبال وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وهي في قراءة ابن مسعود وان كاد مكرهم فكان طيرورتهن به من بيت المقدس ووقوعهن به في جبل الدخان فلما رأى أنه لا يطيق شيأ أخذ في بنيان الصرح فبنى حتى اذا شيده الى السماء ارتقى فوقه ينظر بزعمه الى اله ابراهيم فأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانه من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول من مأمنهم وأخذهم من أساس الصرح فتنقض بهم فسقط فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وانما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد قال هو نمرود حين بنى الصرح **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن زيد ابن أسلم ان أول جبار كان في الأرض نمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق أرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذى كان بنى صرحا الى السماء وهو الذى قال الله فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأما قوله فأتى الله بنيانهم من القواعد فان معناه هدم الله بنيانهم من أصله والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس وكان بعضهم يقول هذا مثل للاستئصال وانما معناه ان الله استأصلهم وقال العرب تقول ذلك اذا استؤصل الشئ وقوله فخر عليهم السقف من فوقهم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه فخر عليهم السقف من فوقهم أعالى بيوتهم من فوقهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد إى والله لأتاها أمر الله من أصلها فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف أعالى البيوت فائتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فخر عليهم السقف من فوقهم قال أتى الله بنيانهم من أصوله فخر عليهم السقف **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال أخبرنا

العزيز الحكيم) ۞ القراآت نوحي بالنون حفص غير الخزاز الباقون بالياء مجهولا أولم تر وابتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف تتفيؤ بتاء التأنيث أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون على الغيبة ۞ الوقوف لاتعلمون ه لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون ه لايشعرون ه لا للعطف بمعجزين ه لا كذلك على تخوف ط للفصل (٦٨) بين الاستخبار والاخبار رحيم ه داخرون ه لايستكبرون ه مايؤمرون ه اثنين ج للابتداء بانما مع اتحاد القائل واحد ج للعدول مع الفاء فارهبون ه واصبا ط تتقون ه تجأرون ه ج لأن ثم لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون ه لا لتعلق لام كي آتيناهم ط للعدول والفاء للاستئناف تعلمون ه رزقناهم ط تفترون ه سبحانه لا لان مابعده من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون ه كظيم ه ج لاحتمال أن مابعده وصف لكظيم أو استئناف مابشر به ط لان التقدير يتفكر في نفسه المسألة في التراب ط مايحكمون ه السوء ج لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الأعلى ط الحكيم ه ۞ التفسير الشبهة الخامسة أن قريشا كانوا يقولون الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله بشرا فأجاب سبحانه بقوله (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) والمراد أن هذه عادة مستمرة من أول زمان الخلق والتكليف وزعم أبو علي الجبائي أنه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله أراد الملك الذي يرسل الى الانبياء بحضرة أممهم كما روى أن جبريل عليه السلام كان يأتي في صورة دحية وفي صورة سراقة واعرابي وانما قيدنا بحضرة الامم لان الملائكة قد يبعثون على صورتهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله الى نبيه كما روى

أبو حذيفة قال ثنا شبل و حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فأتى الله بنيانهم من القواعد قال مكر نمرود بن كنعان الذي حاج ابراهيم في ربه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ وقال آخرون عنى بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم أن العذاب أتاهم من السماء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فخر عليهم السقف من فوقهم يقول عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا ۞ وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك تساقطت عليهم سقوف بيوتهم اذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله فائتفكت بهم منازلهم لان ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان وخر السقف وتوجيه معاني كلام الله الى الأشهر الأعرف منها أولى من توجيهها الى غير ذلك ما وجد اليه سبيل وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون يقول تعالى ذكره وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبل مشركي قريش عذاب الله من حيث لايدرون أنه أتاهم منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين) يقول تعالى ذكره فعل الله بهؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ما فعل بهم في الدنيا من تعجيل العذاب لهم والانتقام بكفرهم وجحودهم وحدانيته ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم فمذلهم بعذاب أليم وقائل لهم عند ورودهم عليه أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم أصله من شاققت فلانا فهو يشاقني وذلك اذا فعل كل واحد منهما بصاحبه مايشق عليه يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقريعا للمشركين بعبادتهم الاصنام أين شركائي يقول أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم مالهم لايحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا وتتولونهم والولي ينصر وليه وكانت مشاقتهم الله في أوثانهم مخالفتهم اياه في عبادتهم كما حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم يقول تخالفوني وقوله قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يعني الذلة والهوان والسوء يعني عذاب الله على الكافرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله فجحد وحدانيته الذين تتوفاهم الملائكة يقول الذين تقبض أرواحهم الملائكة ظالمي أنفسهم يعني وهم على كفرهم وشركهم بالله وقيل انه عنى بذلك من قتل من قريش ببدر وقد أخرج اليها كرها حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهري قال ثني سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال كان ناس بمكة أقروا بالاسلام ولم يهاجروا فأخرج بهم كرها الى بدر فقتل بعضهم فأنزل الله فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقوله فألقوا السلم يقول فاستسلموا لأمره وانقادوا

أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تأولوا قوله ولقد رآه نزلة أخرى ثم انهم كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فأمرهم الله أعني قريشا بأن يرجعوا اليهم في هذه المسألة ليبينوا اليهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله (فاسئلوا أهل الذكر) قال بعض الأصوليين فيه دليل على أنه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد آخر فيما يشتبه عليه واحتج نفاة

القياس بالآية قالوا لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه أن يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس وأجيب بأنه قد ثبت العمل بالقياس لاجماع الصحابة والاجماع أقوى من ظاهر النص أما قوله (بالبينات) ففي متعلقه وجوه منها أن يتعلق بأرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وأنكر الفراء ذلك قال ان صلة ما قبل الا لا تتأخر الى ما بعد الا لان المستثنى منه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما أرسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها أن يتعلق برجالا صفة له أي رجالا متلبسين بالبينات ومنها أن يتعلق بأرسلنا مضمرا نظيره ما مر الا أخوك ثم تقول مر بزيد قاله الفراء ومنها أن يتعلق بيوحي أي يوحي اليهم بالبينات ومنها أن يتعلق بالذكر بناء على أنه بمعنى العلم ومنها أن يتعلق بلا تعلمون أي ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسألوا وقال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فأعطني حقي قلت أراد أن عدم علمهم مقرر كما أن عمل الاجير ثابت وسلم جار الله أن مثل قوله فاسألوا جواب الشرط على هذا الوجه وأما على الوجوه المتقدمة فجزم أنه اعتراض بناء على أن جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما أرسلنا الخ وعندي أن هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه أن يكون مثل فاسألوا جوابا والله أعلم وأهل الذكر أهل التوراة كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التوراة وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامع لكل ما تتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي يعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال (وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وبين الغاية المترتبة على الانزال وهي تبيين الاحكام والشرائع بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المبدإ والمعاد بالاضافة الى المكلفين وفي ظاهر هذا النص دلالة على أن القرآن كله مجمل ومن هنا ذهب بعضهم الى أنه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لأن

وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم ما كنا نعمل من سوء وفي الكلام محذوف استغنى بفهم سامعيه بما دل عليه الكلام عن ذكره وهو فقالوا ما كنا نعمل من سوء يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا ما كنا نعصي الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك فكذبهم الله فقال بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله ان الله عليم بما كنتم تعملون يقول ان الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه وتأتون فيها ما يسخطه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم ما كنا نعمل من سوء ادخلوا أبواب جهنم يعني طبقات جهنم خالدين فيها يعني ماكثين فيها فلبئس مثوى المتكبرين يقول فلبئس منزل من تكبر على الله ولم يقر بربوبيته ويصدق بوحدانيته جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ يقول تعالى ذكره وقيل للفريق الآخر الذين هم أهل ايمان وتقوى لله ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يقول قالوا أنزل خيرا وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول انما اختلف الاعراب في قوله قالوا أساطير الاولين وقوله خيرا والمسئلة قبل الجوابين كليهما واحدة وهي قوله ماذا أنزل ربكم لأن الكفار جحدوا التنزيل فقالوا حين سمعوه أساطير الاولين أي هذا الذي جئت به أساطير الاولين ولم ينزل الله منه شيأ وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل فقالوا خيرا بمعنى أنه أنزل خيرا فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير فلهذا افترقا ثم ابتدأ الخبر فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله وأطاعوه فيها ودعوا عباد الله الى الايمان والعمل بما أمر الله به حسنة يقول كرامة من الله ولدار الآخرة خير يقول ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا وكرامة الله التي أعدها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يقول ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وهؤلاء مؤمنون فيقال لهم ماذا أنزل ربكم فيقولون خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي آمنوا بالله وأمروا بطاعة الله وحثوا أهل طاعة الله على الخير ودعوهم اليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله جنات عدن بساتين للمقام وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن اعادته يدخلونها يقول يدخلون جنات عدن وفي رفع جنات أوجه ثلاثة أحدها أن يكون مرفوعا على الابتداء والآخر بالعائد من الذكر في قوله يدخلونها والثالث على أن يكون خبر النعم فيكون المعنى اذا جعلت خبر النعم ولنعم دار المتقين جنات عدن ويكون يدخلونها في موضع حال كما يقال نعم الدار دار تسكنها أنت وقد يجوز أن يكون

القران مجمل والخبر مبين له وأجيب بمنع الكلية فمن القران ماهو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات المجملات قال بعض من نفى القياس
لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول أن يبين للمكلفين ما أنزل الله عليه من الاحكام بل كان له أن يفوض بعضها الى رأى القائس
وأجيب بأنه لما بين أن القياس من جملة الحجج فالقياس أيضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع أجوبتها

اذا كان الكلام بهذا التأويل يدخلونها من صلة جنات عدن وقوله تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى من تحت أشجارها الانهار لهم فيها ما يشاؤن يقول للذين أحسنوا فى هذه الدنيا فى جنات عدن ما يشاؤن مما تشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم كذلك يجزى الله المتقين يقول كما يجزى الله هؤلاء الذين أحسنوا فى هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به فى الدنيا والآخرة كذلك يجزى الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره كذلك يجزى الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله وهم طيبون بتطييب الله اياهم بنظافة الايمان وطهر الاسلام فى حال حياتهم وحال مماتهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الذين تتوفاهم الملائكة طيبين قال أحياء وأمواتا قدر الله ذلك لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله يقولون سلام عليكم يعنى جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين وهى تقول لهم سلام عليكم صيروا الى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة كما حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر أنه سمع محمد بن كعب القرظى يقول اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك ولى الله الله يقرأ عليك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الى آخر الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فسلام لك من أصحاب اليمين قال الملائكة يأتونه بالسلام من قبل الله وتخبره أنه من أصحاب اليمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الاشيب أبو على عن أبى رجاء عن محمد بن مالك عن البراء قال قوله سلام قولا من رب رحيم قال يسلم عليه عند الموت وقوله بما كنتم تعملون يقول بما كنتم تصيبون فى الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله وطلب مرضاته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره هل ينتظر هؤلاء المشركون الا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتى أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة كذلك فعل الذين من قبلهم يقول جل ثناؤه كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم أو اتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله لان ذلك فى كل مشرك بالله وما ظلمهم الله يقول جل ثناؤه وما ظلمهم الله باحلال سخطه بهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم وكفرهم به حتى استحقوا عقابه فعجل لهم ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة قال بالموت وقال فى آية أخرى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

شرع فى التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال (أفأمن الذين مكروا السيئات) أى المكرات السيئات أراد أهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبى عنى بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله والأقرب أن المراد سعيهم فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وايذاء أصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب) أو ملائكة العذاب من السماء (من حيث لا يشعرون) كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين) فائتين الله وذكر المفسرون فى هذا التقلب وجوها منها أنه تعالى يأخذهم فى أسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على أن يهلكهم فى السفر كما أنه قادر على أن يهلكهم فى الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم فى البلاد البعيدة ومنها أنه يأخذهم بالليل والنهار فى أحوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته فى حال تصرفهم فى الامور التى يتصرف فيها أمثالهم ومنها أنه أراد فى حال ما يتقلبون فى قضاء أوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور (أو يأخذهم على تخوف) على حالة تخوفهم وتوقعهم للبلاء بأن يكون قد أهلك قوما قبلهم فيكان أثر الخوف باقيا فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون
وقيل التخوف التنقص والمعنى أنه يأخذهم بطريق التنقص شيأ بعد شئ فى ديارهم وأموالهم وأنفسهم حتى يأتى الفناء على الكل عن عمر أنه
قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم

قال شاعر نازهير تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا أى سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشئ ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء بالمر فى البحر فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) فذهب المفسرون الى أن معناه أنه يمهل فى أكثر الامر لانه رؤف رحيم فلا يعجل بالعذاب وأقول يحتمل أن يكون قوله فان تعليلا لقوله أفأمن كقوله ماغرك بربك الكريم ولما خوف الماكرين بما خوف أتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته فى تدبير أحوال العالم العلوى والسفلى وسكانهما فقال (أولم يروا الى ما خلق الله) قال جار الله ما مبهمة بيانه (من شئ) وقال أهل المعانى قوله (يتفيؤ ظلاله) اخبار عن شئ وليس بوصف له ويتفيأ يتفعل من الفئ وأصله الرجوع ومنه فيئة المولى وقال الازهرى تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرف عنه الشمس والقمر والذى يكون بالغداة ظل وقال ثعلب أخبرت عن أبى عبيدة أن رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فئ وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله أضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه واحدا فى اللفظ وان كان كثيرا فى المعنى وهو قوله الى ما خلق نظيره لتستووا على ظهوره أضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد أريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهرى تفيأت الظلال أى تقلبت وقوله (عن اليمين والشمائل) قال أهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد اليمين لانه أراد واحدا من ذوات الأظلال وجمع الشمائل لانه أراد كلها الان قوله ما خلق الله لفظ مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتى جمع عبرت عن احداهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التى هى مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل عبارة عن الانحراف الواقع فى تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهى كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان أقوى جانبى الانسان يمينه ومنه

الملائكة وهو ملك الموت وله رسل قال الله تعالى أو يأتى أمر ربك وذاكم يوم القيامة **حدثنى المثنى** قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة يقول عند الموت حين تتوفاهم أو يأتى أمر ربك ذلك يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الامم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا يعنى عقوبات ذنوبهم ونقم معاصيه التى اكتسبوها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحل بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزؤن منه ويسخرون عند انذارهم ذلك رسل الله ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الايمان بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله ما نعبد هذه الاصنام الا لأن الله قد رضى عبادتنا هؤلاء ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب الا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ورضيه لولا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته ايانا الى غيره من الافعال يقول تعالى ذكره كذلك فعل الذين من قبلهم من الامم المشركة الذين استن هؤلاء سنتهم فقالوا مثل قولهم وسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسل الله واتباع أفعال آبائهم الضلال وقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين يقول جل ثناؤه فهل أيها القائلون لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا على رسلنا الذين نرسلهم بانذاركم عقوبتنا على كفركم الا البلاغ المبين يقول الا أن تبلغكم ما أرسلنا اليكم من الرسالة ويعنى بقوله المبين الذى يبين عن معناه لمن أبلغه ويفهمه من أرسل اليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد بعثنا أيها الناس فى كل أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة واجتنبوا الطاغوت يقول وابعدوا من الشيطان واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا فمنهم من هدى الله يقول فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله فوفقه لتصديق رسله والقبول منها والايمان بالله والعمل بطاعته ففاز وأفلح ونجا من عذاب الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يقول وممن بعثنا رسلنا اليه من الامم آخرون حقت عليهم الضلالة فجاروا عن قصد السبيل فكفروا بالله وكذبوا رسله واتبعوا الطاغوت فأهلكهم الله بعقابه وأنزل عليهم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول تعالى ذكره لمشركى قريش ان كنتم أيها الناس غير مصدقى رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حل بهم ما حل من بأسنا بكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله فسيروا فى الارض التى كانوا يسكنونها والبلاد التى كانوا يعمرونها فانظروا الى آثار الله فيهم وآثار سخطه النازل بهم كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم فانكم ترون حقيقة ذلك وتعلمون به صحة الخبر الذى يخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

تظهر الحركة القوية وكذا جانب الشرق أقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي أسرع الحركات وأقواها ويمكن أن يقال إن الانسان اذا توجه الى الشرق الذي هو أولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب أن وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد

وقد يتفق انتقالها من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد اذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم أن الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في جنوب سمت الرأس وقع ظلها الى جانب الشمال وان كانت في شماله وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل أن يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها في هاتين الجهتين والله أعلم أما قوله (سجدا لله) فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لأمر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك النير على نسب مخصوصة ومقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وذكر بعضهم في تفسير هذا السجود أن هذه الاظلال واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله (وهم داخرون) حال أخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون لانهم أشبهوا العقلاء من حيث طاعتها الله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله لجانبي الشئ أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) قال الاخفش أي من الدواب وأخبر بالواحد كما تقول ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر أنه علم من آية الظلال أن الجمادات بأسرها منقادة لله فبين في هذه الآية أن الحيوانات بأسرها أيضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لأنها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة لقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة أنها أرواح مجردة

من

عليه وسلم ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين الى الايمان بالله واتباع الحق فان الله لا يهدي من يضل * اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفيين فان الله لا يهدي من يضل بفتح الياء من يهدي وضمها من يضل وقد اختلف في معنى ذلك قارئوه كذلك فكان بعض نحويي الكوفة يزعم أن معناه فان الله من أضله لا يهتدي وقال العرب تقول قد هدى الرجل يريدون قد اهتدى وهدى واهتدى بمعنى واحد وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه فان الله لا يهدي من أضله بمعنى أن من أضله الله فان الله لا يهديه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة فان الله لا يهدى بضم الياء من يهدى ومن يضل وفتح الدال من يهدى بمعنى من أضله الله فلا هادي له وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب لان يهدي بمعنى يهتدي قليل في كلام العرب غير مستفيض وأنه لا فائدة في قول قائل من أضله الله فلا يهديه لأن ذلك مما لا يجهله أحد واذ كان ذلك كذلك فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى فتأويل الكلام لو كان الامر على ما وصفنا ان تحرص يا محمد على هداهم فان من أضله الله منهم فلا هادي له فلا تجهد نفسك في أمره وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة وما لهم من ناصرين يقول وما لهم ناصر ينصرهم من الله اذا أراد عقوبتهم فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم وفي قوله ان تحرص لغتان فمن العرب من يقول حرص يحرص بفتح الراء في فعل وكسرها في يفعل وحرص يحرص بكسر الراء في فعل وفتحها في يفعل والقراءة على الفتح في الماضي والكسر في المستقبل وهي لغة أهل الحجاز * القول في تأويل قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جهد أيمانهم حلفهم لا يبعث الله من يموت بعد مماته وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك بل سيبعثه الله بعد مماته وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده والله لا يخلف الميعاد ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا فان الناس صاروا في البعث فرقتين مكذب ومصدق ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس ان ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون هذه الآية فقال ابن عباس كذب أولئك انما هذه الآية للناس عامة ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال ابن عباس ان رجالا يقولون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال لو كنا نعلم أن عليا مبعوث ما تزوجنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ولكن هذه للناس عامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله

ليست من شأنها الحركة والدب قال جار الله من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وأن يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعدلهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال (وهم لا يستكبرون يخافون) على أنه حال منهم أو بيان لنفي استكبارهم لان الخوف أثر عدم الاستكبار وقوله (من فوقهم) اما أن يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما أن يكون حالا من الرب أي يخافونه غالبا قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده زعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة أنه تعالى وصفهم بالخوف وحصول الخوف نتيجة تجويز الاقدام على الذنوب وهب أنهم فعلوا كل ما أمروا به فمن أين علم أنهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول أنهم انما يخافون من العذاب لقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون الذنب وعن ابن عباس أن هذا الخوف خوف الاجلال كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب أنه كلما كانت معرفة جلال الله أتم كانت الهيبة والحيرة أعظم وعن الثاني أن النهي عن الشيء أمر بتركه وفي الآية دلالة على أن ابليس لم يكن من الملائكة لانه أبى واستكبروا انهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على أن الملك أفضل من البشر بل من كل المخلوقات والا لما خصهم بالذكر من بينها ولنقاء بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل الانسان ما أكفره وقال صلى الله عليه وسلم ما منا الا من قد عصى أوهم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال

من يموت قال حلف رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند رجل من المكذبين فقال والذي يرسل الروح من بعد الموت فقال وانك لتزعم أنك مبعوث من بعد الموت وأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذي أرجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك انك تزعم أنك تبعث بعد الموت فأقسم بالله جهد يمينه لا يبعث الله من يموت فأنزل الله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن عطاء بن أبي رباح أنه أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول قال الله سبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يسبني وكذبني ولم يكن ينبغي له أن يكذبني فأما تكذيبه اياي فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال قلت بلى وعدا عليه حقا وأما سبه اياي فقال ان الله ثالث ثلاثة وقلت قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يقول تعالى ذكره بل ليبعثن الله من يموت وعدا عليه حقا ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت ولغيرهم الذي يختلفون فيه من احياء الله خلقه بعد فنائهم وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قيلهم لا يبعث الله من يموت كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال للناس عامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) يقول تعالى ذكره انا اذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في احيائناهم ولا في غير ذلك مما نخلق ونكون ونحدث لانا اذا أردنا خلقه وانشاءه فانما نقول له كن فيكون لا معاناة فيه ولا كلفة علينا واختلفت القراء في قراءة قوله يكون فقرأه أكثر قراء الحجاز والعراق على الابتداء وعلى أن قوله انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن كلام تام مكتف بنفسه عما بعده ثم يبتدأ فيقال فيكون كما قال الشاعر * يريد أن يعربه فيعجمه * وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وبعض المتأخرين من قراء الكوفيين فيكون نصبا عطفا على قوله أن نقول له وكأن معنى الكلام على مذهبهم ما قولنا لشيء اذا أردناه الا أن نقول له كن فيكون وقد حكي عن العرب سماعا أريد أن تأتيني فتشتمني عطفا بمعنى على أن تأتي وقوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة يقول تعالى ذكره والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم الى آخرين غيرهم من بعد ما ظلموا يقول من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله لنبوئنهم في الدنيا حسنة يقول لنسكننهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم قال هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم

أيضا صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في أمته فضل الشيخ على الشاب لتقادم عهده وطول مدته ولا شك أن الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وأنهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في أول سورة البقرة وفي قوله (٧٤) (ما يؤمرون) دلالة على أن الملائكة مكلفون بالامر والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين أن كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه أتبعه النهي عن الشرك قائلا (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا يدلان على العدد الخاص فما الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد وأجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتأخيرا أي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها أنه كررت العبارة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول لاهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي أن يعلم أن النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم أنك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزأين ما به الاشتراك في الوجوب الذاتي وما به الامتياز ولكن التركب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع أيضا يعين على المطلوب كما لو أراد أحدهما تحريك جسم معين وأراد الآخر تسكينه أو قوي أحدهما على مخالفة الآخر أو لا يقوى أو قدر أحدهما على أن يستر ملكه عن الآخر أو لا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا (فاياي فارهبون) وقد مر مثله في أول البقرة ثم لما قرر وحدته وأنه يجب أن يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر أن الكل ملكه فقال (وله ما في السموات والارض) فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها له أنها مفعولة لأجله ولغرض طاعته لأن فيها المباحات والمحظورات التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد أن كلها

بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصارا من المؤمنين حدثت عن القاسم بن سلام قال ثنا هشيم عن داود بن أبي هند عن الشعبي لنبوئنهم في الدنيا حسنة قال المدينة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة قال هم قوم هاجروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم وظلمهم المشركون * وقال آخرون عني بقوله لنبوئنهم في الدنيا حسنة لنرزقنهم في الدنيا رزقا حسنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لنبوئنهم لنرزقنهم في الدنيا رزقا حسنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أفضل ثم تلا هذه الآية لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى لنبوئنهم لنحلنهم ولنسكننهم لان التبوأ في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به ومنه قول الله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق وقيل ان هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا جعفر بن سليمن عن داود بن أبي هند قال نزلت والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الى قوله وعلى ربهم يتوكلون في أبي جندل بن سهيل وقوله ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يقول ولثواب الله اياهم على هجرتهم فيه في الآخرة أكبر لأن ثوابه اياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبيد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله ولأجر الآخرة أكبر إي والله لما يثيبهم الله عليه من جنته أكبر لو كانوا يعلمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم وآتيناهم الثواب الذي ذكرناه الذين صبروا في الله على ما نابهم في الدنيا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يثقون في أمورهم واليه يستندون في نوائب الامور التي تنوبهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلنا من قبلك يا محمد الى أمة من الامم للدعاء الى توحيدنا والانتهاء الى أمرنا ونهينا الا رجالا من بني آدم نوحي اليهم وحينا لا ملائكة يقول فلم نرسل الى قومك الا مثل الذي كنا نرسل الى من قبلهم من الامم من جنسهم وعلى منهاجهم فاسئلوا أهل الذكر يقول لمشركي قريش وان كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل الى من قبلكم من الامم رجال من بني آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقلتم هم ملائكة أي ظننتم أن الله كلمهم قبلا فاسئلوا أهل

الذكر

بتخليقه وتكوينه ومن جملة ذلك أفعال العباد ثم قال (وله الدين واصبا) فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها ويقال للمريض وصب لكون ذلك المرض لازماله وانتصابه على الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة أو الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة أبدا ويحتمل أن يكون الدين يعني الملة أي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وقال بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين أي الانقياد واصبا اشارة الى أن جميع الممكنات مفتقرة الى فيضه وجوده في حال وجوده لان التحقيق أن الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم أنكر أن يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال (أفغير الله تتقون) ثم من عليهم بقوله (وما بكم من نعمة فمن الله) ما بمعنى الذي وبكم صلته ومن نعمة حال من الضمير في الجار أو بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف أي ما يكن وقال جار الله معناه أي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة أفضل النعم نعمة الايمان والآية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية أو بدنية أو خارجية كالسعادات المالية وغيرها وكل واحدة من هذه جنس تحتها أنواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل أن لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله قائلا (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) ما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) قال جار الله يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد أقول وأظهر الوجهين الأول والمعنى أن فريقا

الذكر وهم الذين قد قرؤا الكتب من قبلهم التوراة والانجيل وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد فاسئلوا أهل الذكر قال أهل التوراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله فاسئلوا أهل الذكر قال سمعنا أنه من أسلم من أهل التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال هم أهل الكتاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيدالله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال قال المشركي قريش ان محمدا في التوراة والانجيل حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فأنزل الله أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أنكرتم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا قال ثم قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال نحن أهل الذكر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال الذكر القرآن وقرأ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقرأ ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الآية

القول في تأويل قوله تعالى ﴿بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره أرسلنا بالبينات والزبر رجالا نوحي اليهم فان قال قائل وكيف قيل بالبينات والزبر وما الجالب لهذه الباء في قوله بالبينات فان قلت جالبها قوله أرسلنا وهي من صلته فهل يجوز أن تكون صلة ما قبل الا بعدها وان قلت جالبها غير ذلك فما هو وأين الفعل الذي جلبها قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعضهم الباء التي في قوله بالبينات من صلة أرسلنا وقال الا في هذا الموضع ومع الجحد والاستفهام في كل موضع بمعنى غير وقال معنى الكلام وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال نوحي اليهم ويقول على ذلك ما ضرب الا أخوك زيدا وهل كلم الا أخوك عمرا بمعنى ما ضرب زيدا غير أخيك وهل كلم عمرا الا أخوك ويحتج في ذلك بقول أوس بن حجر

أبني لبيني لستم بيد * الا يدا ليست لها عضد

ويقول لو كانت الا بغير معنى غير لفسد الكلام لان الذي خفض الباء قبل الا لا يقدر على اعادته بعد الا لخفض اليد الثانية ولكن معنى الا معنى غير ويستشهد أيضا بقول الله عز وجل لو كان

منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في أن لا يفزع الا الى الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال (ليكفروا) كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز أن تكون لام العاقبة يعني عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا الكفران والمراد بقوله (بما آتيناهم) كشف (٧٦) الضر وازالة المكروه أو القرآن والشرائع أو جميع النعم الظاهرة والباطنة التي أنعم الله بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد وبطريقة الالتفات نظرا الى أول الكلام (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة كفركم ومثله في الروم كما سيجيء وأما في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف حتى نقياس ثم حكى نوعا آخر من قبائح أعمال بني ادم فقال (ويجعلون لما لا يعلمون) الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بأن نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز وبأن جمع السلامة بالعقلاء أليق وقد رجح الثاني بأن الاول يفتقر الى الاضمار كأنه قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا ولا في الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم (نصيبا) أو ويجعلون لما لا يعلمون الاهيتها أو السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى آخر الكواكب ثم أوعدهم الله بقوله (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) على الله من أن له شريكا وأن الأصنام أهل للتقرب قال البهائم أنه لا شعور لها بشيء أصلا أو المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي أو قولهم ان لغير الله تأثيرا في هذا العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر والأقرب أنه في الآخرة وهذا في هؤلاء

فيهما آلهة الا الله ويقول الا بمعنى غير في هذا الموضع وكان غيره يقول انما هذا على كلامين يريد وما أرسلنا من قبلك الا رجالا أرسلناهم بالبينات والزبر قال وكذلك قول القائل ما ضرب الا أخوك زيدا معناه ما ضرب الا أخوك ثم يبتدئ ضرب زيدا وكذلك ما مر الا أخوك بزيد ما مر الا أخوك ثم يقول مر بزيد ويستشهد على ذلك ببيت الاعشى

وليس مجيرا ان أتى الحي خائف * ولا قائلا الا هو المتعيبا

ويقول لو كان ذلك على كلمة لكان خطأ لان المتعيبا من صلة القائل ولكن جاز ذلك على كلامين وكذلك قول الآخر

نبئتهم عذبوا بالنار جارهم * وهل يعذب الا الله بالنار

فتأويل الكلام اذا وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر والبينات هي الادلة والحجج التي أعطاها الله رسله أدلة على نبوتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به اليهم من عند الله والزبر هي الكتب وهي جمع زبور من زبرت الكتاب وذبرته اذا كتبته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بالبينات والزبر قال الزبر الكتب حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالبينات والزبر قال الآيات والزبر الكتب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الزبر الكتب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله والزبر يعني بالكتب وقوله وأنزلنا اليك الذكر يقول وأنزلنا اليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم لتبين للناس يقول لتعرفهم ما أنزل اليهم من ذلك ولعلهم يتفكرون يقول وليتذكروا فيه ويعتبروا به أي بما أنزلنا اليك وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثوري قال قال مجاهد ولعلهم يتفكرون قال يطيعون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فراموا أن يفتنوهم عن دينهم من مشركي قريش الذين قالوا اذ قيل لهم ماذا أنزل ربكم أساطير الاولين صدا منهم لمن أراد الايمان بالله عن قصد السبيل أن يخسف الله بهم الارض على كفرهم وشركهم أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعر به ولا يدري من أين يأتيه وكان مجاهد يقول عني بذلك نمرود بن كنعان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض الى قوله أو يأخذهم على تخوف قال هو نمرود بن كنعان وقومه حدثنا القاسم

قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى قلناه فى تأويل ذلك لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به وهو عقيب قوله وما أرسلنا من قبلك الارجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فكان تهديد من لم يقر بحجة الله الذى جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أحرى من الخبر عمن انقطع ذكره عنه وكان قتادة يقول فى معنى السيئات فى هذا الموضع ما حدثنا به بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفأمن الذين مكروا السيئات أى الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله أو يأخذهم فى تقلبهم أو يهلكهم فى تصرفهم فى البلاد وترددهم فى أسفارهم فما هم بمعجزين يقول جل ثناؤه فانهم لا يعجزون الله من ذلك ان أراد أخذهم كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو يأخذهم فى تقلبهم يقول فى اختلافهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين قال ان شئت أخذته فى سفره حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو يأخذهم فى تقلبهم فى أسفارهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله ۞ وقال ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو يأخذهم فى تقلبهم قال التقلب أن يأخذهم بالليل والنهار وأما قوله أو يأخذهم على تخوف فانه يعنى أو يهلكهم بتخوف وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشئ بعد الشئ حتى يهلك جميعهم يقال منه تخوف مال فلان الانفاق اذا انتقصه ونحو تخوفه من التخوف بمعنى التنقص قول الشاعر

تخوف السير منها تامكا قردا ۞ كما تخوف عود النبعة السفن

يعنى بقوله تخوف السير تنقص سنامها وقد ذكرنا عن الهيثم بن عدى أنه كان يقول هى لغة لأزد شنوءة معروفة لهم ومنه قول الآخر

تخوف عدوهم مالى وأهدى ۞ سلاسل فى الحلوق لها صليل

وكان الفراء يقول العرب تقول تخوفته أى تنقصته تخوفا أى أخذته من حافاته وأطرافه قال فهذا الذى سمعته وقد أتى التفسير بالحاء وهما بمعنى قال ومثله ما قرئ بوجهين قوله ان لك فى النهار سبحا وسبخا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن ابراهيم بن عامر بن مسعود عن رجل عن عمر أنه سألهم عن هذه الآية أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فقالوا ما نرى الا أنه عند تنقص ما يردده من الآيات فقال عمر ما أرى الا أنه على ما تنتقصون من معاصى الله قال فخرج رجل ممن كان عند عمر فلقى أعرابيا فقال يا فلان ما فعل ربك قال قد تخيفته يعنى تنقصته قال فرجع الى عمر فأخبره فقال قدر الله ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى

تعجب من قولهم ومحل ما فى قوله (ولهم ما يشتهون) اما الرفع على الابتداء أو النصب أى وجعلوا لهم ما يشتهون يعنى البنين وأبى الزجاج جواز النصب وقال لان العرب لا تقول جعل له كذا وهو يعنى نفسه وانما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التى جعلوها لله تعالى فقال واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه) أى صار (مسودا) ويحتمل أن يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره مسود الوجه (وهو كظيم) مملوء غما وحزنا وغيظا على المرأة قال أهل المعانى جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوى فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الأطراف ولاسيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه وأشرق واذا قوى غمه انحصر الروح فى داخل القلب ولم يبق منه أثر قوى على الوجه فيتربد الوجه لذلك ويصفر أو يسود (يتوارى) يستخفى (من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوء المبشر به ولم يظهر أياما يحدث نفسه ويدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله (أيمسكه) أى يحبسه (على هون) ذل وهوان والظاهر أن هذا صفة المولود أى يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس انه صفة الاب أى يمسكها مع الرضا

وقد كانت لي في الجاهلية ابنة وأمرت امرأتي أن تزينها وأخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد القعر ألقيتها فقالت يا أبت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شئ فقال صلى الله عليه وسلم ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار ولا ريب أن الانثى التي هذا محلها عندهم كانت في غاية الكراهية والتنفير ومع ذلك (٧٨) أثبتوها لله المتعالي عن الصاحبة والولد فلذلك قال (ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة) ولهذا يقدمون على القتل والايذاء (مثل السوء) وصفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث وأدهن خشية الاملاق والتزام الشح البالغ (ولله المثل الأعلى) وهو اضداد صفات المخلوقين . من الغنى الكامل والجود الشامل (وهو العزيز) الذي لا يغالب فلا يستضر بأن ينسب اليه ما لا يليق به (الحكيم) في خلق الذكور والاناث أو في الوعيد على قتل البنات قال القاضي ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة البنات الى الله وانه أسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شأن المجبرة وأجابت الاشاعرة بأنه ليس كل ما قبح منافي العرف فانه يقبح من الله ألا ترى أن رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل وأزال الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا أن التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية أما أفعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية أن خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احدى الصورتين بالاخرى والله أعلم ۞ التأويل أن يخسف الله بهم أرض البشرية ودركات السفل أو يأتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون أنه من أين أتاهم من قبل الاعمال الدنيوية أو من قبل الاعمال الاخروية أو يأخذهم في تقلبهم من أعمال الدنيا الى أعمال الآخرة بالرياء ومن أعمال الآخرة الى أعمال الدنيا بالهوى أو يأخذهم على تخوف بتنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فان ربكم لرؤف بالعباد

عن أبيه عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول ان شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوف بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس على تخوف قال التنقص والتفزيع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو يأخذهم على تخوف على تنقص حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد على تخوف قال تنقص حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يأخذهم على تخوف فيعاقب أو يتجاوز حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو يأخذهم على تخوف قال كان يقال التخوف التنقص ينتقصهم من البلدان من الاطراف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو يأخذهم على تخوف يعني يأخذ العذاب طائفة ويترك أخرى يعذب القرية ويهلكها ويترك أخرى الى جنبها وقوله فان ربكم لرؤف رحيم يقول فان ربكم ان لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجل لهم وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض لرؤف بخلقه رحيم بهم ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الارض ولم يعجل لهم العذاب ولكن يخوفهم وينقصهم بموت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة أولم يروا بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين أولم تروا بالتاء على الخطاب ۞ وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكروا السيئات لان ذلك في سياق قصصهم والخبر عنهم ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم وتركهم النظر في أدلته والاعتبار بها فتأويل الكلام اذا أولم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات الى ما خلق الله من جسم قائم شجر أو جبل أو غير ذلك يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يقول يرجع من موضع الى موضع فهو في أول النهار على حال ثم يتقلص ثم يعود الى حال أخرى في آخر النهار وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمائل ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل قال الغدو والآصال اذا فاءت الظلال ظلال كل شئ بالغدو سجدت لله واذا فاءت بالعشي سجدت لله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل يعني بالغدو والآصال تسجد الظلال لله غدوة الى أن يفيء الظل ثم تسجد لله الى الليل يعني ظل كل شئ وكان ابن عباس يقول في قوله يتفيأ ظلاله ما حدثنا المثنى قال أخبرنا

اذا أعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لا يأخذهم بعد افساد الاستعداد فى الحال لعلهم يتوبون فى المآل فيقبل توبتهم بالفضل والنوال
ماخلق الله من شئ وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شئ يتفيأ ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة تميل بعمل أهل
السعادة الى أصحاب اليمين وأخرى تميل بعمل أهل الشقاء الى أصحاب الشمال سجدا لله (٧٩) منقادين لأمره مسخرين لما خلق والاجله وانما
وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة أصحاب الشمال وسجود كل موجود يناسب حاله كما أن تسبيح كل منهم يلائم لسانه وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين أراد بالاله الآخر الهوى لقوله صلى الله عليه وسلم ما عبد اله أبغض على الله من الهوى ويجعلون يعنى أصحاب النفوس والأهواء لما لا يعلمون لمن لا علم لهم بأحوالهم نصيبا بالرياء مما رزقناهم من الطاعات تالله لتسئلن عما كنتم تفترون والسؤال عن المعاملات انما هو بتبديل الصفات وتغيير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس ويجعلون لله البنات أظن أن البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتأثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون يعنى أن كل أحد يحب أن يوصف بغاية الكمال ويتغير وجهه اذا نسب على عيب فيه ولا يعلم أن مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب بالذات ونفس الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

أخبرنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يتفيأ ظلاله يقول تتميل
واختلف فى معنى قوله سجدا لله فقال بعضهم ظل كل شئ سجوده ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يتفيأ ظلاله قال ظل كل شئ سجوده
حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك يتفيأ ظلاله
قال سجد ظل المؤمن طوعا وظل الكافر كرها * وقال آخرون بل عنى بقوله يتفيأ ظلاله كلا
عن اليمين والشمائل فى حال سجودها قالوا وسجود الاشياء غير ظلالها ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد وحدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قالا ثنا حكام عن أبى سنان عن ثابت
عن الضحاك فى قول الله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله قال اذا فاء الفيء توجه كل شئ
ساجدا قبل القبلة من نبت أو شجر قال فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك حدثنى المثنى
قال أخبرنا الحمانى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد فى
قول الله يتفيأ ظلاله قال اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله عز وجل * وقال آخرون بل الذى وصف
الله بالسجود فى هذه الآية ظلال الاشياء فانما يسجد ظلالها دون التى لها الظلال ذكر من قال ذلك
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أولم يروا
الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله قال هو سجود الظلال ظلال كل شئ ما فى السموات وما فى
الارض من دابة قال سجود ظلال الدواب وظلال كل شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شئ
يتفيأ ظلاله ما خلق من كل شئ عن يمينه وشمائله فلفظ ما لفظ عن اليمين والشمائل قال ألم تر أنك
اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا وقبض الله
الظل * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر فى هذه الآية أن ظلال الاشياء هى
التى تسجد وسجودها ميلانها ودورانها من جانب الى جانب وناحية الى ناحية كما قال ابن عباس
يقال من ذلك سجدت النخلة اذا مالت وسجد البعير وأسجد اذا أميل للركوب وقد بينا معنى
السجود فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته وقوله وهم داخرون يعنى وهم صاغرون يقال منه
دخر فلان لله يدخر دخرا ودخورا اذا ذل له وخضع ومنه قول ذى الرمة

فلم يبق الا داخر فى مخيس * ومنجحر فى غير أرضك فى جحر

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا
أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم داخرون صاغرون حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم داخرون أى صاغرون حدثنا ابن عبد الأعلى قال
ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله وأما توحيد اليمين فى قوله عن اليمين والشمائل فجمعها
فان ذلك انما جاء كذلك لان معنى الكلام أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلال ما خلق

ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لاية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم (٨٠) ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير ﴾

من شئ عن يمينه أى ما خلق وشمائله فلفظ ما لفظ واحد ومعناه معنى الجمع فقال عن اليمين يعنى عن يمين ما خلق ثم رجع الى معناه فى الشمائل وكان بعض أهل العربية يقول انما تفعل العرب ذلك لان أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد فيقال للرجل خذ عن يمينك قال فكأنه اذا وحد ذهب الى واحد من القوم واذا جمع فهو الذى لا مساءلة فيه واستشهد لفعل العرب ذلك بقول الشاعر

بفى الشامتين الصخر ان كان هدنى * (١) ودبه شبلى مخدر فى الضراغم

فقال بفى الشامتين ولم يقل بأفواه وقول الآخر

الواردون وهم فى ذرى سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ولم يقل جلود ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولله يخضع ويستسلم لأمره ما فى السموات وما فى الارض من دابة يدب عليها والملائكة التى فى السموات وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وكان بعض نحويى البصرة يقول اجتزئ بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع وانما معنى الكلام ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من الدواب والملائكة كما يقال ما أتانى من رجل بمعنى ما أتانى من الرجال وكان بعض نحويى الكوفة يقول انما قيل من دابة لان ما وان كانت قد تكون على مذهب الذى فانها غير مؤقتة فاذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة فيقال من ضربه من رجل فاضربوه ولا تسقط من من هذا الموضع كراهية أن تشبه أن تكون حالا لمن وما فجعلوه بمن ليدل على أنه تفسير لما ومن لانهما غير مؤقتتين فكان دخول من فيما بعدهما تفسيرا لمعناهما وكان دخول من أدل على ما لم يؤقت من من وما فلذلك لم تلغيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ يقول تعالى ذكره يخاف هؤلاء الملائكة التى فى السموات وما فى الارض من دابة ربهم من فوقهم أن يعذبهم ان عصوا أمره ويفعلون ما يؤمرون يقول ويفعلون ما أمرهم الله به فيؤدون حقوقه ويجتنبون سخطه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الله لعباده لا تتخذوا لى شريكا أيها الناس ولا تعبدوا معبودين فانكم اذا عبدتم معى غيرى جعلتم لى شريكا ولا شريك لى انما هو اله واحد ومعبود واحد وأنا ذلك فاياى فارهبون يقول فاياى فاتقوا وخافوا عقابى بمعصيتكم اياى ان عصيتمونى وعبدتم غيرى أو أشركتم فى عبادتكم لى شريكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون ﴾ يقول تعالى ذكره ولله ملك ما فى السموات والارض من شئ لا شريك له فى شئ من ذلك هو الذى خلقهم وهو الذى يرزقهم وبيده حياتهم وموتهم وقوله وله الدين واصبا يقول جل ثناؤه وله الطاعة والاخلاص دائما ثابتا واجبا يقال منه وصب

(١) لم نقف على هذا البيت ولا الذى بعده ولا يخلوان من التحريف كتبه مصححه

۞ القراآت لا جرم فى المدمثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد الاخرون بضمها ۞ الوقوف مسمى ج للتطرف مع الفاء ولا يستقدمون ○ الحسنى ط وقيل على لا ثم يبدأ بجرم وهو تكلف مفرطون ○ أليم ○ فيه لا للعطف على موضع لتبين تقديره الا تبيانا وهدى يؤمنون ○ موتها ط يسمعون ○ لعبرة ط لانه لو وصل اشتبه ما بعده بالوصف للشاربين ○ حسنا ط يعقلون ○ يعرشون ○ ج للعطف ذللا ط للعدول للناس ط يتفكرون ○ شيأ ط قدير ○ ۞ التفسير لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) الآية فزعم بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء أنه أضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب أن يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله (ما ترك عليها من دابة) فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وحينئذ لم يصدق أنه لم يبق على الارض واحد والجواب لا نسلم عموم الناس فى الآية لقوله سبحانه فى موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب أن المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب أو الذين تقدم ذكرهم من المشركين وأما قوله من دابة فعن ابن عباس أنه أراد من مشرك يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم أن المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك فى حق الظلمة يكون عذابا وفى غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه

الدين يصب وصوبا ووصبا كما قال الدؤلى

لا أبتغى الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

ومنه قول الله ولهم عذاب واصب وقول حسان

غيرته الريح تسفى به * وهزيم رعده واصب

فأما من الالم فانما يقال وصب الرجل يوصب وصبا وذلك اذا أعيا وملّ ومنه قول الشاعر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر

* وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل الواصب فقال بعضهم معناه ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبى نضرة عن ابن عباس وله الدين واصبا قال دائما حدثنى اسمعيل بن موسى قال أخبرنا شريك عن أبى حصين عن عكرمة فى قوله وله الدين واصبا قال دائما حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة قال دائما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وله الدين واصبا قال دائما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية عن جويبر عن الضحاك وله الدين واصبا قال دائما حدثنى المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وله الدين واصبا أى دائما فان الله تبارك وتعالى لم يدع شيأ من خلقه الا عبده طائعا أو كارها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واصبا قال دائما ألا ترى أنه يقول عذاب واصب أى دائم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وله الدين واصبا قال دائما والواصب الدائم * وقال آخرون الواصب فى هذا الموضع الواجب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وله الدين واصبا قال واجبا وكان مجاهد يقول معنى الدين فى هذا الموضع الاخلاص وقد ذكرنا معنى الدين فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وله الدين واصبا قال الاخلاص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الدين الاخلاص وقوله أفغير الله تتقون يقول تعالى

الواقعة فى زمان نوح عليه السلام وأيضا من المعلوم أنه لا أحد الا وفى آبائه من يستحق العذاب فلو أهلكوا لبطل نسلهم ولأدى الى افناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك (٨١) فى جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفى انقطاعه انقطاع النبت وفى انقطاع النبت فناء الدواب قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن الظلم والمعاصى ليست من أفعال الله تعالى والا لم يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك وفى قوله بظلمهم دليل على أن الظلم هو المؤثر فى العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو أنه لا يسئل عما يفعل وأيضا المعارضة بالعلم والدواعى ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل فى المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز أن يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا أن يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشئ لانتفاء غيره فالآية تقتضى أنه تعالى ما آخذ الناس بظلمهم وأنه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافى ذلك لانها لا تدل الا على أنه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم أما على أنه لا يؤاخذ ببعض أنواع الظلم فلا دليله قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب أن يكون مشروعا فى حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم أن يكون محرما لان وجوده

ضرر روايته غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما أن يكون على وفق هذه القاعدة أو على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس وللقائل أن يقول توارد الأدلة على المدلول الواحد غير ممتنع أما قوله (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) فعن ابن عباس في رواية عطاء أنه يريد أجل القيامة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل أراد

منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الآية قد مر تفسيرها في أوائل سورة الاعراف واعلم أنه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها والهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب تجوز ذلك في كلمات لحصولها بين يدي كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان أفضل من عليها وأكرم من تحتها ومنها الغداة انها اليوم لباردة ومنها الاصابع يقول والذي شقهن خمسا من واحدة يعني الاصابع من اليد واعلم أن ذكر الظهر في هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله أولم يسيروا في الارض وفي قوله ولا في الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن أن يقال لما قال ههنا بظلمهم لم يقل على ظهرها وحين قال هنالك بما كسبوا قال على ظهرها احترازا عن الجمع بين الظاءين لانها تثقل في الكلام وليست لأمة من الامم سوى العرب فلم تجمع بينهما في شرطية واحدة ثم عاد الى حكاية كلمتهم الحمقاء فقال (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات ولا يبعد أن يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسالتهم وأنهم يجعلون أرذل أموالهم لله وأكرمها للاصنام عن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له أما تستحيي من ذلك الموقف ثم قال (وتصف ألسنتهم الكذب) قال الفراء

ذكره أفغير الله أيها الناس تتقون أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم باخلاصكم العبادة لربكم وافرادكم الطاعة له ومالكم نافع سواه * القول في تأويل قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) اختلف أهل العربية في وجه دخول الفاء في قوله فمن الله فقال بعض البصريين دخلت الفاء لان ما بمنزلة من فجعل الخبر بالفاء * وقال بعض الكوفيين ما في معنى جزاء ولها فعل مضمر كأنك قلت ما يكن بكم من نعمة فمن الله لان الجزاء لابد له من فعل مجزوم ان ظهر فهو جزم وان لم يظهر فهو مضمر كما قال الشاعر

ان العقل في أموالنا لا نضق به * ذراعا وان صبرا فنعرف للصبر

وقال أراد ان يكن العقل فأضمره قال وان جعلت ما بكم في معنى الذي جاز وجعلت صلته بكم وما في موضع رفع بقوله فمن الله وأدخل الفاء كما قال ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وكل اسم وصل مثل من وما والذي فقد يجوز دخول الفاء في خبره لأنه مضارع للجزاء والجزاء قد يجاب بالفاء ولا يجوز أخوك فهو قائم لأنه اسم غير موصول وكذلك تقول مالك لي فان قلت مالك جاز أن تقول مالك فهو لي وان ألقيت الفاء فصواب وتأويل الكلام ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة وفي أموالكم من نماء فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره لان ذلك اليه وبيده ثم اذا مسكم الضر يقول اذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض وعلة عارضة وشدة من عيش فاليه تجأرون يقول فالى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ليكشف ذلك عنكم وأصله من جؤار الثور يقال منه جأر الثور يجأر جؤارا وذلك اذا رفع صوتا شديدا من جوع أو غيره ومنه قول الأعشى

وما أيبلي على هيكل * بناه وصلب فيه وصارا

يراوح من صلوات المليك * طورا سجودا وطورا جؤارا

يعني بالجؤار الصياح اما بالدعاء واما بالقراءة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فاليه تجأرون قال تضرعون دعاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال أخبرنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الضر السقم * القول في تأويل قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) يقول تعالى ذكره ثم اذا وهب لكم ربكم العافية ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم ومن الشدة في معاشكم وفرج البلاء عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون يقول اذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم فيعبدون الأوثان ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر

ليكفروا

ليكفروا بما آتيناهم يقول ليجحدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضر عنهم فتمتعوا فسوف تعلمون وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات وتهديد لهم يقول لهم جل ثناؤه تمتعوا في هذه الحياة الدنيا الى أن توافيكم آجالكم وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم وتمتعكم فيها فانكم من ذلك ستصيرون الى ربكم فتعلمون بلقائه وبال ما كسبت أيديكم وتعرفون سوء مغبة أمركم وتندمون حين لا ينفعكم الندم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون﴾ يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الأوثان لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعا نصيبا يقول حظا وجزاء مما رزقناهم من الأموال اشراكا منهم له بالذي يعلمون أنه خلقهم وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره كالذي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه يضرهم ولا ينفعهم نصيبا مما رزقناهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم وهم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم نصيبا مما رزقناهم وجزأ من أموالهم يجعلونه لأوثانهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم قال جعلوا لآلهتهم التي ليس لها نصيب ولا شيء جعلوا لها نصيبا مما قال الله من الحرث والأنعام يسمون عليها أسماءها ويذبحون لها وقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون يقول تعالى ذكره والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون يعني تختلقون من الباطل والافك على الله بدعواكم له شريكا وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ يقول تعالى ذكره ومن جهل هؤلاء المشركين وخبث فعلهم وقبح فريتهم على ربهم أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم فاستوجب بنعمه عليهم الشكر واستحق عليهم الحمد البنات ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا اليه ونسبوه من البنات فلم يرضوا بجهلهم اذ أضافوا اليه ما لا ينبغي اضافته اليه ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا اليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها ولكنهم أضافوا اليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات (١) ما يقتلونها اذا كانت لهم وفي ما التي في قوله ولهم ما يشتهون وجهان من العربية النصب عطفا لها على البنات فيكون معنى الكلام اذا أريد ذلك ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون فتكون ما للبنين والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله ولهم ما يشتهون فيكون معنى الكلام ويجعلون لله البنات ولهم البنون وقوله واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يقول واذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه اليه من ذلك له ظل وجهه مسودا

(١) لعله ويقتلونها بالواو فتأمل

والزجاج أبدل منه قوله (أن لهم الحسنى) عن مجاهد أن الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة أي أنهم مع جعلهم لله ما يكرهون حكموا لأنفسهم بالجنة والثواب من الله وأنهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم أنهم على الدين الحق والمذهب الحسن وكيف يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيامة (٨٣) الجواب أنه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ظنا منهم أن الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه وبتقدير أنهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الحشر والقيامة فانه يحصل لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه ونظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لأنه تعالى رد عليهم بعد ذلك بقوله (لا جرم أن لهم النار) قال الزجاج لا رد لقولهم أي ليس الأمر كما وصفوا جرم أي كسب ذلك القول أن لهم النار فأن مع ما بعده في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب أن في موضع رفع والمعنى حق أن لهم النار (وأنهم مفرطون) من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز أبو علي الفارسي أن يكون من أفرط أي صار ذا فرط مثل أجرب أي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة فهو من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى أنهم متروكون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات وقرئ بفتح الراء المشددة من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء أفرطته بمعناه أيضا فالمراد أنهم مقدمون الى النار معجلون اليها ثم بين سبحانه أن مثل صنيع قريش قد صدر عن سائر الأمم فقال (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أي رسلا (فزين لهم الشيطان أعمالهم) قالت المعتزلة لو كان خالق الأعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن أي وجه توجه عليه الذم وأن خالق ذلك العمل أجدر بأن يكون وليا لهم من الداعي اليه وأجيب بأن الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله (فهو وليهم اليوم) حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها أو المراد فهو وليهم

أي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا أو اليوم عبارة عن يوم الآخرة الذي يعذبون فيه في النار فهو حكاية للحال الآتية والولي الناصر أي هو ناصرهم يوم القيامة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على أبلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور منه النصرة أصلا واذا كان الناصر منحصرا فيه لزم أن لا نصرة بالضرورة (٨٤) قال ويجوز أن يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وأنه زين للكفار

من كراهته له وهو كظيم يقول قد كظم الحزن وامتلأ غما بولادته له فهو لا يظهر ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ثم قال واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الى آخر الآية يقول يجعلون لله البنات ترضونهن لي ولا ترضونهن لأنفسكم وذلك أنهم كانوا في الجاهلية اذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون أو دسها في التراب وهي حية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهذا صنيع مشركي العرب أخبرهم الله تعالى ذكره بخبث صنيعهم فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ولعمري ما يدري أنه خير لرب جارية خير لاهلها من غلام وانما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه وكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وهو كظيم قال حزين حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله وهو كظيم قال الكظيم الكميد وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) يقول تعالى ذكره يتوارى هذا المبشر بولادة الانثى من الولد له من القوم فيغيب عن أبصارهم من سوء ما بشر به يعني من مساءته اياه مميلا بين أن يمسكه على هون أي على هوان وكذلك ذلك في لغة قريش فيما ذكر لي يقولون للهوان الهون ومنه قول الحطيئة

فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما أثبت الحبل حافره

وبعض بني تميم جعل الهون مصدرا للشيء الهين ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون ان كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم قال وسمعت الهوان في مثل هذا المعنى سمعت منهم قائلا يقول لبعير له ما به بأس غير هوانه يعني خفيف الثمن فاذا قالوا هو يمشي على هونه لم يقولوه الا بفتح الهاء كما قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أم يدسه في التراب يقول يدفنه حيا في التراب فيئده كما حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أيمسكه على هون أم يدسه في التراب يئد ابنته وقوله ألا ساء ما يحكمون يقول ألا ساء الحكم الذي يحكم هؤلاء المشركون وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم شركا فيما رزقهم الله وعبدوا غير من خلقهم وأنعم عليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) وهذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات فبين بقوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أنه مثل وعنى بقوله جل ثناؤه للذين لا يؤمنون بالآخرة الذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين مثل السوء وهو القبيح من المثل وما يسوء من ضرب له ذلك المثل ولله المثل الاعلى يقول ولله المثل الاعلى وهو الافضل

قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه أنه ما هلك من هلك الا بعد اقامة الحجة وازاحة العلة فقال (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم (وهدى ورحمة) انتصبا على أنهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام لانهما فعلا لفاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لا ينافي كونه كذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به ولما امتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات فقال (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) وفي العنكبوت من بعد موتها لان هنالك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق فقيد الظرف بمن للاستيعاب وأيضا حذف من في هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لكيلا يعلم بعد علم شيأ وانما حذف من هنا بخلاف ما في الحج لانه أجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم وأطنب في الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة الآية فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب والاطيب
الاثبات (ان في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تأمل وتدبر فمن لم يسمع تدبرا فكأنه أصم ثم استدل بعجائب أحوال الحيوانات قائلا (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) وفي سورة المؤمنين مما في بطونها فذكر النحويون أن الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد ومعناها

والأطيب والأحسن والأجمل وذلك التوحيد والاذعان له بأنه لا اله غيره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولله المثل الأعلى قال شهادة أن لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى الاخلاص والتوحيد وقوله وهو العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره والله ذو العزة التى لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين الذين وصف وصفتهم فى هذه الآيات ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته اياه ولا يتعذر عليه شئ أراده وشاءه لأن الخلق خلقه والامر أمره الحكيم فى تدبيره فلا يدخل تدبيره خلل ولا خطأ

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره ولو يؤاخذ الله عصاة بنى آدم بمعاصيهم ما ترك عليها يعنى على الارض من دابة تدب عليها ولكن يؤخرهم يقول ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة الى أجل مسمى يقول الى وقتهم الذى وقت لهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذى وقت لهلاكهم لا يستأخرون عن الهلاك ساعة فيمهلون ولا يستقدمون قبله حتى يستوفوا آجالهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص قال كاد الجعل أن يعذب بذنب بنى آدم وقرأ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا اسمعيل بن حكيم الخزاعى قال ثنا محمد بن جابر الجعفى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة قال سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه قال فالتفت اليه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت فى وكرها هزلا بظلم الظالم حدثنى يعقوب قال ثنا أبو عبيدة الحداد قال ثنا قرة بن خالد السدوسى عن الزبير بن عدى قال قال ابن مسعود خطيئة ابن آدم قتلت الجعل حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى اسحق عن أبى عبيدة قال قال عبد الله كاد الجعل أن يهلك فى جحره بخطيئة ابن آدم حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال الله فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال نرى أنه اذا حضر أجله فلا يؤخر ساعة ولا يقدم وما لم يحضر أجله فان الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ يقول تعالى ذكره ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم وتصف ألسنتهم الكذب يقول وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه أن لهم الحسنى فأن فى موضع نصب لانها ترجمة عن الكذب وتأويل الكلام ويجعلون لله ما يكرهونه لانفسهم ويزعمون أن لهم الحسنى الذى يكرهونه لانفسهم البنات يجعلونهن لله تعالى وزعموا أن الملائكة بنات الله وأما الحسنى التى جعلوها لانفسهم فالذكور من الأولاد وذلك أنهم كانوا يئدون الاناث من أولادهم ويستبقون الذكور منهم ويقولون لنا الذكور ولله البنات وهو نحو قوله

جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره حملا على اللفظ وتأنيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شائع فى القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى يعنى هذا الشئ الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره أى ذكر هذا الشئ وعند سيبويه الانعام من الاسماء المفردة الواردة على أفعال وجوز فى الكشاف أن يكون تأنيثه على أنه تكسير نعم وقيل ان الانعام بمعنى النعم لان الالف واللام تلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد قلت ما ذكره الائمة حسن الا أنه لا يقع جوابا عن التخصيص ولعل السر فيه أن الضمير فى هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون للكل فالتقدير وان لكم فى بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه وأما فى المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو قوله ولكم فيها منافع ومنها تأكلون وعليها لم يحتمل أن يكون المراد به البعض فأنث ليكون نصا على أن المراد بها الكل روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف فى الكرش صار أسفله فرثا وأعلاه دما وأوسطه لبنا خالصا فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله تعالى (من بين فرث ودم لبنا خالصا) لا يشوبه الدم ولا الفرث وأنكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة أما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى فى كرشها دم ولا لبن وأما التجربة فلان الدم لو كان فى أعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء أن يقئ الدم وليس كذلك بل الحق أن الحيوان اذا تناول العلف حصل له فى معدته أو كرشه هضم أول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذى يحصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثانى ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية أما الصفراء فتذهب الى المرارة والسودا الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة وأما الدم فانه يدخل فى الأوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم فى تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددى رخو أبيض فيقلب الله

الدم هنالك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شئ على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان أسخن وأجف والانثى أبرد وأرطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة لتصير مادة لتولد الولد ويتسع بدنها له ثم ان تلك الرطوبات التى كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان فى الرحم تنصب بعد انفصال الجنين الى الثدى لتصير مادة لغذاء الطفل واعلم أنه تعالى خلق فى أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى أن يكمل انهضامه فى المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هنالك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وأيضا انه أودع فى الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التى فى ذلك المأكول والمشروب طابخة لها حتى تنقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفى المعدة بالعكس وأودع فى المرارة قوة جاذبة للصفراء وفى الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بفعله الخاص به لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام فى انصباب مادة اللبن الى الثدى فى وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزعها على جميع البدن فى غير ذلك الوقت ثم انه تعالى أحدث فى حلمة الثدى ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص أو الحلب فهى بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين أى سهل المرور فى الحلق حتى قيل انه لم يغص أحد باللبن قط ومن عجائب حال اللبن اجتماعه من أجسام مختلفة الطبائع مع أنها واحدة فى الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهى باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى ألهم الطفل الصغير مص الثدى عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة باهرة قال المحققون فى تقلب العشب فى هذه الاطوار الى أن يصير لبنا خالصا سائغا دليل على أنه

ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى قال قول قريش لنا البنون ولله البنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال قول كفار قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أى يتكلمون بأن لهم الحسنى أى الغلمان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن لهم الحسنى قال الغلمان وقوله لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون يقول تعالى ذكره حقا واجبا أن لهؤلاء القائلين لله البنات الجاعلين له ما يكرهونه لانفسهم ولانفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار وقد بينا تأويل قول الله لا جرم فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا جرم يقول بلى وقوله لا جرم كان بعض أهل العربية يقول لم تنصب جرم بلا كما نصبت الميم من قوله لا غلام لك قال ولكنها نصبت لأنها فعل ماض مثل قول القائل قعد فلان وجلس والكلام لا رد لكلامهم أى ليس الأمر هكذا جرم كسب مثل قوله لا أقسم ونحو ذلك وكان بعضهم يقول نصب جرم بلا وانما هو بمعنى لا بد ولا محالة ولكنها كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا وقوله وأنهم مفرطون يقول تعالى ذكره وأنهم مخلفون متروكون فى النار منسيون فيها واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال أكثرهم بنحو ما قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال منسيون مضيعون حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن حباب قال أخبرنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد عن شعبة قال أخبرنى أبو بشر عن سعيد بن جبير مثله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون قال متروكون فى النار منسيون فيها حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال حصين أخبرنا عن سعيد بن جبير بمثله حدثنى المثنى قال أخبرنا الحجاج بن المنهال قال ثنا هشيم عن حصين عن سعيد ابن جبير بمثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنهم مفرطون قال منسيون حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله

حدثنا

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة وأبو معاوية وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك وأنهم مفرطون قال متروكون في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم عن مجاهد مفرطون قال منسيون حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبي عن الحسين عن قتادة وأنهم مفرطون يقول مضاعون حدثنا ابن المثنى قال ثنا بدل قال ثنا عباد بن راشد قال سمعت داود بن أبي هند في قول الله وأنهم مفرطون قال منسيون في النار * وقال آخرون معنى ذلك أنهم معجلون الى النار مقدمون اليها وذهبوا في ذلك الى قول العرب أفرطنا فلانا في طلب الماء اذا قدموه لاصلاح الدلاء والأرشية وتسوية ما يحتاجون اليه عند ورودهم عليه فهو مفرط فأما المتقدم نفسه فهو فارط يقال قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطا وفروطا اذا تقدمهم وجمع فارط فرّاط ومنه قول القطامي

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فرّاط لورّاد

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم اليه وسابقكم حتى تردوه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنهم مفرطون يقول معجلون الى النار حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنهم مفرطون قال قد فرطوا في النار أي معجلون * وقال آخرون معنى ذلك مبعدون في النار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أشعث السمان عن الربيع عن أبي بشر عن سعيد وأنهم مفرطون قال مخسوؤن مبعدون * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه وذلك أن الافراط الذي هو بمعنى التقديم انما يقال فيمن قدم مقدما لاصلاح ما يقدم اليه الى وقت ورود من قدمه عليه وليس بمقدم من قدم الى النار من أهلها لاصلاح شئ فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحا وانما تقدم من قدم اليها العذاب يعجل له فاذا كان ذلك معنى الافراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة صح المعنى الآخر وهو الافراط الذي بمعنى التخليف والترك وذلك أنه يحكى عن العرب ما أفرطت ورائي أحدا أي ما خلفته وما فرطته أي لم أخلفه واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة وأنهم مفرطون بتخفيف الراء وفتحها على معنى ما لم يسم فاعله من أفرط فهو مفرط وقد بينت اختلاف قراءة ذلك كذلك في التأويل وقرأه أبو جعفر القارئ وأنهم مفرطون بكسر الراء وتشديدها بتأويل أنهم مفرطون في اداء الواجب كان لله عليهم في الدنيا من طاعته وحقوقه مضيعو ذلك من قول الله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقرأ نافع بن أبي نعيم وأنهم مفرطون بكسر الراء وتخفيفها حدثني بذلك يونس عن ورش عنه بتأويل أنهم مفرطون في الذنوب والمعاصي مسرفون على أنفسهم مكثرون منها من قولهم أفرط فلان في القول اذا تجاوز حده وأسرف فيه والذي هو أولى القراآت في ذلك بالصواب قراءة الذين ذكرنا قراءتهم من أهل العراق لموافقتها تأويل أهل التأويل الذي ذكرنا قبل وخروج القراآت الأخر عن تأويلهم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم

تعالى قادر على تقليب الانسان في أطواره الى أن يصير مستعد البقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله ومن في مما في بطونه للتبعيض ومن في قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف أي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس بمستنكر أن يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما أنه يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا وأما قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) فاما أن يتعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عصرت وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما أن يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التأكيد نظيره قولك زيد في الدار فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور أو الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كأنه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر (تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الآية قولان أحدهما ويروى عن الشعبي والنخعي أنها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية وثانيهما أنها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافي الحرمة على أن في الآية تنبيها على الحرمة أيضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب في السكر أن لا يكون رزقا حسنا الا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الآية دلت على أن السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على أن الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي أن يكون السكر شيأ غير الخمر وكل

من أثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن أبي علي الجبائي أنه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما أخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوّى به فأبى فقيل له نقد صنفت في تحليله فقال تناولته أيدي الشيطان فقبح عند ذوي المروآت والاقدار وقيل السكر الطعم قاله أبو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن أعجب أحوال الحيوان حال النحل المناسب عسلها اللبن في موافقة اللذة وفي الخروج من البطن فلذلك أفردها بالذكر عقيب ذلك قائلا (وأوحى ربك) يا محمد أو يا انسان الى النحل أي ألهمها وعلمها على وجه هو أعلم به ولقد حق لغريب أمرها وعجيب صنعتها أن يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك أنها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساويات التي لا يمكن للعقلاء تركيب أمثالها الا بالمساطر والفرجارات وقد علم من الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب أمرها أن لها رئيسا هو أعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويتبعون نهيه وأمره ومنها أنها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى أوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى والغرض أن امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز أن يقال سميت نحلا لأنه تعالى نحل الناس العسل بواسطتها وهي مؤنثة في لغة أهل الحجاز ولذلك قال تعالى (أن اتخذي) وهي أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أي يبنون ويرفعون البعضية لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن توافقها وتليق بها وكثيرا ما يتعهدها الناس وتصلح أحوالها (ثم كلي من كل الثمرات) أي بعضا من كل

فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره مقسما بنفسه عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك الى أممها بمثل ما أرسلناك الى أمتك من الدعاء الى التوحيد لله واخلاص العبادة له والاذعان له بالطاعة وخلع الانداد والآلهة فزين لهم الشيطان أعمالهم يقول فحسن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الاوثان مقيمين حتى كذبوا رسلهم وردوا عليهم ما جاؤهم به من عند ربهم فهو وليهم اليوم يقول فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا وبئس الناصر ولهم عذاب أليم في الآخرة عند ورودهم على ربهم فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان ولا هي نفعتهم في الدنيا بل ضرتهم فيها وهي لهم في الآخرة أضر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا الى خلقنا الا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله فتعرفهم الصواب منه والحق من الباطل وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون يقول وهدى بيانا من الضلالة يعني بذلك الكتاب ورحمة لقوم يؤمنون به فيصدقون بما فيه ويقرون بما تضمن من أمر الله ونهيه ويعملون به وعطف بالهدى على موضع ليبين لان موضعها نصب وانما معنى الكلام وما أنزلنا عليك الكتاب الا بيانا للناس فيما اختلفوا فيه وهدى ورحمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ يقول تعالى ذكره منبه خلقه على حججه عليهم في توحيده وأنه لا تنبغي الالوهة الا له ولا تصلح العبادة لشيء سواه أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كل شيء أنزل من السماء ماء يعني مطرا يقول فأنبت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الارض الميتة التي لا زرع بها ولا عشب ولا نبت بعد موتها بعد ما هي ميتة لا شيء فيها ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان في احيائنا الارض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلا واضحا وحجة قاطعة عذر من فكر فيه لقوم يسمعون يقول لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ويطيعون الله بما دلهم عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس لعظة في الانعام التي نسقيكم مما في بطونه واختلفت القراء في قراءة قوله نسقيكم فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة سوى عاصم ومن أهل المدينة أبو جعفر نسقيكم بضم النون بمعنى أنه أسقاهم شرابا دائما وكان الكسائي يقول العرب تقول أسقيناهم نهرا وأسقيناهم لبنا اذا جعلته شربا دائما فاذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا سقيناهم فنحن نسقيهم بغير ألف وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر ومن أهل العراق عاصم نسقيكم بفتح النون من سقاه الله فهو يسقيه والعرب قد تدخل الالف فيما كان من السقي غير دائم وتنزعها فيما كان دائما وان كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي يدل على ما قلنا من ذلك قول لبيد في صفة سحاب

ثمرة تشتهينها فاذا أكلتها (فاسلكي سبل ربك) أي الطرق التي ألهمك وفهمك في عمل العسل (ذللا) جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها وسهلها عليها أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلك منقادة لما أمرت به غير ممتنعة أو المراد فاسلكي ما أكلت في سبل ربك المذللة أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهي أجوافك ومنافذ ما أكلت أو أراد أنك اذا أكلت الثمار في المواضع المعبدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة ويجوز أن يريد بقوله ثم كلي اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك واعلم أن ظاهر قوله أن اتخذي ثم كلي فاسلكي أمر فمن الناس من قال لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه إليها من الله أمر ونهي ومنهم من أنكر ذلك وقال المراد أنه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل أما حدوث العسل من النحل فالأصح عند الاطباء أن الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على أوراق الأشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منه أجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق والأزهار وهو الذي ألهم الله تعالى هذا النحل فتلتقط تلك الذرات بأفواهها وتأكلها وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت مرة أخرى [illegible] ووضعتها في بيوتها ادخارا لأنفسها فاذا اجتمع في بيوتها شيء محسوس من تلك الأجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد أن يحصل لتلك الأجزاء في أفواهها نوع هضم ونضج لخاصية فيها فلذلك قال

يخرج من بطونها أي من أفواهها ومن الناس من زعم أن النحل تأكل من الازهار الدسمة والاوراق العطرة أشياء ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام في داخل بدنه عسلا ثم انه يقيء مرة أخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول أقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك أنه طل يحدث في

سقى قومي بني مجد وأسقى * نميرا والقبائل من هلال

لجمع اللغتين كلتيهما في معنى واحد فاذا كان ذلك كذلك فبأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراءتين الي قراءة ضم النون لما ذكرت من أن أكثر الكلام من عند العرب فيما كان دائما من السقي أسقى بالالف فهو يسقي وما أسقى الله عباده من بطون الانعام فدائم لهم غير منقطع عنهم وأما قوله مما في بطونه وقد ذكر الانعام قبل ذلك وهي جمع والهاء في البطون موحدة فان لأهل العربية في ذلك أقوالا فكان بعض نحويي الكوفة يقول النعم والانعام شيء واحد لانهما جميعا جمعان فرد الكلام في قوله مما في بطونه الى التذكير مرادا به معنى النعم اذ كان يؤدي عن الانعام ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الاعراب

اذا رأيت أنجما من الاسد * جبهته أو الخراة والكتد

بال سهيل في الفضيخ ففسد * وطاب ألبان اللقاح فبرد

ويقول رجع بقوله فبرد الى معنى اللبن لان اللبن والالبان تكون في معنى واحد وفي تذكير النعم قول الآخر

أكل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه

فذكر النعم وكان غيره منهم يقول انما قال مما في بطونه لانه أراد مما في بطون ما ذكرنا وينشد في ذلك رجزا لبعضهم

مثل الفراخ نتفت حواصله

وقول الاسود بن يعفر

ان المنية والحتوف كلاهما * يوفي المخارم يرقبان سوادي

فقال كلاهما ولم يقل كلتاهما وقول الصلتان العبدي

ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح

وقول الآخر

وعفراء أدنى الناس مني مودة * وعفراء عني المعرض المتواني

ولم يقل المعرضة المتوانية وقول الآخر

اذا الناس ناس والبلاد بغبطة * واذ أم عمار صديق مساعف

ويقول كل ذلك على معنى هذا الشيء وهذا الشخص والسواد وما أشبه ذلك ويقول من ذلك قول الله تعالى ذكره فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وقوله ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها لان معناه فمن شاء ذكر هذا الشيء وقوله واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان ولم يقل جاءت وكان بعض البصريين يقول قيل مما في بطونه لان المعنى نسقيكم من أي الانعام كان في بطونه ويقول فيه اللبن مضمر يعني أنه يسقي من أيها كان ذا لبن وذلك أنه ليس لكلها لبن وانما يسقى من ذوات اللبن والقولان الاولان أصح مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث وقوله من بين فرث ودم لبنا خالصا يقول نسقيكم لبنا نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا يقول خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به سائغا للشاربين يقول يسوغ لمن شربه فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكله من الاطعمة وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ولكم أيضا أيها الناس عبرة فيما

الهواء و يقع على أطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وأيضا النحل انما تغتذي بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن
قوله تعالى (يخرج من بطونها شراب) أي ما يشرب يعضد القول الثاني وقوله (مختلف ألوانه) أي منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب
اختلاف الاماكن وأمزجة النحل واختلاف (٩٠) الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله (فيه شفاء للناس) لانه من جملة
الأشفية والأدوية المشهورة النافعة ولذا يقع في أكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه أولأن فيه بعض الشفاء فان كل دواء كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال ان أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما نشط من عقال قال أهل المعاني انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بأنه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن أخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم أنه سبحانه ختم الآية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه أمر مشاهد محسوس فتنكر ذلك فاقد الحس وانما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القرآن المنبه على هذه الآية مسموع وختم الآية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر والمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان أمر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لأميرها واتخاذها البيوت على أشكال يعجز عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك
من بطونها لعابا أو قيأ يقتضي فكرة با[illegible] ولما ذكر بعض عجائب أحوال الحيوان أتبعه عجيب خلق الانسان فقال الحسن
(والله خلقكم) ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره عن علي رضي الله عنه هو
خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف دليله قوله (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) أي ليصير الى حالة شبيهة بحال

نسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا مع ما نسقيكم من بطون
الانعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم وحذف من قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
الاسم والمعنى ما وصفت وهو ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه لدلالة من عليه لان
من تدخل في الكلام مبعضة فاستغنى بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضي من ذكر الاسم
معها وكان بعض نحويي البصرة يقول في معنى الكلام ومن ثمرات النخيل والاعناب شئ
تتخذون منه سكرا ويقول انما ذكرت الهاء في قوله تتخذون منه لانه أريد بها الشئ وهو عندنا
عائد على المتروك وهو ما وقوله تتخذون من صفة ما المتروكة واختلف أهل التأويل في معنى قوله
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فقال بعضهم عني بالسكر الخمر وبالرزق الحسن التمر والزبيب
وقال انما نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت بعد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن
عبيد المحاربي قال ثنا أيوب بن جابر السحيمي عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس قوله
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من شرابه والرزق الحسن ما أحل من ثمرته
حدثنا ابن وكيع وسعيد بن الربيع الرازي قالا ثنا ابن عيينة عن الاسود بن قيس عن عمرو بن
سفيان عن ابن عباس تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال الرزق الحسن ما أحل من ثمرتها
والسكر ما حرم من ثمرتها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاسود عن عمرو بن
سفيان عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري
عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم
الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه
حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الاسود بن قيس قال سمعت رجلا
يحدث عن ابن عباس في هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من ثمرتهما
والرزق الحسن ما أحل من ثمرتهما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا الحسن
ابن صالح عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس بنحوه حدثني المثنى قال
ثنا أبو غسان قال ثنا زهير بن معاوية قال ثنا الاسود بن قيس قال ثني عمرو بن سفيان قال
سمعت ابن عباس يقول وذكرت عنده هذه الآية ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا قال السكر ما حرم منهما والرزق الحسن ما أحل منهما حدثني يونس قال أخبرنا
سفيان عن الاسود بن قيس عن عمرو بن سفيان البصري قال قال ابن عباس في قوله تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا قال فأما الرزق الحسن فما أحل من ثمرتهما وأما السكر فما حرم من ثمرتهما
حدثني المثنى قال أخبرنا الحماني قال ثنا شريك عن الاسود عن عمرو بن سفيان البصري عن
ابن عباس تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر حرامه والرزق الحسن حلاله حدثني
المثنى قال أخبرنا العباس بن أبي طالب قال ثنا أبو عوانة عن الاسود عن عمرو بن سفيان عن ابن
عباس قال السكر ما حرم من ثمرتهما والرزق الحسن ما حل من ثمرتهما حدثنا أحمد بن اسحق
قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الرزق

الحسن الحلال والسكر الحرام **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ما حرم من ثمرتيهما وما أحل من ثمرتيهما **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال السكر خمر والرزق الحسن الحلال **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر وسفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير بنحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال السكر الحرام والرزق الحسن الحلال **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبي رزين تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال نزل هذا وهم يشربون الخمر فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا شعبة عن المغيرة عن ابراهيم والشعبي وأبي رزين قالوا هي منسوخة في هذه الآية تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا **حدثنا** الحسن بن عرفة قال ثنا أبو قطن عن سعيد عن المغيرة عن ابراهيم والشعبي وأبي رزين بمثله **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال هي منسوخة نسخها تحريم الخمر **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور وعوف عن الحسن قال السكر ما حرم الله منه والرزق ما أحل الله منه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع عن الحسن قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك قال الرزق الحسن الحلال والسكر الحرام **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن ليث عن مجاهد قال السكر الخمر والرزق الحسن الرطب والأعناب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال هي الخمر قبل أن تحرم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تتخذون منه سكرا قال الخمر قبل تحريمها ورزقا حسنا قال طعاما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا أما السكر فخمور هذه الأعاجم وأما الرزق الحسن فما تنتبذون وما تخللون وما تأكلون ونزلت هذه الآية ولم تحرم الخمر يومئذ وانما جاء تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن قال قرأت على ابن أبي عذرة قال هكذا سمعت قتادة تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ثم ذكر نحو حديث بشر **حدثنا** محمد بن

الطفل في النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الأول شيأ أي لا يعلم زيادة علم على علمه وقيل ان الرد الى أرذل العمر ليس في المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الآية قوله ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان في أربع أولها سن النشو وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء وأصحاب الطبيعي أن بدن الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت في الجسم الرطب قلت رطوبته فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد زائدة على حرارته فتكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النشو وغايته الى ثلاثين أو الى خمس وثلاثين سنة ثم تصير رطوبات البدن أقل وتكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا أنها لا تكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل الرطوبات بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وحينئذ يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة وهي سن الكهولة ثم [illegible] جدا الى تمام مائة وعشرين سنة قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا ودما كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم انها مع ذلك كانت قوية على تحليل أكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى أن صارت عظما وغضروفا وعصبا ورباطا فعندما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب أن تقوى الحرارة الغريزية قوة أزيد مما كانت قبل ذلك فوجب أن يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله أكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمني الى أن صار عظما وعصبا أما بعد تولد البدن

فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا أن البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه وثانيها ان الحرارة الحاصلة في بدن الانسان الكامل الغريزية اما أن تكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة أو صارت أزيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب أن لا يظهر منه في هذا البدن تأثير أصلا * وأما الثاني ففيه تسليم أن الحرارة تتزايد بحسب تزايد الجثة ولا ريب أن تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم أن لا ينهدم البدن الحيواني أبدا وليس كذلك وثالثها أن الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب أن تصير أقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه أنه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية أيضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى أن لا يبقى من الرطوبة شئ لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احداهما ضعف الاخرى فتنطفئ الحرارة أيضا ويحصل الموت وأورد عليهم أن الحرارة اذا أثرت في تجفيف الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز أن تورد القوة الغاذية بدلها فأجابوا بأن القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي رادا عليهم ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك ممنوع وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة أن لو قلت الرطوبة الغريزية وانما تحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فيثبت أن اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد وأما

عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة سكرا قال هي خمور الاعاجم ونسخت في سورة المائدة والرزق الحسن قال ما تنتبذون وتخللون وتأكلون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وذلك أن الناس كانوا يسمون الخمر سكرا وكانوا يشربونها(١) قال ابن عباس مر رجال بوادي السكران الذي كانت قريش تجتمع فيه اذا تلقوا مسافريهم اذا جاؤا من الشام وانطلقوا معهم يشيعونهم حتى يبلغوا وادي السكران ثم يرجعوا منه ثم سماها الله بعد ذلك الخمر حين حرمت وقد كان ابن عباس يزعم أنها الخمر وكان يزعم أن الحبشة يسمون الخل السكر قوله ورزقا حسنا يعني بذلك الحلال التمر والزبيب وما كان حلالا لا يسكر * وقال آخرون السكر بمنزلة الخمر في التحريم وليس بخمر وقالوا هو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد وصار يسكر شاربه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو في قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ابن عباس كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر والسكر حرام مثل الخمر وأما الحلال منه فالزبيب والتمر والخل ونحوه حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تتخذون منه سكرا فحرم الله بعد ذلك يعني بعد ما أنزل في سورة البقرة من ذكر الخمر الميسر والانصاب والازلام والسكر مع تحريم الخمر لانه منه قال ورزقا حسنا فهو الحلال من الخل والنبيذ وأشباه ذلك فأقره الله وجعله حلالا للمسلمين حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن موسى قال سألت مرة عن السكر فقال قال عبد الله هو خمر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي فروة عن أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى قال السكر خمر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن ابراهيم قال السكر خمر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم وأبي رزين قالا السكر خمر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تتخذون منه سكرا يعني ما أسكر من العنب والتمر ورزقا حسنا يعني ثمرتها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال الحلال ما كان على وجه الحلال حتى غيروها فجعلوا منها سكرا * وقال آخرون السكر هو كل ما كان حلالا شربه كالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن التمر والزبيب ذكر من قال ذلك حدثني داود الواسطي قال ثنا أبو أسامة قال أبو روق ثني قال قلت للشعبي أرأيت قوله تعالى تتخذون منه سكرا أهو هذا السكر الذي تصنعه النبط قال لا هذا خمر انما السكر الذي قال الله تعالى ذكره النبيذ والخل والرزق الحسن التمر والزبيب حدثني يحيى بن داود قال ثنا أبو أسامة قال وذكر مجالد عن عامر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ما كانوا يتخذون من النخل النبيذ والرزق الحسن ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن أبي روق عن الشعبي قال قلت له ما تتخذون منه سكرا قال كانوا يصنعون من النبيذ

---

(١) قوله قال ابن عباس الى آخره امله كذا في الاصل وأورده في الدر عن ابن عباس واسقط منه هذه الجملة وهو أنسب

الطبيعة جاهلة عاجزة قلت لا شك أن نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبائع أيضا بعيد عن الانصاف والحق أنها وسائط وآلات لما فوقها من المبادئ والعلل الى أن ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد ثبت عند الحكيم أن كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد

النبيذ والخل قلت والرزق الحسن قال كانوا يصنعون من التمر والزبيب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وأحمد بن بشير عن مجالد عن الشعبي قال السكر النبيذ والرزق الحسن التمر الذي كان يؤكل وعلى هذا التأويل الآية غير منسوخة بل حكمها ثابت وهذا التأويل عندي هو أولى الاقوال بتأويل هذه الآية وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة أحدها ما أسكر من الشراب والثاني ما طعم من الطعام كما قال الشاعر * جعلت عيب الأكرمين سكرا * أي طعما والثالث السكون من قول الشاعر * وجعلت عين الحرور تسكر * وقد بينا ذلك فيما مضى والرابع المصدر من قولهم سكر فلان يسكر سكرا وسكرا وسكرا فاذا كان ذلك كذلك وكان ما يسكر من الشراب حراما بما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام وكان غير جائز لنا أن نقول هو منسوخ اذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السكر الذي هو غير الخمر وغير ما يسكر من الشراب حرام اذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ومن نزل بلسانه القرآن هو كل ما طعم ولم يكن مع ذلك اذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ولا أجمعت عليه الامة فوجب القول بما قلنا من أن معنى السكر في هذا الموضع هو كل ما حل شربه مما يتخذ من ثمر النخل والكرم وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب وخرج من أن يكون معناه السكر نفسه اذ كان السكر ليس مما يتخذ من النخل والكرم ومن أن يكون بمعنى السكون وقوله ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يقول ان فيما وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها الناس من الانعام والنخل والكرم لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حججه ويفهمون عنه مواعظه فيتعظون بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ يقول تعالى ذكره وألهم ربك يا محمد النحل ايحاء اليها أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني مما يبنون من السقوف فرفعوها بالبناء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسحق التميمي وهو ابن أبي الصباح عن رجل عن مجاهد وأوحى ربك الى النحل قال ألهمها الهاما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال بلغني في قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن أصحابه قوله وأوحى ربك الى النحل قال قذف في أنفسها أن اتخذي من الجبال بيوتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأوحى ربك الى النحل الآية قال أمرها أن تأكل من الثمرات وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللا وقد بينا معنى الايحاء واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك معنى قوله يعرشون وكان ابن زيد يقول في معنى يعرشون ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يعرشون قال الكرم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب

بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير في التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على أرض البشرية صفة من صفات الحيوانية ولكن يؤخر أهل السعادة الى أجلهم وهو افناء صفات النفس بصفات القلب والروح في حينه وأوانه ويؤخر أهل الشقاء الى أوان العكس من ذلك ويجعلون لله ما يكرهون أي يعاملون الله بأعمال يكرهون أن يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم أنفسهم أن تلك المعاملة حسنة والله أنزل من سماء العزة ماء بيان القرآن فأحيا به أرض قلوب الامم بعد موتها باختلافهم على أنبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا للشاربين جائز الأهل هذا الشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات وأعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها شرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

وأوحى ربك الى النحل اشارة الى ان السالك السائر أن اتخذي من الجبال بيوتا أراد الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء أسبوعا وأسبوعين وشهرا ولا بد أن تنظف كما أن النحل يحترز عن التلوث وفيه أن نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم

كلى من الثمرات فاسلكى سبل ربك نظير قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها أغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك السبل الى أن تصل الى المقعد الصدق عند مليكها فيكون غذاؤها مكاشفات

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم كلى أيتها النحل من الثمرات فاسلكى سبل ربك يقول فاسلكى طرق ربك ذللا يقول مذللة لك والذلل جمع ذلول * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء و حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى فاسلكى سبل ربك ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاسلكى سبل ربك ذللا قال طرقا ذللا قال لا يتوعر عليها مكان سلكته وعلى هذا التأويل الذى تأوله مجاهد الذلل من نعت السبل والتأويل على قوله فاسلكى سبل ربك ذللا الذلل لك لا يتوعر عليك سبيل سلكتيه ثم أسقطت الالف واللام فنصب على الحال * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاسلكى سبل ربك ذللا أى مطيعة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذللا قال مطيعة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاسلكى سبل ربك ذللا قال الذلول الذى يقاد ويذهب به حيث أراد صاحبه قال فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون وهى تتبعهم وقرأ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم الآية فعلى هذا القول الذلل من نعت النحل وكلا القولين غير بعيد من الصواب فى الصحة وجهان مخرجان غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لانها اليها أقرب وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه يقول تعالى ذكره يخرج من بطون النحل شراب وهو العسل مختلف ألوانه لان فيه أبيض وأحمر وأسحر وغير ذلك من الالوان «قال أبو جعفر» أسحر ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب الى الحمرة وقوله فيه شفاء للناس اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التى فى قوله فيه فقال بعضهم عادت على القرآن وهو المراد بها ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن عبد الرحمن قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد فيه شفاء للناس قال فى القرآن شفاء * وقال آخرون بل أريد بها العسل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الادواء وقد كان ينهى عن تفريق النحل وعن قتلها حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا ثم جاءه فقال ما زاده الا شدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فاسق أخاك عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فكأنما نشط من عقال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال شفاآن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه شفاء للناس العسل وهذا

الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها وحينئذ يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعانى والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم أخرجكم من العدم الى الوجود ثم يتوفاكم عن الوجود المجازى ومنكم من يرد الى أرذل العمر وهو مقام الفناء فى الله لكيلا يعلم بعد فناء علمه شيأ يعلمه بل يعلم بربه الاشياء كما هى والله أعلم بالصواب ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن

القول

أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ۝ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ۝ فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين ۝ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
وأكثرهم الكافرون ۝ القراآت تجحدون بتاء الخطاب أبو بكر وحماد (٩٥) الآخرون على الغيبة ۝ من بطون امهاتكم ونحوها
بكسر الهمزة وفتح الميم على
إمهاتكم بكسرها حمزة الباقون
بضم الهمزة وفتح الميم ألم تروا على
الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف
وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون
العين عاصم وحمزة وعلي وخلف
وابن عامر الباقون بفتحها ۝ الوقوف
في الرزق ج لاختلاف الجملتين
مع الفاء سواء ط يجحدون ۝
من الطيبات ط يكفرون ۝ لا
للعطف ولا يستطيعون ۝ ج
لابتداء النهي مع فاء التعقيب
الأمثال ط لا تعلمون ۝ وجهرا
ط هل يستوون ط الحمد لله ط
لان بل للاعراض عن الاول
لا يعلمون ۝ مولاه لا لأن الجملة
بعده صفة أحدهما بخير ط ثم
لا وقف الى مستقيم لاتحاد الكلام
والارض ط أقرب ط قدير
۝ شيأ لا للعطف والافئدة لا لتعلق
لعلكم تشكرون ۝ السماء ط
للفصل بين الاستخبار والاخبار الا
الله ط يؤمنون ۝ اقامتكم لا
لوقوع جعل على أثاثا الى حين ۝
بأسكم ط تسلمون ۝ المبين ۝
الكافرون ۝ التفسير لما بين
خلق الانسان وتقلبه في أطوار
مراتب العمر أراد أن يذكر
طرفا من سائر أحواله لعله يتذكر
فقال (والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق) ولا ريب أن ذلك أمر
مقسوم من قبل القسام والا لم
يكن الغافل رخي البال والعاقل
دي الحال وليس هذا التفاوت
مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فلرب ملك تقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحد منها وربما
أحضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء منها وربما ترى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش
ولا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الآية قولان أحدهما أن المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وأنه

القول أعني قول قتادة أولى بتأويل الآية لأن قوله فيه في سياق الخبر عن العسل فأن تكون الهاء
من ذكر العسل اذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره ۝ وقوله ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون
يقول تعالى ذكره ان في اخراج الله من بطون هذه النحل الشراب المختلف الذي هو شفاء للناس
لدلالة وحجة واضحة على من سخر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل واتخاذها البيوت التي
تنحت من الجبال والشجر والعروش وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس أنه الواحد الذي
ليس كمثله شيء ۝ وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصح الالوهة الا له ۝ **القول في تأويل
قوله تعالى** (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيأ ان الله
عليم قدير) يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ولم تكونوا شيأ لا الآلهة التي
تعبدون من دونه فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره ثم يتوفاكم يقول ثم يقبضكم ومنكم من يرد الى
أرذل العمر يقول ومنكم من يهرم فيصير الى أرذل العمر وهو أردؤه يقال منه رذل الرجل وفسل
يرذل رذالة ورذولة ورذلته أنا ۝ وقيل انه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة **حدثني** محمد بن اسمعيل
الفزاري قال أخبرنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حمران عن سعد بن طريف عن الاصبغ
ابن نباتة عن علي في قوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر قال خمس وسبعون سنة ۝ وقوله لكي لا يعلم
بعد علم شيأ يقول انما نرده الى أرذل العمر ليعود جاهلا كما كان في حال طفولته وصباه بعد علم شيأ
يقول لئلا يعلم شيأ بعد علم كان يعلمه في شبابه فذهب ذلك بالكبر ونسي فلا يعلم منه شيأ وانسلخ
من عقله فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيأ ۝ ان الله عليم قدير يقول ان الله لا ينسى ولا يتغير علمه
عليم بكل ما كان ويكون قدير على ما شاء لا يجهل شيأ ولا يعجزه شيء أراده ۝ **القول في تأويل قوله
تعالى** (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم
فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون) يقول تعالى ذكره والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض
في الرزق الذي رزقكم في الدنيا فما الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم برادي رزقهم على
ما ملكت أيمانهم يقول بمشركي مماليكهم فيما رزقهم من الاموال والازواج فهم فيه سواء يقول
حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم يقول تعالى ذكره فهم لا يرضون بأن يكونوا هم ومماليكهم فيما
رزقتهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره
للمشركين بالله ۝ وقيل انما عني بذلك الذين قالوا ان المسيح ابن الله من النصارى ۝ وقوله أفبنعمة الله
يجحدون يقول تعالى ذكره أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في
الدنيا يجحدون باشراكهم غير الله من خلقه في سلطانه وملكه ۝ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي
عن أبيه عن ابن عباس قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على
ما ملكت أيمانهم يقول لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدي
معي في سلطاني فذلك قوله أفبنعمة الله يجحدون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني
حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس هذه الآية في شأن عيسى بن مريم يعني بذلك نفسه انما

جعل بعض الناس موالي و بعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلين أنهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق وانما ذلك رزقي لهم أجريته لهم على أيديهم وثانيهما أن المراد الرد على من أثبت لله شريكا كالصنم أو كعيسى فضرب له مثلا فقال أنتم

لا تسوون بينكم و بين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى

عيسى عبده فقول الله والله ما تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا أنتم وهم سواء فكيف ترضون لي بما لا ترضون لانفسكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون وهذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده فان لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن ينزه منه من نفسك ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم قال هذا الذي فضل في المال والولد لا يشرك عبده في ماله وزوجته يقول قد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك فجعلت لله شريكا في ملكه وخلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون} يقول تعالى ذكره والله الذي جعل لكم أيها الناس من أنفسكم أزواجا يعني أنه خلق من آدم زوجته حواء وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي والله خلق آدم ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة * واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة فقال بعضهم هم الأختان أختان الرجل على بناته ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية قال ثنا أبان بن تغلب عن المنهال بن عمرو عن ابن حبيش عن عبد الله بنين وحفدة قال الاختان حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم عن ورقاء سألت عبد الله ما تقول في الحفدة هم حشم الرجل يا أبا عبد الرحمن قال لا ولكنهم الأختان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا جميعا ثنا سفيان عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله قال الحفدة الاختان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان باسناده عن عبد الله مثله حدثنا ابن بشار وأحمد بن الوليد القرشي وابن وكيع وسوار بن عبد الله العنبري ومحمد بن خلف بن خراش والحسن بن خلف الواسطي قالوا ثنا يحيى بن سعيد القطان عن الاعمش عن أبي الضحى قال الحفدة الاختان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الاختان حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير بنين وحفدة قال الحفدة الأختان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال الحفدة الختن حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الاختان حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال الأختان وحدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي

تتساووا في المطعم والملبس والفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك أن تقول بمعنى حتى أي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله) وهي أنه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين (يجحدون) أو جعل عدم التسوية بينهم و بين عبيدهم من جملة جحود النعمة أو جعل اعتقاد أهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال أبو عبيدة وأبو حاتم قراءة الغيبة وهي الكثرى أولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا كان ظاهره للمسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة البتة الحالة الاخرى من أحوال الانسان قوله عز طوله (والله جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم (أزواجا) ليكون الانس به أتم ولا ريب أن تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المني اذا انصب من الخصية اليمنى الى الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة بناء على أن اليمين أسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد تاما في الانوثية واذا انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه العلة ضعيفة فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل أن يقول الكلام

عن

عن ابن عباس قوله وحفدة قال الاصهار حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال الحفدة الاختان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال قال لي عبد الله بن مسعود ما الحفدة يازر قال قلت هم أحفاد الرجل من ولده وولد ولده قال لا هم الاصهار * وقال آخرون هم أعوان الرجل وخدمه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن وهب بن حبيب الاسدى عن أبي حمزة عن ابن عباس سئل عن قوله بنين وحفدة قال من أعانك فقد حفدك أما سمعت قول الشاعر

حفد الولائد حولهن وأسلمت * باكفهن أزمة الأجمال

حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله بنين وحفدة قال الحفدة الخدام حدثني محمد بن خالد بن خداش قال ثنى سلم بن قتيبة عن حازم بن ابراهيم البجلي عن سماك عن عكرمة قال قال الحفدة الخدام حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هم الذين يعينون الرجل من ولده وخدمه حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سلام بن سليم وقيس عن سماك عن عكرمة قال هم الخدم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلام أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة مثله حدثني محمد بن خالد قال ثنى سلمة عن أبي هلال عن الحسن في قوله بنين وحفدة قال البنين وبني البنين من أعانك من أهل وخادم فقد حفدك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال هم الخدم حدثني محمد بن خالد وابن وكيع ويعقوب بن ابراهيم قالوا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الحفدة الخدم حدثنا أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وحدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن جميعا عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنين وحفدة قال ابنه وخادمه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى بنين وحفدة قال أنصارا وأعوانا وخداما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زمعة عن ابن طاوس عن أبيه قال الحفدة الخدم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ابنه وخادمه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة مهنة يمهنونك ويخدمونك من ولدك كرامة أكرمكم الله بها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبي مالك الحفدة قال الأعوان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حصين عن عكرمة قال الذين يعينونه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحكم بن أبان

في المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض بأحدهما على الآخر (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) أصل الحفد الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل أراد بها في الآية الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون أنفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة لان لذة المنكوح لا تهنأ الا بعد الفراغ من لذة المطعوم أو بعد الفراغ من تحصيل أسبابها وأورد من التبعيضة لأن لذة كل الطيبات لا تكون الا في الجنة ثم ختم الآية بقوله (أفبالباطل يؤمنون) فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة الله ما عدده في الآيات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم وانما قال ههنا (وبنعمة الله هم يكفرون) وفي آخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لأن تلك الآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب وأما في الآية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الآيات الدالة على الاقرار بالتوحيد أنكر صنيع أهل الشرك عليهم قائلا (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا) قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت به شيأ أي لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا أو يكون تأكيدا للايملك أي لا يملك شيأ من الملك و (من السموات والارض) صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما للمارزق أما الضمير في (لا يستطيعون) فعائد الى ما بعد أن قيل لا يملك على اللفظ المفرد وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم أن الأصنام آلهة والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم أن من لا يملك شيأ قد يكون موصوفا باستطاعة أن يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى أنها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف أن يكون الضمير

للكفار أى لا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون فكيف بالجماد الذى لا حس له (فلا تضربوا لله الامثال) أى لا تشبهوه بخلقه فان ضارب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان اله العالم أجل من أن يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون الى الأصنام والكواكب كما أن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن غير الحنيفية والاخلاص وعلل النهى بقوله (ان الله يعلم) ما عليكم من العقاب (وأنتم لا تعلمون) ما فى عبادتها من العذاب وفيه أن القياس الذى توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال (ضرب الله مثلا) ثم أبدل من المثل قوله (عبدا مملوكا) لا حرا فان جميع الناس عبيد لله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله (لا يقدر على شئ) يخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالآية على أن العبد لا يملك شيأ وان ملكه الاستدلال ان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على أن العبدية أينما وجدت فهى علة الذل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو أن كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وأيضا قوله (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) يقتضى أن لا يحصل القسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيأ ما صدق عليه أن الله قد آتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على أن عدم اقتدار العبد مخصوص بما له تعلق بالمال وعن ابن عباس أنه لا يملك الطلاق أيضا قال جار الله الظاهر أن من فى قوله ومن رزقناه موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة وجمع قوله (هل يستوون) لانه أراد الاحرار والعبيد وللمفسرين فى مضرب المثل أقوال فالاكثرون على أنه أراد أنا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وفرضنا حرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل يشهد بأنه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله القادر على الرزق والافضال و بين الأصنام التى لا تملك ولا تقدر البتة

عن عكرمة فى قوله بنين وحفدة قال الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن الحسن قال الحفدة الخدم حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة بنين وحفدة قال ولده الذين يعينونه * وقال آخرون هم ولد الرجل وولد ولده ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحفدة قال هم الولد وولد الولد حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية بنين وحفدة قال الحفدة البنون حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن أبى بشر عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك قال حميد

حفد الولائد حولهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الأجمال

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قال الحفدة الخدم من ولد الرجل هم ولده وهم يخدمونه قال وليس تكون العبيد من الازواج كيف يكون من زوجى عبد انما الحفدة ولد الرجل وخدمه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بنين وحفدة يعنى ولد الرجل يحفدونه ويخدمونه وكانت العرب انما تخدمهم أولادهم الذكور * وقال آخرون هم بنو امرأة الرجل من غيره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة يقول بنو امرأة الرجل ليسوا منه ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدى الرجل يقول فلان يحفد لنا ويزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم فيما جعل لهم من الازواج والبنين فقال تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة والحفدة فى كلام العرب جمع حافد كما الكذبة جمع كاذب والفسقة جمع فاسق والحافد فى كلامهم هو المتخفف فى الخدمة والعمل والحفد خفة العمل يقال مر البعير يحفد حفدانا اذا مر يسرع فى سيره ومنه قولهم اليك نسعى ونحفد أى نسرع الى العمل بطاعتك يقال منه حفد له يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه قول الراعى

كلفت مجهولها نوقا يمانية * اذا الحداة على أكسائها حفدوا

واذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون فى خدمة الرجل المتخففون فيها وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من مماليكنا اذا كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله ولا على لسان رسوله

صلى

صلى الله عليه وسلم ولا بحجة عقل على أنه عنى بذلك نوعا من الحفدة دون نوع منهم وكان قد أنعم بكل ذلك علينا لم يكن لنا أن نوجه ذلك الى خاص من الحفدة دون عام الا ما اجتمعت الامة عليه أنه غير داخل فيهم واذا كان ذلك كذلك فلكل الاقوال التي ذكرنا عمن ذكرناه وجه في الصحة ومخرج في التأويل وان كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا لما بينا من الدليل وقوله ورزقكم من الطيبات يقول ورزقكم من حلال المعاش والارزاق والاقوات أفبالباطل يؤمنون يقول تعالى ذكره يحرم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل فيصدق هؤلاء المشركون بالله وبنعمة الله هم يكفرون يقول وبما أحل الله لهم من ذلك وأنعم عليهم باحلاله يكفرون يقول ينكرون تحليله ويجحدون أن يكون الله أحله ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من السموات لانها لا تقدر على انزال قطر منها لاحياء موتان الارضين والارض يقول ولا تملك لهم أيضا رزقا من الارض لانها لا تقدر على اخراج شئ من نباتها وثمارها لهم ولا شيأ مما عدد تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم ولا يستطيعون يقول ولا تملك أوثانهم شيأ من السموات والارض بل هي وجميع ما في السموات والارض لله ملك ولا يستطيعون يقول ولا تقدر على شئ وقوله فلا تضربوا لله الامثال يقول فلا تمثلوا لله الامثال ولا تشبهوا له الاشباه فانه لا مثل له ولا شبه ❊ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الامثال الاشباه وحدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلا تضربوا لله الامثال يعني اتخاذهم الاصنام يقول لا تجعلوا معي الها غيري فانه لا اله غيري حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون قال هذه الاوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقا ولا ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا وقوله فلا تضربوا لله الامثال فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه وغير ذلك من سائر الاشياء وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه واختلف أهل العربية في الناصب قوله شيأ فقال بعض البصريين هو منصوب على البدل من الرزق وهو في معنى لا يملكون رزقا قليلا ولا كثيرا وقال بعض الكوفيين نصب شيأ بوقوع الرزق عليه كما قال تعالى ذكره ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا أي تكفت الاحياء والاموات ومثله قوله تعالى ذكره أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة قال ولو كان الرزق مع الشئ لجاز خفضه لا يملك لكم رزق شئ من السموات ومثله فجزاء مثل ما قتل من النعم ❊ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وشبه الله لكم شبها أيها الناس للكافر من عبيده والمؤمن به منهم فأما مثل الكافر فانه

وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والآخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله والغرض أنهما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد أنهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بأن الاول مساو لرب العالمين (الحمد لله) قال ابن عباس أراد الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شئ من الحمد للاصنام لأنه لا نعمة لها على أحد (بل أكثرهم لا يعلمون) أن كل الحمد لي وقيل أراد قل الحمد لله والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم واما لمن رزقه الله رزقا حسنا وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف وقيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله أي على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل أكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية والاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها أعظم المضار أما تفسير الالفاظ فالابكم العي المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل هو الأقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله (وهو كل على مولاه) أصله من الغلظ الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه أي ثقيل وعيال على من يلي أمره وقوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله (لا يأت بخير) لم ينجح في مطلبه والتوجيه أن ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق (هل يستوي هو) أي من موصوف بهذه الصفات المذكورة (ومن يأمر الناس بالعدل وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم غير منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك أن الآمر بالعدل يجب أن يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتأتى منه الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض

كمربه أبكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لاله الخلق وما يدعى من دونه أما الابكم فمثل الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شئ وهو كل على عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى أى مهم يوجه الصنم لا يأتى بخير وأما الذى يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدى باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية المتقدمة فى هشام بن عمرو وهو الذى ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه أبو الجوار الذى كان ينهاه عنه وهذه الآية نزلت فى سعيد بن أبى العيص وفى عثمن ابن عفان مولاه والأصح أن المقصود من الآية الاولى كل عبد موصوف بالصفات الذميمة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الآية الثانية كل رجل جاهل عاجز وكل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله (ولله غيب السموات والارض) أى يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما أو أراد بغيبهما يوم القيامة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله (وما أمر الساعة الا كلمح البصر) اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان تتقلب فيه الحدقة نحو المرئى وكل زمان قابل للتجزئة فلذلك قال (أو هو أقرب) وليس هذا من قبيل المبالغة وانما هو كلام فى غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى وقيل معنى أمر الساعة أن اماتة الأحياء واحياء الاموات كلهم يكون فى أقرب وقت وأقله ثم أكده بقوله (ان الله على كل شئ قدير) ثم زاد فى التأكيد بذكر حالة أخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ) قال جار الله هو فى موضع الحال أى غير عالمين شيأ من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم (والافئدة) فى فؤاد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى تستعمل فى مقام الكثرة أيضا كالعدم ورود غيرها واعلم أن جمهور الحكماء

الذى

لا يعمل بطاعة الله ولا يأتى خيرا ولا ينفق فى شئ من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ فينفقه وأما المؤمن بالله فانه يعمل بطاعة الله وينفق فى سبيله ماله كالحر الذى آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا يقول بعلم من الناس وغير علم هل يستوون يقول هل يستوى العبد الذى لا يملك شيأ ولا يقدر عليه وهذا الحر الذى قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وصف فكذلك لا يستوى الكافر العامل بمعاصى الله المخالف أمره والمؤمن العامل بطاعته * وبنحو ما قلنا فى ذلك كان بعض أهل العلم يقول ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ هذا مثل ضربه الله للكافر رزقه مالا فلم يقدم فيه خيرا ولم يعمل فيه بطاعة الله قال الله تعالى ذكره ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهذا المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأخذ بالشكر ومعرفة حق الله فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لاهله فى الجنة قال الله تعالى ذكره هل يستويان مثلا والله ما يستويان الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عبدا مملوكا لا يقدر على شئ قال هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيرا ومن رزقناه منا رزقا حسنا قال المؤمن يطيع الله فى نفسه وماله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ يعنى الكافر أنه لا يستطيع أن ينفق نفقة فى سبيل الله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا يعنى المؤمن وهذا المثل فى النفقة وقوله الحمد لله يقول الحمد الكامل لله خالصا دون ما تدعون أيها القوم من دونه من الاوثان فاياه فاحمدوا دونها وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول ما الامر كما تفعلون ولا القول كما تقولون ما للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد لله ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك فهم بجهلهم بما يأتون ويذرون يجعلونها لله شركاء فى العبادة والحمد وكان مجاهد يقول ضرب الله هذا المثل والمثل الآخر بعده لنفسه وللآلهة التى تعبد من دونه * القول فى تأويل قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التى تعبد من دونه فقال تعالى ذكره وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ يعنى بذلك الصنم أنه لا يسمع شيأ ولا ينطق لانه اما خشب منحوت واما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ولا دفع ضر عنه وهو كل على مولاه يقول وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته فكذلك الصنم كل على من يعبده يحتاج أن يحمله ويضعه ويخدمه كالأبكم من الناس الذى لا يقدر على شئ فهو كل على أوليائه من بنى أعمامه وغيرهم أينما يوجهه لا يأت بخير يقول حيثما يوجهه لا يأت بخير لانه لا يفهم ما يقال له ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد فهو لا يفهم ولا يفهم عنه فكذلك الصنم لا يعقل ما يقال له فيأتمر لأمر من أمره ولا ينطق فيأمر وينهى يقول الله تعالى هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل يعنى هل يستوى هذا الأبكم الكل على مولاه الذى لا يأتى بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو اليه وهو الله الواحد القهار

زعموا أن الانسان فى مبدإ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا أنه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم فى
خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها فى ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا
فى جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم تكن كذلك بل كانت
متوقفة على علوم سابقة عليها ولا
محالة تنتهى الى البديهيات قطعا
للدور أو التسلسل فهى علوم
كسبية وظهر أن السبب الاول
لحدوث هذه المعارف فى النفوس
الانسانية هو أن الله تعالى أعطى
الحواس والقوى الدراكة للصور
الجزئية وعندى أن النفس قبل
البدن موجودة عالمة بعلوم جمة وهى
التى ينبغى أن تسمى بالبديهيات
وانما لا يظهر آثارها عليها عند
انفصال الجنين من الام لضعف
البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا
قوى وترقى ظهرت آثارها شيأ فشيأ
وقد برهنا على هذه المعانى فى كتبنا
الحكمية فالمراد بقوله (لا تعلمون شيأ)
أنه لا يظهر أثر العلم عليكم ثم انه
بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة
يكتسب العلوم المتوقفة على التعلق
ومعنى (لعلكم تشكرون) ارادة أن
تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله
وليس الواو للترتيب حتى يلزم من
عطف جعل على أخرج أن يكون جعل
السمع والبصر متأخرا عن الاخراج
من البطن وقد مر فى أول البقرة فى
تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم أنه لم وحد السمع وجمع غيره
ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته
فقال (ألم يروا الى الطير مسخرات)
مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة وسائر الاسباب المواتية
لذلك كرقة قوام الهواء
والهامهن بسط الجناح وقبضه
فيه عمل السابح فى الماء وفى (جو السماء) أى فى الهواء المتباعد من الارض فى سمت العلو وهو مضاعف عينه ولامه واو (ما يمسكهن الا الله)
بقدرته أو باعداد الآلات التى لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة أحوال الانسان قوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو ما يسكن
اليه من بيت أو إلف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب والأبنية من الادم والانطاع (تستخفونها) أى تعدونها خفيفة المحمل فى

الذى يدعو عباده الى توحيده وطاعته يقول لا يستوى هو تعالى ذكره والصنم الذى صفته ما وصف
وقوله وهو على صراط مستقيم يقول وهو مع أمره بالعدل على طريق من الحق فى دعائه الى العدل
وأمره به مستقيم لا يعوج عن الحق ولا يزول عنه * وقد اختلف أهل التأويل فى المضروب له هذا
المثل فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال
ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لا يقدر على شئ قال هو الوثن هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل
قال الله يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وكذلك كان مجاهد يقول الا أنه كان يقول المثل
الاول أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال
ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره
عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا ورجلين أحدهما أبكم ومن يأمر بالعدل
قال كل هذا مثل اله الحق وما يدعى من دونه من الباطل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية
عن جويبر عن الضحاك وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم قال انما هذا مثل ضربه الله
* وقال آخرون بل كلا المثلين للمؤمن والكافر وذلك قول يروى عن ابن عباس وقد ذكرنا الرواية
عنه فى المثل الاول فى موضعه وأما فى المثل الآخر فحدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال
ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر
على شئ وهو كل على مولاه الى آخر الآية يعنى بالابكم الذى هو كل على مولاه الكافر وبقوله ومن
يأمر بالعدل المؤمن وهذا المثل فى الاعمال حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال ثنا يحيى
ابن اسحق السيلحينى قال ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابراهيم عن عكرمة
عن يعلى بن أمية عن ابن عباس فى قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا قال نزلت فى رجل من قريش
وعبده وفى قوله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ الى قوله وهو على صراط مستقيم قال هو
عثمان بن عفان قال والابكم الذى أينما يوجهه لا يأت بخير ذاك مولى عثمان بن عفان كان عثمان
ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة وكان الآخر يكره الاسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف
فنزلت فيهما وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى المثل الاول لانه تعالى ذكره مثل مثل الكافر
بالعبد الذى وصف صفته ومثل مثل المؤمن بالذى رزقه رزقا حسنا فهو ينفق مما رزقه سرا وجهرا
فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا اذ كان الله انما مثل الكافر الذى لا يقدر على شئ بأنه لم يرزقه رزقا
ينفق منه سرا ومثل المؤمن الذى وفقه الله لطاعته فهداه لرشده فهو يعمل بما يرضاه الله كالحر الذى
بسط له فى الرزق فهو ينفق منه سرا وجهرا والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق فغير جائز
أن يمثل افضاله وجوده بانفاق المرزوق الرزق الحسن وأما المثل الثانى فانه تمثيل منه تعالى ذكره
من مثله الابكم الذى لا يقدر على شئ والكفار لا شك أن منهم من له الاموال الكثيرة ومن يضر
أحيانا الضر العظيم بفساده فغير كائن ما لا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على
أشياء كثيرة فاذا كان ذلك كذلك كان أولى المعانى به تمثيل ما لا يقدر على شئ كما قال تعالى ذكره

الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) أى فى وقت ارتحالكم والظعن بفتح العين وسكونها سير أهل البادية لنجعة ثم استعمل فى كل شخوص لسفر (ويوم اقامتكم) لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن أن يكون اليوم على حقيقته أى يوم ترجعون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل (١٠٢) عليكم ضربها (ومن أصوافها) وهى للضأن (وأوبارها) وهى للابل (وأشعارها) وهى للمعز (أثاثا) وهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال أبو زيد الاثاث المال أجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة أثاثة قال ابن عباس أراد طنافس وبسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل أصله من أث النبات والشعر يئث اذا كثر قيل انه تعالى عطف قوله ومتاعا على أثاثا فوجب أن يتغايرا فما الفرق وأجيب بأن الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمله من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به قلت لا يبعد أن يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه أثاثا وكونه مما يتمتع به (الى حين) أى الى أن تقضوا أوطاركم منه أو الى أن تبلى وتفنى أو الى الموت أو الى القيامة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام وأبنية يستظل بها لفقر أو لعارض آخر فيحتاج الى أن يستظل بشجر أو جدار أو غمام ونحوها فلذلك قال (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) وقد يحتاج المسافر الى حصن يأوى اليه فى نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر والبرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك منّ بقوله (وجعل لكم من الجبال أكنانا) هى جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة فى الجبال وكالغيران والكهوف (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) هى القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم لغلبة الحرارة فى بلادهم على أن ذكر أحد الضدين يغنى فى الاغلب عن ذكر الآخر لتلازمهما فى الخطور بالبال غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب (وسرابيل تقيكم بأسكم) كالدروع والجواشن (كذلك يتم نعمته) أى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وأنعم بها عليكم

بمثله ما لا يقدر على شئ وذلك الوثن الذى لا يقدر على شئ بالابكم الكل على مولاه الذى لا يقدر على شئ كما قال ووصف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والارض دون آلهتكم التى تدعون من دونه ودون كل ما سواه لا يعلم ذلك أحد سواه وما أمر الساعة الا كلمح البصر يقول وما أمر قيام القيامة والساعة التى تنشر فيها الخلق للوقوف فى موقف القيامة الا كنظرة من البصر لان ذلك انما هو أن يقال له كن فيكون كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا كلمح البصر أو هو أقرب والساعة كلمح البصر أو أقرب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وما أمر الساعة الا كلمح البصر قال هو أن يقول كن فهو كلمح البصر فأمر الساعة كلمح البصر أو أقرب يعنى يقول أو هو أقرب من لمح البصر وقوله ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على اقامة الساعة فى أقرب من لمح البصر قادر وعلى ما يشاء من الاشياء كلها لا يمتنع عليه شئ أراده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيأ ولا تعلمون فرزقكم عقولا تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الاصوات فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم والابصار التى تبصرون بها الاشخاص فتتعارفون بها وتميزون بها بعضا من بعض والافئدة يقول والقلوب التى تعرفون بها الاشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها لعلكم تشكرون يقول فعلنا ذلك بكم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك دون الآلهة والانداد فجعلتم له شركاء فى الشكر ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك وقوله والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ كلام متناه ثم ابتدئ الخبر فقيل وجعل الله لكم السمع والابصار والافئدة وانما قلنا ذلك كذلك لان الله تعالى ذكره جعل لعباده السمع والابصار والافئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم وانما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين ألم تروا أيها المشركون بالله الى الطير مسخرات فى جو السماء يعنى فى هواء السماء بينها وبين الارض كما قال ابراهيم بن عمران الانصارى

ويل امها من هواء الجو طالبة ۞ ولا كهذا الذى فى الارض مطلوب

يعنى فى هواء السماء ما يمسكهن الا الله يقول ما طيرانها فى الجو الا بالله وبتسخيره اياها بذلك ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعا وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول ان فى تسخير الله الطير وتمكينه لها الطيران فى جو السماء لعلامات ودلالات على أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنه لا حظ للاصنام والأوثان فى الألوهة لقوم يؤمنون يعنى لقوم يقرون بوجدان ما تعاينه أبصارهم وتحسه حواسهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من

قال

فانه يتم نعم الدين والدنيا (لعلكم تسلمون) قال ابن عباس لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات سواه وعنه أنه قرأ بفتح التاء واللام من السلامة أى تسلم قلوبكم من الشرك أو تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بسبر الدروع (فان تولوا) فقد تمهد عذرك (فانما عليك البلاغ المبين) وليس اليك الهداية (١٠٣) ثم ذمهم بأنهم (يعرفون نعمة الله) التي عددناها

قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مسخرات فى جو السماء أى فى كبد السماء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ﴾ يقول تعالى ذكره والله جعل لكم أيها الناس من بيوتكم التى هى من الحجر والمدر سكنا تسكنون أيام مقامكم فى دوركم وبلادكم وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وهى البيوت من الانطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر تستخفونها يقول تستخفون حملها ونقلها يوم ظعنكم من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم ويوم اقامتكم فى بلادكم وأمصاركم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا وبنحو الذى قلنا فى معنى السكن قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى من بيوتكم سكنا قال تسكنون فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما الأشعار فجمع شعر تثقل عينه وتخفف وواحد الشعر شعرة وأما الأثاث فانه متاع البيت لم يسمع له بواحد وهو فى أنه لا واحد له مثل المتاع وقد حكى عن بعض النحويين أنه كان يقول واحد الأثاث أثاثة ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ومن الدليل على أن الأثاث هو المتاع قول الشاعر

أهاجتك الظعائن يوم بانوا ۞ بذى الرى الجميل من الاثاث

ويروى بذى الزى وأنا أرى أصل الاثاث اجتماع بعض المتاع الى بعض حتى يكثر كالشعر الاثيث وهو الكثير الملتف يقال منه أث شعر فلان يئث أثاثا اذا كثر والتف واجتمع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أثاثا قال يعنى بالاثاث المال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى أثاثا قال متاعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أثاثا قال هو المال حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن حرب الرازى قال أخبرنا سلمة عن محمد بن اسحق عن حميد بن عبد الرحمن فى قوله أثاثا قال الثياب وقوله ومتاعا الى حين فانه يعنى أنه جعل ذلك لهم بلاغا يتبلغون ويكتفون به الى حين آجالهم للموت كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومتاعا الى حين فانه يعنى زينة يقول ينتفعون به الى حين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومتاعا الى حين قال الى الموت حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة

حيث يعترفون بها وبأنها من عند الله (ثم ينكرونها) بعبادة غير من أنعم بها وبقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ومعنى ثم تبعيد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من آبائنا أو وصل المنابر بية فلان أو أنهم لا يستعملونها فى طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال (وأكثرهم الكافرون) لانه استعمل الاكثر مقام الكل أو أراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين أو أراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق الرسول أو لأنه لم تقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت ويحتمل أن يراد بالكافرين المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله أن فى مطلق الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى أعلم التأويل فضل الارواح على القلوب فى رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والرد الى البقاء وفضل القلوب على النفوس فى رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل النفوس على الابدان فى رزق التزكية والتخلية والتحلية وفضل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين بحمل أعباء الشريعة فما الارواح برادى رزقهم على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان أفبنعمة الله التى أنعم بها على أوليائه تجحدون بامنكرى هذا الحديث والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يعنى ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من أزواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهن النفوس أفبالباطل وهو الزخارف والوساوس يؤمنون وبنعمة الله التى أنعم بها على أرباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك لهم رزقا من

سموات القلوب وأرض النفوس شيأ من الكمالات التى أودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة غير الله فلا تضربوا لله الامثال بأن تريدوا أن تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى وللدنيا ومن رزقناه ولاية كاملة يتصرف بها فى بواطن المستعدين وظواهرهم

بل أكثرهم لا يعلمون أولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غيره

ومتاعا الى حين الى أجل و بلغة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الاشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحر وهى جمع ظل و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن قتادة فى قوله مما خلق ظلالا قال الشجر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله جعل لكم مما خلق ظلالا إى والله من الشجر ومن غيرها وقوله وجعل لكم من الجبال أكنانا يقول وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها وهى جمع كن كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعل لكم من الجبال أكنانا يقول غيرانا من الجبال يسكن فيها وقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعنى ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر من القطن والكتان والصوف **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سرابيل تقيكم الحر قال القطن والكتان وقوله وسرابيل تقيكم بأسكم يقول ودروعا تقيكم بأسكم والبأس هو الحرب والمعنى تقيكم فى بأسكم السلاح أن يصل اليكم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسرابيل تقيكم بأسكم من هذا الحديد **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وسرابيل تقيكم بأسكم قال هى سرابيل من حديد وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول تعالى ذكره كما أعطاكم ربكم هذه الاشياء التى وصفها فى هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم فكذا يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون يقول لتخضعوا لله بالطاعة وتذل منكم بتوحيده النفوس وتخلصوا له العبادة وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ لعلكم تسلمون بفتح التاء **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا ابن المبارك عن حنظلة عن شهر بن حوشب قال كان ابن عباس يقول لعلكم تسلمون قال يعنى من الجراح **حدثنا** أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن العوام عن حنظلة السدوسى عن شهر ابن حوشب عن ابن عباس أنه قرأها لعلكم تسلمون من الجراحات قال أحمد بن يوسف قال أبو عبيد يعنى بفتح التاء واللام فتأويل الكلام على قراءة ابن عباس هذه كذلك يتم نعمته عليكم بما جعل لكم من السرابيل التى تقيكم بأسكم لتسلموا من السلاح فى حروبكم والقراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها بضم التاء من قوله لعلكم تسلمون وكسر اللام من أسلمت تسلم يا هذا لاجماع الحجة من قراء الامصار عليها فان قال لنا قائل وكيف قيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر فخص بالذكر الحر دون البرد وهى تقى الحر والبرد أم كيف قيل وجعل لكم من الجبال أكنانا وترك ذكر ما جعل لهم من السهل قيل له قد اختلف فى السبب الذى من أجله جاء التنزيل كذلك وسنذكر ما قيل فى ذلك ثم ندل على أولى الاقوال فى ذلك بالصواب فروى عن عطاء الخراسانى فى ذلك ما **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا محمد بن كثير عن عثمان بن عطاء عن أبيه

أحدهما أ بكم هو النفس الحيوانية التى لا تقدر على شئ من العلم والعقل والايمان وهو ثقل على مولى الروح المسمى بالنفس الناطقة لا يأت بخير لانها أمارة بالسوء ولله غيب سموات الارواح وأرض النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره ولو وكل كلا منهما الى طبعها لم ترجع الحد بها ورجوعها يكون بالاماتة والاحياء وعيبتها عن أوصافها وتحييها بصفاته وهو المراد بأمر الساعة لان الاماتة بتجلى صفات الجلال والاحياء بتجلى صفات الجمال واذا تجلى الله لعبد لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال أو هو أقرب وحينئذ يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ من أمور الدنيا والآخرة ولا مما كانت أرواحكم تعلم فى عالم الارواح ولا مما كانت تعلم ذواتكم من فهم خطاب ألست بربكم وجواب بلى وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كما للحيوانات ولارواحكم كما للملائكة ولاسراركم سمعا يسمع به من الله وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف به الله وبوجه آخر والله أخرجكم من العدم وهو الام الحقيقى لا تعلمون شيأ قبل أن يعلمكم الله سبحانه أسماء كل شئ فتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه أعطاكم سمعا تسمعون به خطاب ألست بربكم وبنور بصره أعطاكم بصرا تبصرون به جماله وبنور علمه أسماكم فؤادا تعرفون به كماله وبنور كلامه أعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد الا ذاته ولا تتكلمون بهذا الكلام الا معه ألم يروا الى طير الارواح مسخرات فى جو سماء القلوب ما يمسكهن فى سفل الاجساد الا الله بحكمته فلذلك قال والله جعل لكم أي

قال

الأرواح من بيوتكم وهي الاجساد سكنا وجعل لكم من جلود الانعام التي هي أجساد اشتركت فيها سائر الحيوانات بيوتا تستخف أرواحكم اياها وهي النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والوقفة للاستراحة والتربية ومن أصوافها هي الصفات الحيوانية والحواس والقوى أثاثا آلات للسير ومتاعا ينتفع بها الى حين الوصول والوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا أي جعل عالم الخلق ظل عالم

قال انما نزل القرآن على قدر معرفتهم ألا ترى الى قول الله تعالى ذكره والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال ألا ترى الى قوله ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ألا ترى الى قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد يعجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون به ألا ترى الى قوله سرابيل تقيكم الحر وما تقي من البرد أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب حر فالسبب الذى من أجله خص الله تعالى ذكره السرابيل بأنها تقي الحر دون البرد على هذا القول هو أن المخاطبين بذلك كانوا أصحاب حر فذكر الله تعالى ذكره نعمته عليهم بما يقيهم مكروه ما به عرفوا مكروهه دون ما لم يعرفوا مبلغ مكروهه وكذلك ذلك في سائر الاحرف الاخر * وقال آخرون ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر اذ كان معلوما عند المخاطبين به معناه وأن السرابيل التي تقي الحر تقي أيضا البرد وقالوا ذلك موجود في كلام العرب مستعمل واستشهدوا لقولهم بقول الشاعر

وما أدرى اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يليني

فقال أيهما يليني يريد الخير أو الشر وانما ذكر الخير لانه اذا أراد الخير فهو يتقي الشر * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ان القوم خوطبوا على قدر معرفتهم وان كان في ذكر بعض ذلك دلالة على ما ترك ذكره لمن عرف المذكور والمتروك وذلك أن الله تعالى ذكره انما عدد نعمه التي أنعمها على الذين قصدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم فذكر أياديه عندهم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عما أرسلتك به اليهم من الحق فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه فما عليك من لوم ولا عذل لانك قد أديت ما عليك في ذلك انه ليس عليك الا بلاغهم ما أرسلت به ويعني بقوله المبين الذى يبين لمن سمعه حتى يفهمه وأما قوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها فان أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة التي أخبر الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها فقال بعضهم هو النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن السدى مثله * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وأن الله هو المنعم بذلك عليهم ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم * ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا المثنى قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال هي المساكن والانعام وما يرزقون منها والسرابيل

الأمر تستظل أيها الارواح به عند طلوع شمس التجلي والالأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال القلوب ما يكن به الارواح وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم من سهام الوساوس والهواجس كذلك يحفظكم من الآفات ويربيكم بالكرامات حتى يتم نعمة الوصول عليكم وتسلموا من قطع الطريق يعرفون نعمة الله بتعريفك وأكثرهم الكافرون بك وبنعمة الله اظهارا للقهر والله أعلم

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا

أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون

(١٠٦)

من الحديد والثياب تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول هذا كان لآبائنا فروحونا اياه * حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال فورثونا اياها وزاد في الحديث عن ابن جريج قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير يعلمون أن الله خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم فهو معرفتهم نعمته ثم انكارهم اياها كفرهم بعد * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية عن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن ليث عن عون بن عبد الله بن عتبة يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال انكارهم اياها أن يقول الرجل لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا * وقال آخرون معنى ذلك أن الكفار اذا قيل لهم من رزقكم أقروا بأن الله هو الذي رزقهم ثم ينكرون ذلك بقولهم رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله يعرفون نعمة الله النعمة عليهم بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم داعيا الى ما بعثه بدعائهم اليه وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما بعث به فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده اذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبل هذه الآية قوله فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وما بعده ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو رسولها فاذا كان ذلك كذلك فمعنى الآية يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك ثم ينكرونك ويجحدون نبوتك وأكثرهم الكافرون يقول وأكثر قومك الجاحد نبوتك لا المقرون بها

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴾ يقول تعالى ذكره يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ويستنكرون يوم نبعث من كل أمة شهيدا وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله وهو رسولهم الذي أرسل اليهم ثم لا يؤذن للذين كفروا يقول ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار فيعتذروا وانما كانوا بالله وبرسوله يكفرون ولا هم يستعتبون فيتركوا والرجوع الى الدنيا فينيبوا ويتوبوا وذلك كما قال تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وشاهدها نبيها على أنه قد بلغ رسالات ربه قال الله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا عاين الذين كذبوك يا محمد وجحدوا نبوتك والامم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك عذاب الله فلا ينجيهم من عذاب الله شئ لانهم لا يؤذن لهم فيعتذرون فيخفف عنهم العذاب بالعذر الذي يدعونه ولا هم ينظرون يقول ولا يرجؤن بالعقاب لان وقت التوبة والانابة قد فات فليس ذلك وقتا لهما وانما هو وقت للجزاء على الاعمال فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والاوثان

القراآت ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالياء قرأت القرآن مثل أنشأنا

الوقوف يستعتبون ○ ولا هم ينظرون ○ من دونك ج لاختلاف الجملتين مع الفاء الكاذبون ○ ج للعطف مع أنه رأس آية يفترون ○ يفسدون ○ على هؤلاء ط لواو الاستئناف للمسلمين ○ والبغي ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف تذكرون ○ ط تفعلون ○ أنكاثا ط بناء على أن التقدير أتتخذون من أمة ط به ط تختلفون ○ ويهدي من يشاء ط تعملون ○ عن سبيل الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ○ قليلا ط تعلمون ○ باق ط يعملون ○ طيبة ج للعدول عن الواحد ان الى الجمع مع أنهما ضميرا من يعملون ○ الرجيم ○ يتوكلون ○ مشركون ○

التفسير لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وأن أكثرهم كافرون أتبعه أصناف وعيد يوم القيامة والتقدير (و) اذكر (يوم نبعث من كل أمة شهيدا) أو يوم وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيد كل أمة نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر أو في كثرة الكلام أو في الرجوع الى دار الدنيا أو الى التكليف ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى أو المراد أن يسكت أهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود (ولا هم يستعتبون) لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب فاذا قوا

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

وقال فى الكشاف أى لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أن المنع من الكلام أصعب من شهادة الانبيا عليهم

(واذا رأى الذين ظلموا) وهم المشركون (العذاب) بعينهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) ليتوبوا فان

والاوثان وغير ذلك قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا فى الكفر بك والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك قال الله تعالى ذكره فألقوا يعنى شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله القول يقول قالوا لهم انكم لكاذبون أيها المشركون ما كنا ندعوكم الى عبادتنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فألقوا اليهم القول قال حدثوهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يقول تعالى ذكره وألقى المشركون الى الله يومئذ السلم يقول استسلموا يومئذ وذلوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم التى كانوا يدعون فى الدنيا من دون الله وتبرأت منهم ولا قومهم ولا عشائرهم الذين كانوا فى الدنيا يدافعون عنهم والعرب تقول ألقيت اليه كذا تعنى بذلك قلت له وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عند الله بالنجاة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقوا الى الله يومئذ السلم يقول ذلوا واستسلموا يومئذ وضل عنهم ما كانوا يفترون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ يقول تعالى ذكره الذين جحدوا يا محمد نبوتك وكذبوك فيما جئتهم به من عند ربك وصدوا عن الايمان بالله وبرسوله من أراده زدناهم عذابا يوم القيامة فى جهنم فوق العذاب الذى هم فيه قبل أن يزادوه وقيل تلك الزيادة التى وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال عقارب لها أنياب كالنخل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وابن عيينة عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن سليمن عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله قال زدناهم عذابا فوق العذاب قال أفاعى حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله قال أفاعى فى النار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن

التوبة هنالك غير موجودة أو غير مقبولة وفيه أن عذابهم خالص عن النفع دائم كما يقوله المتكلمون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) وهى الاصنام أو الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم فى الغى قاله الحسن (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا) أى نعبدهم من دونك قال أبو مسلم الاصبهانى مقصود المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم أن ذلك ينجيهم من عذاب الله أو ينقص منه وزيفه القاضى بأن الكفار يعلمون فى الآخرة علما ضروريا أن العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة فى هذا القول والانصاف أن الغريق يتعلق بكل شئ والمبهوت قد يقول ما لا فائدة فيه على أن العلم الضرورى الذى ادعاه القاضى ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الأصنام مع أنه لا ذنب لها واعترافا بأنهم كانوا خاطئين فى عبادتها (فألقوا اليهم القول) أى قال الاصنام أو الشياطين للكفار (انكم لكاذبون) فان قيل ان المشركين أشاروا الى الاصنام أن هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوهم من دونك وقد كانوا صادقين فى ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب أن المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله فى المعبودية فكذبتهم الاصنام فى اثبات هذه الشركة وفى قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان أراد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين فى قوله انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما أشركتمونى من قبل (وألقوا الى الله يومئذ السلم) عن الكلبى استسلم العابد والمعبود وأقروا لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال آخرون الضمير للذين ظلموا وألقاء السلم الاستسلام لأمر الله

الصباح قالا ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان لجهنم جبابا فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدهم يستغيث أهل النار الى تلك الجباب أو الساحل فتثب اليهم فتأخذ بشفاههم وشفارهم الى أقدامهم فيستغيثون منها الى النار فيقولون النار النار فتتبعهم حتى تجد حرها فترجع قال وهي في أسراب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال ان لجهنم سواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كأعناق البخت وقوله بما كانوا يفسدون يقول زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون بما كانوا في الدنيا يعصون الله ويأمرون عباده بمعصيته فذلك كان افسادهم اللهم انا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم يقول نسأل نبيهم الذي بعثناه اليهم للدعاء الى طاعتنا وقال من أنفسهم لانه تعالى ذكره كان يبعث الى أمم أنبياءها منها ماذا أجابوكم وماردوا عليكم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك اليهم بما أجابوك وماذا عملوا فيما أرسلتك به اليهم وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ يقول نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس اليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب وهدى من الضلالة ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه من حدود الله وأمره ونهيه فأحل حلاله وحرم حرامه وبشرى للمسلمين يقول وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد وأذعن له بالطاعة يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة وعظيم كرامته ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا أبان بن تغلب عن الحكم عن مجاهد تبيانا لكل شئ قال مما أحل وحرم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن أبان بن تغلب عن مجاهد في قوله تبيانا لكل شئ مما أحل لهم وحرم عليهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد في قوله تبيانا لكل شئ قال ما أمر به وما نهى عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ قال ما أمروا به ونهوا عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أشعث عن رجل قال قال ابن مسعود أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شئ قد بين لنا في القرآن ثم تلا هذه الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله اليك يا محمد بالعدل وهو الانصاف ومن الانصاف الاقرار بمن أنعم علينا بنعمته والشكر له على افضاله وتولي الحمد أهله واذا كان ذلك هو العدل ولم يكن للاوثان والاصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها كان جهلا بنا حمدها وعبادتها وهي لا تنعم فتشكر ولا تنفع فتعبد فلزمنا أن نشهد

بعلو الاباء في الدنيا (وضل) أي غاب (عنهم ما كانوا يفترون) من أن الله شريكا وأن آلهتهم تشفع لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والأصح العموم (زدناهم عذابا) لاجل الاضلال (فوق العذاب) الذي استحقوه للضلال وأيضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة أنهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات أمثال البخت وعقارب أشباه البغال أنيابها كالنخل الطوال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم بكونهم مفسدين أمور الناس بالصد والاضلال فعلم منه أن من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيده الله تعالى أجرا على أجر ثم أعاد حكاية بعث الشهداء لما نيط بها من زيادة فائدتين احداهما كون الشهداء من أنفسهم لان كل نبي فهو من جنس أمته والأخرى أن الشهيد يكون وقتئذ في الامة لا مفارقا اياهم وفسر الأصم الشهيد في هذه الآية بأنه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى تشهد عليه وهن الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان ولهذا ذكر لفظة في ووصف الشهيد بكونه من أنفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أي على أمتك ولا ريب أن في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله نظيره قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية أن أنه لا بد في كل عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم أهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل أن يقول الامة في الآية هي الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى آخر زمان دينه فيكون نبي تلك الامة وحده شهيدا

عليهم ولا دلالة للآية الا على هذا القدر فمن أين حصل لك أن اجماع أهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين أنه أزاح علتهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) أي بيانا بالغا والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يأت غيرهما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان القرآن بيان جميع الاحكام لان الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المؤمنين وجاء فاعتبروا ۞ وقال آخرون ان علم أصول الدين كلها في القرآن وأما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في أول أحوالهم والرحمة في وسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى في أوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وأبشروا والله أعلم بمراده ولما ذكر أن في القرآن تبيان كل شئ ذكر عقيبه آية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال (ان الله يأمر) الآية عن ابن عباس أن عثمن بن مظعون الجمحي قال ما أسلمت أولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبيناهو يحدثني اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا أنا أحدثك اذا جبرئيل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل الآية قال عثمن فمن وقته استقر الايمان في قلبي وأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود هي أجمع آية في القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن الا أمر الله تعالى به في هذه الآية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو أداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله (والاحسان) هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا وعرفا وأقربها صلة الرحم بالمال فلذلك أفردها بالذكر بقوله (وايتاء

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولذلك قال من قال العدل في هذا الموضع شهادة أن لا اله الا الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال شهادة أن لا اله الا الله وقوله والاحسان فان الاحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى في الشدة والرخاء والمكره والمنشط وذلك هو أداء فرائضه كما حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس والاحسان يقول أداء الفرائض وقوله وايتاء ذي القربى يقول واعطاء ذي القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم كما حدثني المثنى وعلي قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس وايتاء ذي القربى يقول الارحام وقوله وينهى عن الفحشاء قال الفحشاء في هذا الموضع الزنا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح عن علي عن ابن عباس وينهى عن الفحشاء يقول الزنا وقد بينا معنى الفحشاء بشواهده فيما مضى قبل وقوله والبغي قيل عني بالبغي في هذا الموضع الكبر والظلم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس والبغي يقول الكبر والظلم وأصل البغي التعدي ومجاوزة القدر والحد من كل شئ وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وقوله يعظكم لعلكم تذكرون يقول يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنيبوا الى أمره ونهيه وتعرفوا الحق لاهله كما حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس يعظكم يقول يوصيكم لعلكم تذكرون وقد ذكر عن ابن عيينة أنه كان يقول في تأويل ذلك ان معنى العدل في هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا وان معنى الاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته وان الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في هذه الآية ما حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا معتمر بن سليمن قال سمعت منصور بن النعمان عن عامر عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية في القرآن في سورة النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى آخر الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبي عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية في القرآن لخير أو لشر آية في سورة النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وقدم فيه وانما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون) يقول تعالى ذكره وأوفوا بميثاق الله اذا واثقتموه وعقده اذا عاقدتموه فأوجبتم به على

أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها يقول ولا تخالفوا الأمر الذى تعاقدتم فيه الأيمان يعنى بعد ما شددتم الايمان على أنفسكم فتحنثوا فى أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد ابرامها يقال منه وكد فلان يمينه يوكدها توكيدا اذا شددها وهى لغة أهل الحجاز وأما أهل نجد فانهم يقولون أكدتها أؤكدها تأكيدا وقوله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يقول وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الموفى منكم بعهد الله الذى عاهد على الوفاء به والناقض ※ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم فيمن عنى بهذه الآية وفيما أنزلت فقال بعضهم عنى بها الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وفيهم أنزلت ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو ليلى عن بريدة قوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم قال أنزلت هذه الآية فى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الاسلام فقال وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هذه البيعة التى بايعتم على الاسلام ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها البيعة فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التى بايعتم على الاسلام وان كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة ※ وقال آخرون نزلت فى الحلف الذى كان أهل الشرك تحالفوا فى الجاهلية فأمرهم الله عز وجل فى الاسلام أن يوفوا به ولا ينقضوه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها قال تغليظها فى الحلف **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و**حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يقول بعد تشديدها وتغليظها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد فجاءهم قوم فقالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا الينا ففعلوا فذلك قول الله تعالى ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أن تكون أمة هى أربى من أمة هى أربى أكثر من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا فى هذا **حدثنى** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع ابن يزيد قال سألت يحيى بن سعيد عن قول الله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها قال العهود ※ والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى أمر فى هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التى يجعلونها على أنفسهم ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحق مما لا يكرهه الله وجائز أن تكون نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهيهم عن نقض بيعتهم حذرا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وأن تكون نزلت فى الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم فى آخرين لكثرة عددهم وجائز أن

تكون

ذى القربى) والفحشاء هى الامور المتزايدة فى القبح فلذلك أفردها بالذكر وهى الكبائر وقد يخص بالزنا أو بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف فى شريعة ولا سنة والبغى هو الاستطالة قال جار الله حين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه وعلى نبينا الصلاة والسلام أقيمت هذه الآية مقامها واعلم أن العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط وأنه واجب الرعاية فى جميع الاشياء ولنذكر له أمثلة أما فى الاعتقادات فالقول بنفى الاله تعطيل محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك وتجزئة والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه أرباب المذاهب ثم ان الاشعرى يقول القول بنفى الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ونفى غيرها وبوجه آخر نفى الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات أزلية قديمة غير متغيرة وأيضا القول بأن العبد لا قدرة له أصلا جبر محض والقول بأنه مستقل فى التصرف قدر محض وتفويض والعدل أمر بين الامرين وهو أن العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وأيضا القول بأن الله لا يؤاخذ عبده بشئ من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه يخلد فى النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلى يقول العدل فى هذه الاصول بنوع آخر وقد مر مرارا وأما رعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشئ من الطاعات ولا الاحتراز عن شئ من المعاصى وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان أن يجتنب عن أكل الطيبات ويبالغ فى تعذيب نفسه وأن يحترز عن كل ما يميل

تكون في غير ذلك ولا خبر تثبت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عني بها ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه وان الآية كانت قد نزلت لسبب من الاسباب ويكون الحكم بها عاما في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قال وكيلا وقوله ان الله يعلم ما تفعلون يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والايمان التي تؤكدونها على أنفسكم أتبرون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم محص ذلك كله عليكم وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها يقول فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبل لكم به من أليم عقابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها وآمرا بوفاء العهود وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد ابرامه وناكثته من بعد احكامه ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها واعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق كالتي نقضت غزلها من بعد قوة يعني من بعد ابرام وكان بعض أهل العربية يقول القوة ما غزل على طاقة واحدة ولم يثن وقيل ان التي كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير كالتي نقضت غزلها من بعد قوة قال خرقاء كانت بمكة تنقضه بعد ما تبرمه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن صدقة عن السدي ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم قال هي خرقاء بمكة كانت اذا أبرمت غزلها نقضته وقال آخرون انما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل وقالوا في معنى نقضت غزلها من بعد قوة نحوا مما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم ما أحمق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة قال غزلها حبلها تنقضه بعد ابرامها اياه ولا تنتفع به بعد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كالتي نقضت غزلها من بعد قوة قال نقضت حبلها من بعد ابرام قوة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من

الطبع اليه حتى التزوج والاولى بالمرأة أن يختصى فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لان التشديد غالب في دين موسى فليس في شرعه على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل ولا يحرم وطء الحائض والعدل ما حكم به شرعنا من جواز العفو وأخذ الدية وحرمة وطء الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات قيل له طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولما أخذ قوم في المساهلة نزل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض العقلاء الحكمة فيه أن رأس ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي رأسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف حسه ويقل شعوره فتقل لذة الوقاع فتقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الآلات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان هذا ما قيل وعندي أن الحكمة في الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والا فلعل اللذة بعد الختان أكثر لملاقاة الحاس المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن معادلة مكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وتنقلب الطبائع كلها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض أقل مما هو الآن لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان أكثر لاستولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وابطائها فان كلا منها مقدر على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه فهذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل وأما الاحسان فهو المبالغة في أداء الطاعات بحسب الكمية بحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فكأن المبالغ المخلص في أداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه

بعـد قوة أنكاثا قال هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذي يعطيه ضرب الله هذا له مثلا بمثل التي غزلت ثم نقضت غزلها فقد أعطاهم ثم رجع فنكث العهد الذي أعطاهم وقوله أنكاثا يعني أنقاضا وكل شئ نقض بعد الفتل فهو أنكاث واحدها نكث حبلا كان ذلك أو غزلا يقال منه نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثا والحبل منتكث اذا انتقضت قواه وانما عني به في هذا الموضع نكث العهد والعقد وقوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول تعالى ذكره تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه دخلا بينكم يقول خديعة وغرورا ليطمئنوا اليكم وأنتم مضمرون لهم الغدر وترك الوفاء بالعهد والنقلة عنهم الى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددا منهم والدخل في كلام العرب كل أمر لم يكن صحيحا يقال منه أنا أعلم دخل فلان ودخلله ودخلله وداخلة أمره ودخلته ودخيلته وأما قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة فان قوله أربى أفعل من الربا يقال هذا أربى من هذا وأربا منه اذا كان أكثر منه ومنه قول الشاعر

وأسمر خطي كأن كعوبه * نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

وانما يقال أربى فلان من هذا وذلك للزيادة التي يزيدها على غريمه على رأس ماله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول أكثر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول ناس أكثر من ناس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة قال كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم فنهوا عن ذلك حدثنا ابن المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (١) وحدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم يقول خيانة وغدرا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة أن يكون قوم أعز وأكثر من قوم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة دخلا بينكم قال خيانة بينكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تتخذون أيمانكم دخلا بينكم يغر بها يعطيه العهد يؤمنه وينزله من مأمنه فتزل قدمه وهو في مأمن ثم يعود يريد الغدر قال فأول بدو هذا قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم بعضا العهد فجاءهم قوم قالوا نحن أكثر وأعز وأمنع فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا الينا ففعلوا وذلك قول الله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أن تكون أمة هي

(١) أي مثله وكثيرا ما يأتي بالسند ويترك المتن اذا تقدم ولا يأتي بلفظ نحوه أو مثله فتنبه

وبالحقيقة يدخل في الاحسان أنواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وأشرف أنواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم أفرد بالذكر ثم انه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لا تحتاج الى التهذيب لانها من نتائج الارواح القدسية وأما الثلاث الاول فتحتاج الى التأديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في آثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس أهلا لذلك وأخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية فلهذا بدأ سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان أصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الآية لاجرم ختمها بقوله (يعظكم لعلكم تذكرون) لانها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبي في الآية دلالة على أنه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقه فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واعلم أنه لا يلزم من ارادة الله تذكر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد أن يطلب الله منه التذكر فان طلب ما ليس في وسعه محال فمعنى لعلكم تذكرون ارادة أن تكونوا على حالة التذكر لا ارادة أن تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المأمورات الوفاء بالعهد فقال (وأوفوا بعهد الله) خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرائع وقيل هو اليمين والأصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم

أربى

أربى من أمة هي أربى أكثر من أجل أن كانوا هؤلاء أكثر من أولئك نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء فكان هذا في هذا وكان الأمر الآخر في الذي يعاهده فينزله من حصنه ثم ينكث عليه الآية الأولى في هؤلاء القوم وهي مبدؤه والأخرى في هذا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أن تكون أمة هي أربى من أمة يقول أكثر يقول فعليكم بوفاء العهد وقوله إنما يبلوكم الله به يقول تعالى ذكره إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم ليتبين المطيع منكم المنتهي إلى أمره ونهيه من العاصي المخالف أمره ونهيه وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يقول تعالى ذكره وليبين لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه بمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته ما كنتم فيه تختلفون والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا أن المؤمن بالله كان يقر بوحدانية الله ونبوة نبيه ويصدق بما ابتعث به أنبياءه وكان يكذب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفيق من عنده فصرتم جميعا جماعة واحدة وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم فجعلكم أهل ملل شتى بأن وفق هؤلاء للإيمان به والعمل بطاعته فكانوا مؤمنين وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم ثم ليجازينكم جزاءكم المطيع منكم بطاعته والعاصي له بمعصيته

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلا وخديعة بينكم تغرون بها الناس فتزل قدم بعد ثبوتها يقول فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين وإنما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة وما أشبه ذلك زلت قدمه كما قال الشاعر

سيمنع منك السبق إن كنت سابقا * وتلطع إن زلت بك النعلان

وقوله وتذوقوا السوء يقول وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء هو عذاب الله الذي يعذب به أهل معاصيه في الدنيا وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر به بما صددتم عن سبيل الله يقول بما فتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان ولكم عذاب عظيم في الآخرة وذلك نار جهنم وهذه الآية تدل على أن تأويل بريدة الذي ذكرنا عنه في قوله وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم والآيات التي بعدها أنه عني بذلك الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام (١) عن مفارقة الإسلام لقلة أهله وكثرة أهل الشرك هو الصواب دون الذي قال مجاهد أنهم عنوا به لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم صد عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى وقد وصف تعالى ذكره في هذه الآية فاعلي ذلك أنهم باتخاذهم الأيمان دخلا بينهم ونقضهم الأيمان بعد توكيدها صادون عن سبيل الله وأنهم أهل ضلال في التي قبلها وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل النقلة بالحلف عن

وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه أن يكون قوله سبحانه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها أي بعد توثيقها باسم الله تكرارا وأكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الأصل الواو والهمزة بدل وفي الآية دلالة على الفرق بين الأيمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وأيضا الآية من العمومات التي دخلها التخصيص لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الأيمان في البقرة وفي المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم الآية (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به (إن الله يعلم ما تفعلون) فيجازيكم بحسب ذلك خيرا أو شرا وفيه ترغيب وترهيب ثم أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة) أي من بعد قوة الغزل بإمرارها وفتلها قال الزجاج انتصب (أنكاثا) على المصدر لأن معنى نقضت نكثت وزيف بأن أنكاثا ليس مصدرا وإنما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما تقول كسره أقطاعا وفرقه أجزاء أي جعله أقطاعا وأجزاء فكذا ههنا أي جعلت غزلها أنكاثا قلت ويحتمل أن يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الآية متصلة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الأيمان فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم جعلته أنكاثا فعلى هذا المشبه به امرأة غير معينة ولا حاجة في التشبيه إلى أن يكون للمشبه به وجود في الخارج وقيل المراد امرأة معينة من قريش ريطة بنت سعد ابن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وهي الحديدة في رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجوار بها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لتتخذ أي لا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا بينكم أي مفسدة ودغلا وقال الواحدي أي غشا وخيانة وقال الجوهري أي مكرا وخديعة

(١) لعله نهوا عن مفارقة الخ فتأمل كتبه مصححه

وقال غيره الدخل ما أدخل في الشيء على فساد وقوله (أن تكون) أي لأن تكون (أمة) يعني جماعة قريش هي أربى أزيد وأوفر عددا ومالا (من أمة) هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الأولين ويحالفون الذين هم أعز وأمنع (إنما

يبلوكم الله به) أي بما يأمركم وينهاكم وقد تقدم ذكر الأمر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله أن تكون لأنه في معنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الإسلام وأنذرهم بقوله (وليبينن لكم يوم القيامة) بإظهار الدرجات والكرامات للأولياء وتعيين الدركات والبليات للأشقياء (ما كنتم فيه تختلفون) حيث تدعون أنكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم ثم بين أنه سبحانه قادر على أن يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر أبواب الإيمان ولكنه بحكم الإلهية (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) والمعتزلة حملوا المشيئة على مشيئة الإلجاء بدليل قوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كانت أعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا أجابت الأشاعرة بأنه لا يسئل عما يفعل روى الواحدي أن عزيرا قال يا رب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عزير أعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا أو لأمحون اسمك من النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الأيمان أراد أن ينهاهم عن نقض أيمان مخصوصة أقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على هذا التخصيص قوله (فتزل قدم بعد ثبوتها) لأن هذا الوعيد لا يليق بنقض عهد قبيلة وإنما يليق بنقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال جار الله وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب أن من نقض عهد الإسلام وزلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات العالية إلى

قوم إلى قوم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكديها بأيمانكم تطلبون بنقضكم ذلك عرضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به يثبكم الله على الوفاء به فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك هو خير لكم إن كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به ثم بين تعالى ذكره فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين فقال ما عندكم أيها الناس مما تملكونه في الدنيا وإن كثر فنافد فان وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان فلما عنده فاعملوا وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا وقوله ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون يقول تعالى ذكره وليثيبن الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها ومسارعتهم في رضاه بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوئها وليغفرن لهم سيئها بفضله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره من عمل بطاعة الله وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن يقول وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة وبوعيد أهل معصيته على المعصية فلنحيينه حياة طيبة واختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يحييهموها فقال بعضهم عنى أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن إسمعيل بن سميع عن أبي مالك عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة الرزق الحلال في الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن إسمعيل بن سميع عن أبي مالك وأبي الربيع عن ابن عباس بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن إسمعيل بن سميع عن أبي الربيع عن ابن عباس في قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الحسن في الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن إسمعيل بن سميع عن أبي الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن إسمعيل بن سميع عن أبي الربيع عن ابن عباس فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب في الدنيا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة يعني في الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك فلنحيينه حياة طيبة قال الرزق الطيب الحلال حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عون بن سلام القرشي قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك في قوله فلنحيينه حياة طيبة قال يأكل حلالا ويلبس حلالا ﴿ وقال آخرون فلنحيينه حياة طيبة بأن نرزقه القناعة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

الدركات الهاوية بيانه قوله (وتذوقوا السوء) فى الدنيا (بما صددتم) بصدودكم أو بصدكم غيركم (عن سبيل الله) لان المرتد قد يقتدى به غيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة ويحتمل أن يراد أن ذلك السوء الذى تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوم أسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هنالك فأوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان يعدهم

قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال (ولا تشتروا) الآية ثم ذكر دليلا قاطعا على أن ما عند الله خير فقال (ما عندكم ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) وفيه دليل على أن نعيم الجنة باق لأهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والآية حجة عليه (ولنجزين الذين صبروا) على ما التزموه من شرائع الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أى بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب أو نجزيهم بجزاء أشرف وأوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ثم عمم الوعد على أى عمل صالح كان فقال (من عمل صالحا) ولا كلام فى عمومه الا أنه زاد قوله (من ذكر أو أنثى) تأكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة فى تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا فى كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال (وهو مؤمن) فاستدل به على أن الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشئ مغاير لذلك الشئ واختلف فى الحياة الطيبة فقيل هى فى الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان فى الدنيا لا يخلو من مشقة وأذية ومكروه اقوله تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه بين أن هذا الكدح وهو التعب فى العمل باق الى أن يصل الى ربه وأما بعد ذلك فحياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدى ان هذه الحياة فى القبر والأكثرون على أنها فى الدنيا لقوله بعد ذلك (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وعلى هذا فاسباب طيب الحياة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع أكل الحلال وقيل القناعة أو رزق يوم كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا

قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن أبى خزيمة سليمن التمار عمن ذكره عن على فلنحيينه حياة طيبة قال القنوع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عصام عن أبى سعيد عن الحسن البصرى قال الحياة الطيبة القناعة * وقال آخرون بل يعنى بالحياة الطيبة الحياة مؤمنا بالله عاملا بطاعته ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فلنحيينه حياة طيبة يقول من عمل عملا صالحا وهو مؤمن فى فاقة أو ميسرة فحياته طيبة ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحا فعيشته ضنكة لا خير فيها * وقال آخرون الحياة الطيبة السعادة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فلنحيينه حياة طيبة قال السعادة * وقال آخرون بل معنى ذلك الحياة فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال لا تطيب لأحد حياة دون الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن فلنحيينه حياة طيبة قال ما تطيب الحياة لأحد الا فى الجنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فان الله لا يشاء عملا الا فى اخلاص ويوجب من عمل ذلك فى ايمان قال الله تعالى فلنحيينه حياة طيبة وهى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلنحيينه حياة طيبة قال الآخرة يحييهم حياة طيبة فى الآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال الحياة الطيبة فى الآخرة هى الجنة تلك الحياة الطيبة قال ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال ألا تراه يقول يا ليتنى قدمت لحياتى قال هذه آخرته وقرأ أيضا وان الدار الآخرة لهى الحيوان قال الآخرة دار حياة لاهل النار وأهل الجنة ليس فيها موت لاحد من الفريقين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قال الايمان الاخلاص لله وحده فبين أنه لا يقبل عملا الا بالاخلاص له * وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تأويل ذلك فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه ولم يعظم فيها نصبه ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالآية لان الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم اياه ان عصوه أذاقهم السوء فى الدنيا والعذاب العظيم فى الآخرة فقال تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله فهذا لهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم فهذا لهم فى الآخرة ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى ما عندكم فى الدنيا ينفد وما عند الله باق فالذى (٢) هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لاهل طاعته بالاحسان فى الدنيا والغفران فى الآخرة وكذلك فعل تعالى ذكره وأما القول الذى روى عن ابن عباس أنه الرزق الحلال فهو محتمل أن يكون معناه الذى قلنا فى ذلك من أنه تعالى يقنعه فى الدنيا

قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذي صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فمعه من القنوع والعفة والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه وأما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه أبدا ويعظم أسفه على ما يفوته لانه عانق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما ينزع لحب الدنيا مالها وجاهها ويستوي عنده وجودها وفقدها

بالذي يرزقه من الحلال وان قل فلا تدعوه نفسه الى الكثير منه من غير حله لأنه يرزقه الكثير من الحلال وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الاعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة وقوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فذلك لا شك أنه في الآخرة وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي مالك عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قال اذا صاروا الى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي مالك وأبي الربيع عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي الربيع عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم قال في الآخرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي الربيع عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون يقول يجزيهم أجرهم في الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون وقيل ان هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ملل شتى تفاخروا فقال أهل كل ملة منها نحن أفضل فبين الله لهم أفضل أهل الملل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن اسمعيل عن أبي صالح قال جلس ناس من أهل الاوثان وأهل التوراة وأهل الانجيل فقال هؤلاء نحن أفضل وقال هؤلاء نحن أفضل فأنزل الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا كنت يا محمد قارئا القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم وكأن معنى الكلام عنده واذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن ولا وجه لما قال من ذلك لان ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ولكن معناه ما وصفنا وليس قوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بالامر اللازم وانما هو اعلام وندب وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضا واجبا وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال فهذا دليل من الله تعالى دل عباده عليه وأما قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فانه يعني بذلك ان الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه وعلى ربهم يتوكلون يقول وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم انما سلطانه على الذين يتولونه يقول انما حجته على الذين يعبدونه والذين هم به مشركون يقول والذين

وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلاح والقنوع عما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من أهلها ثم ان ظاهر الآية يقتضي أن العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على أن العمل الخير مطلقا يفيد أثرا مطلقا فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التي هي من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال (واذا قرأت القرآن) أي أردت قراءته اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقد مر بحث الاستعاذة مستوفى في أول هذا الكتاب (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه (انما سلطانه على الذين يتولونه) عن ابن عباس أي يطيعونه يقال توليته أي أطعته وتوليت عنه أي أعرضت عنه أما الضمير الواحد في قوله (والذين هم به مشركون) فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان أي بسببه ◈ التأويل ويوم نبعث فيه اشارة الى أن لارواح الانبياء اشرافا على أممهم في حال حياتهم وبعد وفاتهم وفيه أن الدنيا مزرعة الآخرة فلا يقبل في القيامة اعتذار واذا رأى الذين ظلموا أي وضعوا الكفر وأعمال الطبيعة موضع الايمان وأعمال الشريعة فلا يخفف عن أرواحهم أثقال (هم) الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا رأى الذين أشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في أنا دعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته وصدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذابا

هـم بالله مشركون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما سلطانه قال حجته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انما سلطانه على الذين يتولونه قال يطيعونه * واختلف أهـل التأويل فى المعنى الذى من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن فقال بعضهم بما حدثت عن واقد ابن سليمن عن سفيان فى قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهـم يتوكلون قال ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر * وقال آخرون هو الاستعاذة فانه اذا استعاذ بالله منع منه ولم يسلط عليه واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقد ذكرنا الرواية بذلك فى سورة الحجر * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهـم يتوكلون الى قوله والذين هـم به مشركون يقال ان عدو الله ابليس قال لاغوينهـم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل وانما سلطانه على قوم اتخذوه وليا وأشركوه فى أعمالهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون يقول السلطان على من تولى الشيطان وعمل بمعصية الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما سلطانه على الذين يتولونه يقول الذين يطيعونه ويعبدونه * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه انه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاذوا بالله منه بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة وعلى ربهـم يتوكلون على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لان الله تعالى ذكره أتبع هذا القول فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال فى موضع آخر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم فكان بينا بذلك أنه انما ندب عباده الى الاستعاذة منه فى هذه الاحوال ليعيذهم من سلطانه وأما قوله والذين هم به مشركون فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم فيه بما قلنا ان معناه والذين هم بالله مشركون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والذين هم به مشركون قال يعدلون برب العالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والذين هم به مشركون قال يعدلون بالله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين هم به مشركون عدلوا ابليس بربهم فانهم بالله مشركون * وقال آخرون معنى ذلك والذين هم به

الحرمان عن الكمال فوق خسران النسيان بافساد الاستعداد الفطرى وجئنا بك شهيدا لان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله أول ما خلق الله روحى تبيانا لكل شئ يحتاج اليه السالك فى أثناء سلوكه ان الله يأمر بالعدل وهو وضع الآلات والاسباب تحصيل الكمال فى مواضعها بحيث يؤدى الى مقام الوصال والكمال والاحسان وهو أن تحسن الى الخلق بما أعطاك الله كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك وفى قوله وايتاء ذى القربى اشارة الى أن من جملة العدالة رعاية حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه ثم بما هو أقرب اليه قربا معنويا لا صوريا وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما آتاه الله فى غير مصرفها والمنكر وهو ضد المعروف وهو أن لا يحسن الى غيره والبغى وهو أن لا يراعى الترتيب المذكور فى باب الارشاد والتكميل وأوفوا بعهد الله يوم الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد المرتد أن تكون أمة هى أهل الدنيا فى الدنيا أعلى حالا من أمتهم أهل الآخرة ولا تتخذوا أيمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل أقدامكم عن صراط الطلب من ذكر أو أنثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحياة الطيبة للنفس أن تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعى الى ربك وللقلب أن يصير فانيا عن أنانيته باقيا بشهود الحق وجماله وحينئذ يطيب عن دنس الاثنينية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله ظاهرا وبالحقيقة هو لأمته لان شيطانه أسلم على يده فلم يحتج الى الاستعاذة من شيطانه بل هو وخواص أمته كقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وفيه أن الشيطان ليس له تسلط على أولياء الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المؤمن فان ابريز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن يطلع على بقايا صفات نفسه بما تكون الوسوسة من جنسه فيزيد فى الرياضة وملازمة الذكر حتى تنمحى تلك البقايا والله تعالى

أعلم بالصواب (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق
ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين
ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله

مشركون أشركوا الشيطان في أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق
قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع والذين هم به مشركون أشركوه في أعمالهم
والقول الاول أعني قول مجاهد أولى القولين في ذلك بالصواب وذلك أن الذين يتولون الشيطان انما
يشركونه بالله في عباداتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم لا أنهم يشركون بالشيطان ولو كان
معنى الكلام ما قاله الربيع لكان التنزيل الذين هم مشركوه ولم يكن في الكلام به فكان يكون لو
كان التنزيل كذلك والذين هم مشركوه في أعمالهم الا أن يوجه موجه معنى الكلام الى أن القوم
كانوا يدينون بألوهة الشيطان ويشركون الله به في عبادتهم اياه فيصح حينئذ معنى الكلام
ويخرج مما جاء التنزيل به في سائر القرآن وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن
أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا وقال في كل موضع تقدم اليهم بالزجر عن ذلك لا تشركوا
بالله شيأ ولم نجد في شيء من التنزيل لا تشركوا الله بشيء ولا في شيء من القرآن خبرا من الله عنهم أنهم
أشركوا الله بشيء فيجوز لنا توجيه معنى قوله والذين هم به مشركون الى والذين هم بالشيطان
مشركو الله فبين اذا اذ كان ذلك كذلك أن الهاء في قوله والذين هم به عائدة على الرب في قوله وعلى
ربهم يتوكلون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا
انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره واذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم
أخرى والله أعلم بما ينزل يقول والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه قالوا انما
أنت مفتر يقول قال المشركون بالله المكذبو رسوله لرسوله انما أنت يا محمد مفتر أي مكذب تخرص
بتقول الباطل على الله يقول الله تعالى بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد انما أنت مفتر جهال بأن
الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه لا يعلمون حقيقة صحته ۞ وبنحو الذي قلنا في تأويل
قوله واذا بدلنا آية مكان آية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله
عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية رفعناها فأنزلنا غيرها
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا بدلنا آية مكان
آية قال نسخناها بدلناها رفعناها وأثبتنا غيرها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله واذا بدلنا آية مكان آية هو كقوله ما ننسخ من آية أو ننسها حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر تأتي بشيء
وتنقضه فتأتي بغيره قال وهذا التبديل ناسخ ولا نبدل آية مكان آية الا بنسخ ۞ القول في تأويل
قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) يقول
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك انما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي
كتابنا أنزله روح القدس يقول قل جاء به جبرئيل من عند ربي بالحق وقد بينت في غير هذا الموضع
معنى روح القدس بما أغنى عن اعادته ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من

وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا
لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم

حنيفا وما كان من المشركين ۞ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وماصبرك الا بالله (١١٩) ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ۞ القرا آت بما ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة وعلى وخلف فتنوا مبنيا للفاعل ابن عامر والخوف بالنصب عباس ابراهام هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان فى ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك فى النمل الآخرون بالفتح ۞ الوقوف مكان آية لا لان جواب اذا هو قالوا وقوله والله أعلم بما ينزل جملة معترضة مفتر ط لا يعلمون ○ للمسلمين ○ بشر ط مبين ○ بآيات الله لا لان ما بعده خبر ان أليم ○ بآيات الله ج لاختلاف الجملتين مع العطف الكاذبون ○ غضب من الله ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ○ على الآخرة لا للعطف الكافرين ○ وأبصارهم ط لاختلاف الجملتين الغافلون ○ الخاسرون ○ وصبر والا لان ان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم ○ لا يظلمون ○ يصنعون ○ ظالمون ○ طيبا ص لعطف المتفقتين تعبدون ○ لغير الله به ج رحيم ○ على الله الكذب ط لا يفلحون ط ○ قليل ص لعطف المتفقتين ولاسيما اذا قدر لهم متاع أليم ○ من قبل ج لابتداء النفى مع العطف يظلمون ○ وأصلحوا لا لما مر رحيم ○ حنيفا ط من المشركين ○ لا لان شاكرا وصف آخر أو بدل من حنيفا الانعمه ط مستقيم ○ حسنة ط الصالحين ط ○ لان ثم لترتيب الاخبار حنيفا ط د المشركين ط ○ اختلفوا فيه ط يختلفون ○ أحسن ط بالمهتدين ○ عوقبتم به ط للصابرين ○ يمكرون ○ محسنون ○ ۞ التفسير هذا شروع فى حكاية شبهات منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان اذا أنزلت آية فيها شدة

قال ذلك حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا جعفر بن عون العمرى عن موسى بن عبيدة الربذى عن محمد بن كعب قال روح القدس جبرئيل وقوله ليثبت الذين آمنوا يقول تعالى ذكره قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس على من ربى تثبيتا للمؤمنين وتقوية لايمانهم ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه ايمانا الى ايمانهم وهدى لهم من الضلالة وبشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله وانقادوا لامره ونهيه وما أنزله فى آى كتابه فأقروا بكل ذلك وصدقوا به قولا وعملا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم انما يعلم محمدا هذا الذى يتلوه بشر من بنى آدم وما هو من عند الله يقول الله تعالى ذكره مكذبهم فى قيلهم ذلك ألا تعلمون كذب ما تقولون ان لسان الذى تلحدون اليه يقول تميلون اليه بأنه يعلم محمدا أعجمى وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذى يعلم محمدا هذا القرآن عبد رومى فلذلك قال تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين يقول وهذا القرآن لسان عربى مبين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى اسم الذى كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن من البشر فقال بعضهم كان اسمه بلعام وكان قينا بمكة نصرانيا ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائى عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة وكان أعجمى اللسان وكان اسمه بلعام فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فأنزل الله تعالى ذكره ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين * وقال آخرون اسمه يعيش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن عكرمة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما لبنى المغيرة أعجميا قال سفيان أراه يقال له يعيش قال فذلك قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر وقد قالت قريش انما يعلمه بشر عبد لبنى الحضرمى يقال له يعيش قال الله تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وكان يعيش يقرأ الكتب * وقال آخرون بل كان اسمه جبر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام نصرانى يقال له جبر عبد لبنى بياضة الحضرمى فكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتى به الا جبر النصرانى غلام الحضرمى فأنزل الله تعالى فى قولهم ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير كانوا يقولون انما يعلمه نصرانى على المروة ويعلم محمدا رومى يقولون اسمه جبر وكان صاحب كتب عبد لابن الحضرمى قال الله تعالى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى قال وهذا قول

ثم نزلت آية ألين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل (واذا بدلنا) ومعنى التبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها بآية أخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها (والله أعلم بما ينزل) شيأ فشيأ على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا أو بالعكس (بل أكثرهم لا يعلمون) فوائد النسخ والتبديل

قال أبو مسلم أراد تبديل آية مكان آية في الكتب المتقدمة مثل آية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء أطبقوا على أن المراد بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي أن القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى أخبر بتبديل الآية مكان الآية وضعف بأنه لا يلزم من وجود التبديل بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة (قل نزله) أي القرآن (روح القدس) هو جبرئيل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم (من ربك) صلة نزله أي ابتداء تنزيله من عنده وقوله (بالحق) حال أي متلبسا بالحكمة والصواب (ليثبت الذين آمنوا) كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقول كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصلاح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في أوانه وصواب بالنسبة الى المكلف حين ما يكلف به (وهدى وبشرى) معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم ثم حكى شبهة أخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلفوا في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش ويعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان الفارسي

قريش انما يعلمه بشر قال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * وقال آخرون بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جبر ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبدان من أهل عين اليمن وكانا طفلين وكان يقال لاحدهما يسار والآخر جبر فكانا يقرآن التوراة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس اليهما فقال كفار قريش انما يجلس اليهما يتعلم منهما فأنزل الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد بن عبد الله عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حصين عن عبد الله بن مسلم قال كان لنا غلامان فكانا يقرآن كتابا لهما بلسانهما فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهما فيقوم يستمع منهما فقال المشركون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى ما كذبهم به فقال لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * وقال آخرون بل كان ذلك سلمان الفارسي ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي كانوا يقولون انما يعلمه سلمان الفارسي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر قال قول كفار قريش انما يعلم محمدا عبد ابن الحضرمي وهو صاحب كتاب يقول الله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقيل ان الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله انما يعلمه بشر انما افتتن انه كان يكتب الوحي فكان يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم أو عزيز حكيم وغير ذلك من خواتم الآي ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أعزيز حكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ذلك كتبت فهو كذلك ففتنه ذلك فقال ان محمدا يكل ذلك الي فأكتب ما شئت وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة واختلف القراء في قراءة قوله يلحدون فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لسان الذي يلحدون اليه بضم الياء من ألحد يلحد الحادا بمعنى يعترضون ويعدلون اليه ويعرجون اليه من قول الشاعر

قدني من نصر الخبيبين قدي * ليس أميري بالشحيح الملحد

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لسان الذي يلحدون اليه بفتح الياء يعني يميلون اليه من لحد فلان الى هذا الامر يلحد لحدا ولحودا وهما عندي لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيه الصواب وقيل وهذا لسان عربي مبين يعني القرآن كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يعرضها الشاعر

الشاعر هذا لسان فلان تريد قصيدته كما قال الشاعر

لسان السوء تهديها الينا * وحنت وما حسبتك أن تحينا

يعني باللسان القصيدة والكلمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ يقول تعالى ان الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلته فيصدقون بما دلت عليه لا يهديهم الله يقول لا يوفقهم الله لاصابة الحق ولا يهديهم لسبيل الرشد في الدنيا ولهم في الآخرة وعند الله اذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجع ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انما أنت مفتر أنهم هم أهل الفرية والكذب لا نبي الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به وبرأ من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال انما يتخرص الكذب ويتقول الباطل الذين لا يصدقون بحجج الله وأعلامه لانهم لا يرجون على الصدق ثوابا ولا يخافون على الكذب عقابا فهم أهل الافك وافتراء الكذب لا من كان راجيا من الله على الصدق الثواب الجزيل وخائفا على الكذب العقاب الاليم وقوله وأولئك هم الكاذبون يقول والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ اختلف أهل العربية في العامل في من من قوله من كفر بالله ومن قوله ولكن من شرح بالكفر صدرا فقال بعض نحويي البصرة صار قوله فعليهم خبرا لقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه فأخبر لهم بخبر واحد وكان ذلك يدل على المعنى * وقال بعض نحويي الكوفة انما هذان جزا آن اجتمعا أحدهما منعقد بالآخر فجوابهما واحد كقول القائل من يأتنا فمن يحسن نكرمه بمعنى من يحسن ممن يأتنا نكرمه قال وكذلك كل جزاءين اجتمعا الثاني منعقد بالاول فالجواب لهما واحد * وقال آخر من أهل البصرة بل قوله من كفر بالله مرفوع بالرد على الذين في قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ومعنى الكلام عنده انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره من هؤلاء وقلبه مطمئن بالايمان وهذا قول لا وجه له وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افترى الكذب في هذه الآية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ولم يؤمنوا قط وخص به الذين قد كانوا آمنوا في حال ثم راجعوا الكفر بعد الايمان والتنزيل يدل على أنه لم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين الذين كانوا على الشرك مقيمين وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراء الكذب فقال واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون وكذب جميع المشركين بافترائهم على الله وأخبر أنهم أحق بهذه الصفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد ايمانهم وجب أن يكون القائلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت مفتر حين بدل الله آية مكان آية كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الايمان خاصة دون غيرهم من سائر

ثم أجاب عن شبهتهم فقال مستأنفا (لسان الذى) واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذى (يلحدون) يميلون قولهم عن الاستقامة (اليه) لسان (أعجمى) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة وقد مر فى آخر الاعراف أن تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها قال أبو الفتح الموصلى تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه والعجماء البهيمة وصلاة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية وأعجمت الكتاب أى أزلت عجمته ثم ان العرب تسمى كل من لا يعرف لسانهم ولا يتكلم بلغتهم أعجميا وقالوا زياد الأعجم لانه كان فى لسانه عجمة مع أنه كان عربيا وحاصل الجواب هبوا أن محمدا يتعلم المعانى من ذلك الرجل الا أنه لا يقدح فى المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية أيضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) يعنى أن سبب عدم ايمانهم هو أن الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بأن الله لا يهديهم الى طريق الجنة بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب أصول المعتزلة فلا أدرى كيف مال اليه ثم لما بين أنهم ليسوا مظاهر اللطف وكان قد بنى الامر فى جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من أنه يتعلم من ذلك البشر أراد أن يبين أن الذى قالوا غير صحيح ولا صادق فى نفس الامر فقال (انما يفترى الكذب) وفيه أيضا رد لقولهم انما أنت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء (وأولئك) اشارة الى قريش أو الى الذين لا يؤمنون أى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أى هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو هم الذين من شأنهم الكذب وذلك هجيراهم لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر ومما دل على كذبهم عقلا أنهم أعداء له وكلام العدا ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم وأيضا

ان أمر التعليم والتعلم لا يتم فى مجلس واحد ولكنه يحتاج الى أزمنة متمادية ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وأيضا ان العلوم الموجودة فى القرآن كثيرة والمعلم يجب أن يكون أعلى حالا من المتعلم فلو كان مثل هذا العالم الذى يتعلم منه مثل النبى صلى الله عليه وسلم موجودا فى ذلك العصر لم يخف حاله ومال الناس اليه دون النبى قال بعض علماء المعانى عطف الجملة الاسمية التى هى قوله وأولئك هم

المشركين لان هذه فى سياق الخبر عنهم وذلك قول ان قاله قائل فبين فساده مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل والصواب من القول فى ذلك عندى أن الرافع لمن الاولى والثانية قوله فعليهم غضب من الله والعرب تفعل ذلك فى حروف الجزاء اذا استأنفت أحدهما على الآخر وذكر أن هذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم فثبت على الاسلام بعضهم وافتتن بعض ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان الى آخر الآية وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه ثم تركوه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى لقى من قريش والذى قال فأنزل الله تعالى ذكره عذره من كفر بالله من بعد ايمانه الى قوله ولهم عذاب عظيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ذكر لنا أنها نزلت فى عمار بن ياسر أخذه بنو المغيرة فغطوه فى بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فأنزل الله تعالى ذكره الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا أى من أتى الكفر على اختيار واستحباب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن أبى عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى باراهم فى بعض ما أرادوا فشكا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان قال النبى صلى الله عليه وسلم فان عادوا فعد **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال نزلت فى عمار ابن ياسر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال لما عذب الأعبد أعطوهم ما سألوا الا خباب بن الارت كانوا يضجعونه على الرضف فلم يستقلوا منه شيأ فتأويل الكلام اذا من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان موقن بحقيقته صحيح عليه عزمه غير مفسوح الصدر بالكفر لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الايمان وباح به طائعا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك ورد الخبر عن ابن عباس **حدثنى** على بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد ايمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالايمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لان الله سبحانه انما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) يقول تعالى ذكره حل بهؤلاء المشركين غضب الله ووجب لهم العذاب العظيم من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ولان الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع اصرارهم على جحودها ۞ القول فى تأويل

الكاذبون على ما قبلها وهى فعلية دالة على أن من أقدم على الكذب فانه دخل فى الكفر تنبيها على أن صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما تقول كذبت وأنت كاذب زيادة فى الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء أعظم من انكار الالهية والنبوة روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته أراد أن يفرق بين الكفر اللسانى وحده وبين اللسانى المنضم اليه القلبى فقال (من كفر بالله) اختلف العلماء فى اعرابه فالاكثرون على أنه بدل اما من الذين لا يؤمنون بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفترى الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب منه نفسا واعتقده (فعليهم غضب) واما من المبتدا الذى هو أولئك أو من الخبر الذى هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم أى أخص وأعنى من كفر وجوز بعضهم أن تكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء المكره من الكافر مع أنه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت فى عمار بن ياسر وذلك أن المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك أسلمت من أجل الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين فى الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم

قوله تعالى ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم فختم عليها بطابعه فلا يؤمنون ولا يهتدون وأصم أسماعهم فلا يسمعون داعي الله الى الهدى وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله ابصار معتبر ومتعظ وأولئك هم الغافلون يقول وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الافعال هم الساهون عما أعد الله لامثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم وقوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون الهالكون الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم ان ربك يا محمد للذين هاجروا ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين وانتقلوا عنهم الى ديار أهل الاسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله وصبروا على جهادهم ان ربك من بعدها لغفور رحيم يقول ان ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور يقول لذو ستر على ما كان منهم من اعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم وهم لغيرها مضمرون وللايمان معتقدون رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع انابتهم الى الله وتوبتهم وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم فأيسوا من التوبة فأنزل الله فيهم هذه الآية فهاجروا ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان قال ناس من أهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن هاجروا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم وكفروا مكرهين ففيهم نزلت هذه الآية حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج قال الله تعالى ذكره من كفر بالله من بعد ايمانه ثم نسخ واستثنى فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ذكر لنا أنه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك تبايعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال

ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال صلى الله عليه وسلم ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فمن هنا حكم العلماء بأن الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الاكراه أن يعذبه بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الايلامات القوية وأجمعوا على أن قلبه عند ذلك يجب أن يكون متبرئا عن الرضا بالكفر وأن يقتصر على التعريض ما أمكن مثل أن يقول ان محمدا كذاب يعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا أعجله من أكرهه عن احضار هذه النية أو لأنه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير تورية وطلب منه أن يقول لا أريد بقلبي سوى ما أذكره بلساني فههنا يتعين اما الكذب واما توريط النفس للعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب حينئذ ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها أن يجب الفعل المكره عليه كما لو أكرهه على شرب الخمر وأكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم اضرار بالغير ولا اهانة لحق الله ومنها أن يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو أكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روي أن بلالا صبر على العذاب وكان يقول أحد أحد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما فعلت بل عظمه ولان في ترك التقية والصبر على القتل أو التعذيب اعزاز الاسلام ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا أكره على قتل انسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الأصلية وحينئذ لو قتل فللعلماء قولان أحدهما لا يلزم القصاص وبه قال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه

لانه قتله دفعا عن نفسه فأشبه قتل الصائل ولانه كالآلة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال أحمد والشافعي في أصح قوليه ان عليه القصاص لانه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كالوقتل المضطر انسانا فأكله ومن الافعال مالا يمكن الاكراه عليه وهو الزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فلو دخل الزنا في الوجود علم أنه وقع بالاختيار لا بالاكراه

ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم وقتل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى آخر الآية قال وكتب الى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لاعذر لهم قال فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم ثم نجا من نجا وقتل من قتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح ذكر من قال ذلك حدثني ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا في سورة النحل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ثم نسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل يوم فتح مكة فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لايظلمون) يقول تعالى ذكره ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو ايمان أو كفر وتوفى كل نفس ماعملت في الدنيا من طاعة ومعصية وهم لايظلمون يقول وهم لا يفعل بهم الا مايستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر فلا يجزى المحسن الا بالاحسان ولا المسيء الا بالذي أسلف من الاساءة لايعاقب محسن ولا يبخس جزاء احسانه ولا يثاب مسيء الا ثواب عمله واختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله قيل تجادل فأنث الكل فقال بعض نحويي البصرة قيل ذلك لان معنى كل نفس كل انسان وأنث لان النفس تذكر وتؤنث يقال ماجاءني نفس واحد وواحدة وكان بعض أهل العربية يرى هذا القول من قائله غلطا ويقول كل اذا أضيفت الى نكرة واحدة خرج الفعل على قدر النكرة كل امرأة قائمة وكل رجل قائم وكل امرأتين قائمتان وكل رجلين قائمان وكل نساء قائمات وكل رجال قائمون فيخرج على عدد النكرة وتأنيثها وتذكيرها ولاحاجة به الى تأنيث النفس وتذكيرها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) يقول الله تعالى ذكره ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويسبي بعضها بعضا وأهل مكة لايغار عليهم

والاصح أن الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط حينئذ وعن أبي حنيفة أنه ان أكرهه السلطان لم يجب الحد وان أكرهه بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على أن محل الايمان هو القلب فهو اما الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز وأصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة ولبناء الكلام على الابهام ثم التفسير قوله (ذلك بأنهم) أي ذلك الارتداد بسبب أنهم رجحوا (الدنيا على الآخرة) ولاجل أنه تعالى ماهداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيره بين الاشاعرة والمعتزلة قد مر في أول سورة البقرة وفي غيرها فلاحاجة الى الاعادة (وأولئك هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب (لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) وقال في أوائل سورة هود هم الأخسرون لان أولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الأخسرون وهؤلاء صدوا بأنفسهم فهم الخاسرون ويمكن أن يقال ان ماقبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على ألف قبلها مثل يبصرون يفترون ولا وفي هذه السورة اعتمدت على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من أكره نبه بحال من هاجر من بعد مافتن قال جار الله معنى (ثم ان ربك) تباعد حال هؤلاء من حال عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لا عليهم فنصرهم

ولا يحاربون في بلدهم فذلك كان أمنها وقوله مطمئنة يعني قارة بأهلها لا يحتاج أهلها الى النجع كما كان سكان البوادي يحتاجون اليها يأتيها رزقها رغدا يقول يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة وقوله من كل مكان يعني من كل فج من فجاج هذه القرية ومن كل ناحية فيها وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذكرت في هذا الموضع أريد بها مكة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان يعني مكة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قرية كانت آمنة مطمئنة قال مكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة قال ذكر لنا أنها مكة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قرية كانت آمنة قال هي مكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى آخر الآية قال هذه مكة * وقال آخرون بل القرية التي ذكر الله في هذا الموضع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد قال ثني عبد الرحمن بن شريح أن عبد الكريم بن الحرث الحضرمي حدثه أنه سمع مشرح بن عاهان يقول سمعت سليم بن عتر يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل حتى رأت راكبين فأرسلت اليهما تسألهما فقالا قتل فقالت حفصة والذي نفسي بيده انها القرية تعني المدينة التي قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله قرأها قال أبو شريح وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عمن حدثه أنه كان يقول انها المدينة وقوله فكفرت بأنعم الله يقول فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها واختلف أهل العربية في واحد الأنعم فقال بعض نحويي البصرة جمع النعمة على أنعم كما قال الله حتى اذا بلغ أشده فزعم أنه جمع الشدة وقال آخر منهم الواحد نعم وقال يقال أيام طعم ونعم أي نعيم قال فيجوز أن يكون معناها فكفرت بنعيم الله لها واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وعندي قروض الخير والشر كله * فبؤس لذي بؤس ونعم بأنعم

وكان بعض أهل الكوفة يقول أنعم جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس وضراء وأضر فأما الاشد فانه زعم أنه جمع شد وقوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف يقول تعالى ذكره فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العلهز والجيف قال أبو جعفر والعلهز الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه وأما الخوف فان ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تطيف بهم وقوله بما كانوا يصنعون

ولا يخذلهم ويحتمل أن يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير إن لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهه أن فتن وافتتن بمعنى واحد والمراد أن أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم لأن الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد أو أراد أن أكابر المشركين الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد أن المستضعفين المعذبين الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول ثم أسلموا وهاجروا فنزلت الآية فيهم فمعنى ثم تبعيد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في أمر الرسول الا أنه سبحانه بكرمه يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله ابن أبي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح لو جعلنا الآية مدنية ومثله ما روي عن قتادة أنه لما أنزل الله ان أهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة الى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فان لحق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزلت هذه الآية والضمير في قوله (من بعدها) يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل أن الآية اما نازلة فيمن عذب فلم يرتد ومع ذلك هاجر وجاهد واما نازلة فيمن أظهر الكفر تقية فبين تعالى ان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعده الله المغفرة

والرحمة قال الزجاج (يوم تأتي) منصوب بقوله رحيم أو باضمار اذكر أو ذكرهم وأنذرهم ومعنى الآية ظاهر الا أن في قوله (عن نفسها)
اشكالا من حيث اضافته النفس الى ضمير النفس وأجيب بأن المراد بالنفس الاولى جملة بدن الحي و بالنفس الثانية الذات فكأنه قيل يوم
يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا
مشركين ونحو ذلك عن بعضهم تزفر
جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا
نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول
يارب نفسي حتى ان ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ثم
أوعد الكفار بآفات الدنيا أيضا
فقال (وضرب الله مثلا قرية)
يحتمل أن تكون مقدرة وأن
تكون معينة موجودة اما مكة أو
غيرها وذهب كثير من المفسرين الى
أنها مكة والأقرب أنها غيرها لأن
مثل مكة يكون غير مكة فضربها
الله مثلا لمكة انذارا من مثل
عاقبتها قال العقلاء ثلاثة ليس لها
نهاية الامن والصحة والكفاية
فوصف الله تعالى تلك القرية
بالامن ثم بالاطمئنان اشارة الى أن
هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم
لامزجة أهله حتى اطمأنوا
واستقروا ولم يحوجوا الى الانتقال
طلبا للصحة ثم قال (يأتيها رزقها رغدا
من كل مكان) دلالة على حصول
الكفاف لهم بأيسر وجه قال في
الكشاف الأنعم جمع نعمة على
ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع
أو جمع نعم كبؤس وأبؤس قلت
لعله حمله على ذلك طلب الضبط والا
فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا
أطلق الاكثرون أن جمع فعلة
يجيء على أفعل فيقال انما ذكر
جمع القلة تنبيها بالادنى على الاعلى
يعني أن كفران النعمة القليلة
يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لأهل مكة كانوا في الامن
والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بها وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم
البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز والفرو وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث اليهم السرايا فيغيرون

يقول بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله و يجحدون آياته و يكذبون رسوله وقال بما كانوا
يصنعون وقد جرى الكلام من ابتداء الآية الى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية لان الخبر وان
كان جرى في الكلام عن القرية استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها فان
المراد أهلها فلذلك قيل بما كانوا يصنعون فرد الخبر الى أهل القرية وذلك نظير قوله فجاءها بأسنا
بياتا أوهم قائلون ولم يقل قائلة وقد قال قبله فجاءها بأسنا لانه رجع بالخبر الى الاخبار عن أهل
القرية ونظائر ذلك في القرآن كثيرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف
الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية رسول منهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم يقول من أنفسهم يعرفونه و يعرفون نسبه وصدق لهجته يدعوهم الى الحق والى طريق
مستقيم فكذبوه ولم يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله فأخذهم العذاب وذلك لباس الجوع
والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه وقتل بالسيف
وهم ظالمون يقول وهم مشركون وذلك أنه قتل عظماؤهم يوم بدر بالسيف على الشرك و بنحو
الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة ولقد جاءهم رسول منهم إي والله يعرفون نسبه وأمره فكذبوه فأخذهم العذاب
وهم ظالمون فأخذهم الله بالجوع والخوف والقتل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون﴾ يقول تعالى ذكره فكلوا
أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الانعام التي أحلها لكم حلالا طيبا مذكاة غير محرمة عليكم
واشكروا نعمة الله يقول واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحل لكم من ذلك
وعلى غير ذلك من نعمه ان كنتم اياه تعبدون يقول ان كنتم تعبدون الله فتطيعونه فيما يأمركم
وينهاكم وكان بعضهم يقول انما عنى بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا طعاما كان بعث به
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين من قومه في سني الجدب والقحط رقة عليهم فقال الله
تعالى للمشركين فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذي بعث به اليكم حلالا طيبا وذلك تأويل بعيد
مما يدل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم
الآية والتي بعدها فبين بذلك أن قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اعلام من الله عباده أن
ما كان المشركون يحرمونه من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما قد بينا قبل فيما مضى
لا معنى له اذ كان ذلك من خطوات الشيطان فان كل ذلك حلال لم يحرم الله منه شيأ ۞ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا المشركين الذين كانوا يحرمون ما ذكرنا
من البحائر وغير ذلك ما حرم الله عليكم أيها الناس الا الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح للانصاب
فسمي عليه غير الله لان ذلك من ذبائح من لا يحل أكل ذبيحته فمن اضطر الى ذلك أو الى شيء منه
لمجاعة حلت فأكله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم يقول ذو ستر عليه أن يؤاخذه بأكله ذلك
في حال الضرورة رحيم به أن يعاقبه عليه وقد بينا اختلاف المختلفين في قوله غير باغ ولا عاد
والصواب

والصواب عندنا من القول فى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما حرم عليكم الميتة والدم الآية قال وان الاسلام دين مطهر طهره الله من كل سوء وجعل لك فيه يا ابن آدم سعة اذا اضطررت الى شىء من ذلك قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد غير باغ فى أكله ولا عاد أن يتعدى حلالا الى حرام وهو يجد عنه مندوحة ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب فتكون تصف الكذب بمعنى ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب فتكون ما بمعنى المصدر وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا بخفض الكذب بمعنى ولا تقولوا للكذب الذى تصفه ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام فيجعل الكذب ترجمة عن ما التى فى لما فتخفضه بما تخفض به ما وقد حكى عن بعضهم لما تصف ألسنتكم الكذب برفع الكذب فيجعل الكذب من صفة الالسنة و يخرج على فعل على أنه جمع كذوب وكذب مثل شكور وشكر ❁ والصواب عندى من القراءة فى ذلك نصب الكذب لاجماع الحجة من القراء عليه فتأويل الكلام اذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم هذا حلال وهذا حرام كى تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذب فان الله لم يحرم من ذلك ما تحرمون ولا أحل كثيرا مما تحلون ثم تقدم اليهم بالوعيد على كذبهم عليه فقال ان الذين يفترون على الله الكذب يقول ان الذين يتخرصون على الله الكذب و يختلقونه لا يخلدون فى الدنيا ولا يبقون فيها انما يتمتعون فيها قليلا وقال متاع قليل فرفع لان المعنى الذى هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل أولهم متاع قليل فى الدنيا وقوله ولهم عذاب أليم يقول ثم الينا مرجعهم ومعادهم ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون عذاب عند مصيرهم اليه أليم ❁ و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فى البحيرة والسائبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال البحائر والسوائب ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره وحرمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل فى سورة الانعام وذلك كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وما ظلمناهم بتحريمنا ذلك عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم وظلمهم أنفسهم بمعصية الله فأورثهم ذلك عقوبة الله ❁ و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وعلى الذين

عليهم نقل أن ابن الراوندى قال لابن الاعرابى الاديب هل يذاق اللباس قال ابن الاعرابى لابأس أيها النسناس هب أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان نبيا أما كان عربيا كأنه طعن فى الآية أن المناسب هو أن لو قيل فكساها الله لباس الجوع أو فأذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابى والذى أجاب به علماء البيان أن هذا من تجريد الاستعارة وذلك أنه استعار اللباس لما غشى الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد سلف منا تقرير هذا الاصطلاح فى المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا أن للتجريد ترجيحا من حيث انه روعى جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان أصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف والاختبار فتقول أناظر فلانا فأذوق ما عنده

شعر

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها

فعنى ذقت لباس الجوع والخوف على فلان تعرفت ما ظهر عليه من الضمور وشحوبة اللون وتغير الحال وكسوف البال ففحوى الآية عرفها الله أثر لباس الجوع وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبى صلى الله عليه وسلم من التكذيب والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات أجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيها على أن المراد فى الحقيقة أهلها ولما ذكر المثل ذكر الممثل فقال (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم) متلبسون بالظلم قال ابن عباس يعنى بالعذاب الجوع الذى كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس أولى والمراد أن ذلك الجوع بسبب كفركم

واتركوا الكفر (فكلوا مما رزقكم الله) من الغنائم فأكل الغنائم مسبب عن ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الحمل فحمل الطعام اليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بأنه تعالى قال بعد

هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن عكرمة في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال في سورة الانعام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل قال ما قص الله تعالى في سورة الانعام حيث يقول وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره ان ربك للذين عصوا الله بجهالة بركوبهم ما ركبوا من معصية الله وسفههم بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها والاستغفار والتوبة منها من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية وأصلح فعمل بما يحب الله ويرضاه ان ربك من بعدها يقول ان ربك يا محمد من بعد توبتهم له لغفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره ان ابراهيم خليل الله كان معلم خير يأتم به أهل الهدى قانتا يقول مطيعا لله حنيفا يقول مستقيما على دين الاسلام ولم يك من المشركين يقول ولم يك يشرك بالله شيأ فيكون من أولياء أهل الشرك به وهذا اعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن ابراهيم منهم بريء وأنهم منه برآء شاكرا لأنعمه يقول كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكا من الآلهة والانداد وغير ذلك كما يفعل مشركو قريش اجتباه يقول اصطفاه واختاره لخلته وهداه الى صراط مستقيم يقول وأرشده الى الطريق المستقيم وذلك دين الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية ۞ وبنحو الذي قلنا في معنى أمة قانتا قال أهل التأويل ۞ ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين أنه جاء الى عبد الله فقال من نسأل اذا لم نسألك فكأن ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الأمة قال الذي يعلم الناس الخير حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الامة القانت قال الامة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن منصور يعني ابن عبد الرحمن عن الشعبي قال ثني فروة بن نوفل الاشجعي قال قال ابن مسعود ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقلت في نفسي غلط أبو عبد الرحمن انما قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال تدري ما الامة وما القانت قلت الله أعلم قال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكذلك كان معاذ بن جبل كان يعلم الخير وكان مطيعا لله ولرسوله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت فراسا يحدث عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال ان معاذا كان أمة قانتا لله قال فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل نسي انما ذاك ابراهيم قال فقال عبد الله من نسي انما كنا نشبهه بابراهيم قال وسئل عبد الله عن الامة فقال معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبي

ذلك انما حرم عليكم الميتة والمراد أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم أو أنه سبحانه أعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة والانعام وفي هذه السورة قطعا للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان عنها كتحليل الميتة والدم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف ألسنتكم وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية أيضا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحلوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة ودليل ويجوز أن تكون ما موصولة أي ولا تقولوا للذي تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كأن ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله (لتفتروا) لام العاقبة لا الغرض والمقصود من ذكره بيان أنه كذب على الله فان قوله لما تصف ألسنتكم الكذب عن لم يكن فيه هذا البيان ثم أوعد المفترين بقوله (ان الذين يفترون) الآية وقوله (متاع) قال الزجاج أي متاعهم وعن ابن عباس أراد أن متاع كل الدنيا قليل والمعنى أن منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية أو أن نعيم الدنيا كلها زائل عنهم عما قريب ويبقى العقاب

الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال (وما ظلمناهم) كقوله هنالك ذلك جزيناهم ببغيهم ثم بين أن الافتراء على الله ومخالفة أمره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله (بجهالة) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متأملين في وخامة عاقبته لغلبة الشهوة عليهم (ان ربك من بعدها) من بعد تلك السيئة أو التوبة أو الجهالة ولما بالغ في ابطال

عن مسروق قال قرأت عند عبد الله هذه الآية ان ابراهيم كان أمة قانتا لله فقال كان معاذ أمة قانتا قال هل تدري ما الامة الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت الذي يطيع الله ورسوله حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا بيان بن بشر البجلي عن الشعبي قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين فقال له رجل نسيت قال لا ولكنه شبيه ابراهيم والامة معلم الخير والقانت المطيع حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن عون عن الشعبي في قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال مطيعا حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال قال عبد الله ان معاذا كان أمة قانتا معلم الخير وذكر في الامة أشياء مختلف فيها قال وادكر بعد أمة يعني بعد حين وأمة وسطا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن سعيد بن سابق عن ليث عن شهر بن حوشب قال لم تبق الارض الا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الارض وتخرج بركتها الا زمن ابراهيم فانه كان وحده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبي * قال وأخبرنا زكريا ومجالد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود نحو حديث يعقوب عن ابن علية وزاد فيه الامة الذي يعلم الخير ويؤتم به ويقتدى به والقانت المطيع لله وللرسول قال له أبو فروة الكندي انك وهمت حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان ابراهيم كان أمة على حدة قانتا لله قال مطيعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال مطيعا لله في الدنيا * قال ابن جريج وأخبرني عمرو عن سعيد بن جبير أنه قال قانتا مطيعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله قال كان امام هدى مطيعا تتبع سنته وملته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن ابن مسعود قال ان معاذ بن جبل كان أمة قانتا قال غير قتادة قال ابن مسعود هل تدرون ما الأمة الذي يعلم الخير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق قال قرأت عند عبد الله بن مسعود ان ابراهيم كان أمة قانتا فقال ان معاذا كان أمة قانتا قال فأعادوا فأعاد عليهم ثم قال أتدرون ما الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت الذي يطيع الله وقد بينا معنى الامة ووجوهها ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه في غير هذا الموضع من كتابنا بشواهده فأغنى بذلك عن اعادته في هذا الموضع

القول في تأويل قوله تعالى (وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين) يقول تعالى ذكره وآتينا ابراهيم على قنوته لله وشكره له على نعمه واخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرا حسنا وثناء جميلا باقيا على الايام وانه في الآخرة لمن الصالحين يقول وانه في الدار الآخرة يوم القيامة لمن صلح أمره وشأنه عند الله وحسنت فيها منزلته وكرامته وبنحو الذي قلنا في ذلك

مذاهب المشركين وفي الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم رئيس الموحدين وقدوة أكابر النبيين ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة قائلا (ان ابراهيم كان أمة) أي هو وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه أمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه وحده وقيل أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه أفعال الخير أو بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب لانه حصل لأمته الامتياز عن سواهم (قانتا لله) قائما بما أمره الله وعن ابن عباس مطيعا لله (حنيفا) مائلا الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس المراد أنه أول من اختتن وأقام مناسك الحج وضحى (ولم يك من المشركين) قط لا في الصغر ولا في الكبر (شاكرا لأنعمه) وان كانت قليلة فضلا عن النعم الكثيرة يروى أنه كان لا يتغدى

الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) عن قتادة هي أن الله تعالى حببه الى أهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) في أعلى مقاماتهم

من الجنة تحقيقا لدعائه والحقني بالصالحين قال في الكشاف معنى ثم في قوله (ثم أوحينا اليك) تبعيد هذا النعت من بين سائر النعوت التي أثنى الله بها على ابراهيم ليعلم أن أجل ما أوتي خليل الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال أهل النظم كان لسائل أن يسأل لم اختار اليهود السبت مع أن ابراهيم كان اختار الجمعة فأجاب الله سبحانه بقوله (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) فاختاره بعضهم للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن أبي صالح عن

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتيناه في الدنيا حسنة قال لسان صدق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه في الدنيا حسنة فليس من أهل دين الا يتولاه ويرضاه * القول في تأويل قوله تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أوحينا اليك يا محمد وقلنا لك اتبع ملة ابراهيم الحنيفية المسلمة حنيفا يقول مسلما على الدين الذي كان عليه ابراهيم بريأ من الاوثان والانداد التي يعبدها قومك كما كان ابراهيم تبرأ منها وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يقول تعالى ذكره ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت الا على الذين اختلفوا فيه فقال بعضهم هو أعظم الايام لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت * وقال آخرون بل أعظم الايام يوم الأحد لانه اليوم الذي ابتدأ فيه في خلق الاشياء فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فرض الله عليهم تعظيمه واستحلوه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اتبعوه وتركوا الجمعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما جعل السبت قال أرادوا الجمعة فأخطؤا فأخذوا السبت مكانه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه استحله بعضهم وحرمه بعضهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك وسعيد بن جبير انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال باستحلالهم يوم السبت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال كانوا يطلبون يوم الجمعة فأخطؤه وأخذوا يوم السبت فجعله عليهم وقوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم اليه يوم القيامة فيقضي بينهم في ذلك وفي غيره مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاءه والمخطئ فيه منهم ما هو أهله * القول في تأويل قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى ذكره

ابن عباس أنه قال أمرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة أيام يوما واحدا فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة أيضا فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول الاول بأن اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغة ويمكن أن يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الاختلاف * سؤال النصارى يقولون ان يوم الاحد مبتدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه أهل الملل أنه تعالى خالق العالم في ستة أيام أولها الاحد فجعله عيدا معقول واليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي قد فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فما وجه جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو أن يوم الجمعة يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا أولى ثم أوعد اليهود بقوله (وان ربك ليحكم) الخ ولما أمر محمدا باتباع ابراهيم صلى الله عليه وسلم بين وجه المتابعة فقال (ادع الى سبيل ربك) الآية وفيه أن طريقة ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الدعوة كانت هكذا وتقرير ذلك أن الداعي الى مذهب ونحلة لا بد أن يكون قوله مبنيا على حجة وهي اما أن تكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة

ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع يا محمد من أرسلك اليه ربك بالدعاء الى طاعته الى سبيل ربك يقول الى شريعة ربك التى شرعها لخلقه وهو الاسلام بالحكمة يقول بوحى الله الذى يوحيه اليك وكتابه الذى ينزله عليك والموعظة الحسنة يقول وبالعبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله كالتى عدد عليهم فى هذه السورة من حججه وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه وجادلهم بالتى هى أحسن يقول وخاصمهم بالخصومة التى هى أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الاذى ولا تعصه فى القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجادلهم بالتى هى أحسن أعرض عن أذاهم اياك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين فى السبت وغيره من خلقه وحاد الله وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق وهو مجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين وان عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم فعاقبوه بمثل الذى نالكم به ظالمكم من العقوبة ولئن صبرتم عن عقوبته واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم ووكلتم أمره اليه حتى يكون هو المتولى عقوبته لهو خير للصابرين يقول للصبر عن عقوبته بذلك خير لاهل الصبر احتسابا وابتغاء ثواب الله لان الله يعوضه من الذى أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه اياه من لذة الانتصار وهو من قوله لهو كناية عن الصبر وحسن ذلك وان لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله ولئن صبرتم عليه * وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية وقيل هى منسوخة أو محكمة فقال بعضهم نزلت من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقسموا حين فعل المشركون يوم أحد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم أن يجاوزوا فعلهم فى المثلة بهم ان رزقوا الظفر عليهم يوما فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية وأمرهم أن يقتصروا فى التمثيل بهم ان هم ظفروا على مثل الذى كان منهم ثم أمرهم بعد ذلك بترك التمثيل وايثار الصبر عنه بقوله واصبر وما صبرك الا بالله فنسخ بذلك عندهم ما كان أذن لهم فيه من المثلة

ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد لئن ظهرنا عليهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين قالوا بل نصبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر قال لما رأى المسلمون ما فعل

احتمال النقيض واما أن تكون مفيدة للظن القوى والاقناع التام والا لم يكن ملتفتا اليها فى العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج حينئذ الى الزامه وافحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور أو مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله (بالحكمة) اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما تكون مع الطالبين البالغين فى الاستعداد الى درجة الكمال وقوله (والموعظة الحسنة) اشارة الى استعمال الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة وأهل هذه المكالمة أقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا أنهم باقون على الفطرة الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان ولكن الداعى قد يضطر مع الخصم الألد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله (وجادلهم بالتى) أى بالطريقة التى هى أحسن فكان طريق الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعى اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعى محقا وغرضه صحيحا فان كان مبطلا وأراد تغليط السامع لم يكن جداله حسنا ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغى أن يتصور تفسير هذه الآية فان كلام المفسرين الظاهريين فيه غير مضبوط وجوز فى الكشاف أن يريد القرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الهداية والرشد ليس الى النبى وانما ذلك الى الله تعالى فقال (ان ربك هو أعلم) الآية أى هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها وعن جعل الدعوة سببا لسعادتها أو واسطة لشقائها ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المألوف والفطام منه شديد وربما تنجر المقاولة الى المقاتلة فحينئذ أمر الداعى وأتباعه برعاية العدل والانصاف فى حال القتال قائلا (وان عاقبتم) أى ان رغبتم فى استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والآية عامة وقد يخصصها رواة أسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير ممثول به الا حنظلة

ابن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به ان أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده قاله ابن عباس فى رواية عطاء وأبى بن كعب ومن هذا ذهبوا الى أن خواتيم سورة النحل مدنية ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم أمر الله تعالى

المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون وقطع المذاكير والمثلة السيئة قالوا لئن أظفرنا الله بهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل الله فيهم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهى مكية الا ثلاث آيات فى آخرها نزلت فى المدينة بعد أحد حيث قتل حمزة ومثل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم فلما سمع المسلمون ذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الى آخر السورة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال المسلمون يوم أحد(١) فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى قوله لهو خير للصابرين ثم قال بعد واصبر وما صبرك الا بالله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما أصيب فى أهل أحد المثل فقال المسلمون لئن أصبناهم لنمثلن بهم فقال الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ثم عزم وأخبر فلا يمثل فنهى عن المثل قال مثل الكفار بقتلى أحد الا حنظلة بن الراهب كان الراهب أبو عامر مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك * وقال آخرون نسخ ذلك بقوله فى براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قالوا وانما قال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به خبرا من الله للمؤمنين أن لا يبدؤهم بقتال حتى يبدؤهم به فقال وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال هذا خبر من الله نبيه أن يقاتل من قاتله قال ثم نزلت براءة وانسلاخ الاشهر الحرم قال فهذا من المنسوخ * وقال آخرون بل عنى الله تعالى بقوله واصبر وما صبرك الا بالله نبى الله خاصة دون سائر أصحابه فكان الامر بالصبر له عزيمة من الله دونهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قال أمرهم الله أن يعفوا عن المشركين فأسلم رجال لهم منعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب فنزل القرآن وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر أنت يا محمد ولا تكن فى ضيق ممن ينتصر وما صبرك الا بالله ثم نسخ هذا وأمره بجهادهم فهذا كله منسوخ * وقال آخرون لم يعن بهاتين الآيتين شئ مما ذكر هؤلاء وانما عنى بهما أن من ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه وقالوا الآية محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن خالد عن ابن سيرين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل

(١) أى مقالهم السابق لئن ظهرنا الخ فتنبه كتبه مصححه

أن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد والنخعى وابن سيرين انه نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفى قوله وان عاقبتم رمز الى أن الاولى له أن لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح قائلا (ولئن صبرتم لهو خير) أى صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء من الله عليهم أو وصفا لهم بالصفة التى تحصل لهم أو جنس الصبر خير (للصابرين) من جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال (واصبر) ثم ذكر ما يفيد سهولة الصبر على النفس فقال (وما صبرك الا بالله) أى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلى مفيد للصبر وأما السبب الجزئى القريب فذلك قوله (ولا تحزن عليهم ولا تك) وذلك أن اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وانه لا يهيج الا عند فوات نفع وأشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم قيل أى على قتلى أحد وقيل على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين والا حين توقع مكروه فى المستقبل وأشار الى ذلك بقوله (ولا تك فى ضيق) من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذى يتجمع عليه أمن الالباس لان الضيق وصف فهو يكون فى الانسان ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة أخرى وهى أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على أنه مصدر أيضا وعلى أنه تخفيف ضيق فعناه فى أمر ضيق واعالم يقل ولا تكن بالنون كما فى آخر النمل موافقة لما قبله ولم يك من المشركين ولان الحزن ههنا أكثر بناء على أنها وردت فى قتل حمزة فبولغ بالحذف فى النهى عن الحزن ثم ختم السورة بآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال

(ان الله مع الذين اتقوا) المعاصي كلها (والذين هم محسنون) في الطاعات بأن يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون في ترك أصل الانتقام فان أردت أن أكون معك بالنصر والتأييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ

كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له أوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي أوصيكم بخواتيم سورة النحل ﴿ التأويل واذا بدلنا آية الآية تعالى يعالج بدواء القرآن أمراض القلوب في كل وقت بنوع آخر على حسب ما يعلمه من المصالح فلذلك قال والله أعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب ومعالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر فيه انكار أن طب القلوب وعلاجها من شأن البشر بنظر العقل لانه مبني على معرفة الامراض وكميتها وكيفيتها ومعرفة الأدوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة الأمزجة واختلاف أحوالها وأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر يلحدون اليه أعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله أسراره وحقائقه والعربي ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب لان الافتراء من شأن النفس الامارة الكافرة التي لا تؤمن بآيات الله وأولئك هم الكاذبون أي هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا أنه لا يصر على ذلك وهكذا في جميع المعاصي ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى أصله قال النبي صلى الله عليه وسلم ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله من بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد بنسيم روائح نفحات الحق مشام قلبه عند هبوبه واصطكاك أهوية عوالم الباطن وانخراق سحب البشرية فلمع له برق أضاءت به آفاق سماء القلب وأشرقت أرض النفس فآمن بحقيقة الطلب واحتمال التعب

ما عوقبتم به يقول ان أخذ منك رجل شيأ فخذ منه مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن ابراهيم قال ان أخذ منك شيأ فخذ منه مثله قال الحسن قال عبد الرزاق قال سفيان ويقولون ان أخذ منك دينارا فلا تأخذ منه الا دينارا وان أخذ منك شيأ فلا تأخذ منه الا مثل ذلك الشئ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لا تعتدوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به ان اختار عقوبته وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته على ما كان منه اليه خير وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل والتأويلات التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه محتملتها الآية كلها فاذا كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أي ذلك عني بها من خبر ولا عقل (١) كان الواجب علينا الحكم بها الى ناطق لا دلالة عليه وأن يقال هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قبل غيرهم من حق من مال أو نفس الحق الذي جعله الله لهم الى غيره وأنها غير منسوخة اذ كان لا دلالة على نسخها وأن للقول بأنها محكمة وجها صحيحا مفهوما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله وما صبرك الا بالله يقول وما صبرك ان صبرت الا بمعونة الله وتوفيقه اياك لذلك ولا تحزن عليهم يقول ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة ولا تك في ضيق مما يمكرون يقول ولا يضيق صدرك بما يقولون من الجهل ونسبتهم ما جئتهم به الى أنه سحر أو شعر أو كهانة مما يمكرون مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله من أراد الايمان بك والتصديق بما أنزل الله اليك واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء العراق ولا تك في ضيق بفتح الضاد من الضيق على المعنى الذي وصفت من تأويله وقرأه بعض قراء أهل المدينة ولا تك في ضيق بكسر الضاد * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأه في ضيق بفتح الضاد لان الله تعالى انما نهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغه اياهم وحي الله وتنزيله فقال له فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وقال فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير واذ كان ذلك هو الذي نهاه تعالى ذكره ففتح الضاد هو الكلام المعروف من كلام العرب في ذلك المعنى تقول العرب في صدري من هذا الأمر ضيق وانما تكسر الضاد في الشئ الذي يتسع أحيانا ويضيق من قلة المعاش وضيق المسكن ونحو ذلك فان وقع الضيق بفتح الضاد في موضع

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها الا تأويلها الى خاص لا دلالة الخ تأمل كتبه مصححه

الضيق بالكسر كان على أحد وجهين اما على جمع الضيقة كما قال أعشى بنى ثعلبة

فلئن ربك من رحمته * كشف الضيقة عنا وفسح

والآخر على تخفيف الشئ الضيق كما يخفف الهين اللين فيقال هو هين لين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد مع الذين اتقوا الله فى محارمه فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها فأحجموا عن التقدم عليها والذين هم محسنون يقول وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن سفيان عن رجل عن الحسن ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال اتقوا الله فيما حرم عليهم وأحسنوا فيما افترض عليهم **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن الحسن مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن هرم بن حيان العبدى لما حضره الموت قيل له أوص قال ما أدرى ما أوصى ولكن بيعوا درعى فاقضوا عنى دينى فان لم تف فبيعوا فرسى فان لم يف فبيعوا غلامى وأوصيكم بخواتيم سورة النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال بل نصبر

آخر تفسير سورة النحل

* (تم الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الخامس عشر أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (سبحان الذى أسرى) *

واستوقد نار الشوق والمحبة فلما أضاءت ما حوله وبذل فى الاجتهاد جده وحوله هبت نكباء النكبات فصدئت مرآة قلبه وذهب الله بنوره وانخمدت نار الطلب وآل المشؤم الى طبعه الامن أكره على مباشرة فعل أو قول يخالف الطريقة من معاملات أهل الطبيعة فيوافقهم فيها فى الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يخلص من شؤم صحبتهم استحبوا اختاروا محبة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدى الى حضرته القوم الكافرين بنعمته وأولئك هم الغافلون عما أعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاغضاء عن العبودية يورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا انفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة أوامر الحق ونواهيه ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تأتى أرباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها دفعا للمضار وجذبا للمنافع حتى ان كل نبى يقول نفسى نفسى الا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول أمتى أمتى لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم فى الدنيا والمتأخر فى الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ واجهه بخطاب سلام عليك أيها النبى ففنى عن وجوده بالسلام وبقى بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة ببركاته الى الناس كافة ولكن رفع الذلة من تلك الضيافة وجب لمتابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعنى الذين صلحوا لبذل الوجود فى طلب المقصود قرية هى قرية شخص الانسان كانت آمنة أى آهلة وهو الروح الانسانى مطمئنة بذكر الله يأتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحانى وجسمانى فكفرت النفس الامارة فأذاقها الله لباس الجوع هو انقطاع مواد التوفيق فأكلوا من جيفة الدنيا وميتة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الربانى فما تخلقوا بأخلاقه وكلوا مما رزقكم الله من أنوار الشريعة وأسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة أهل الاباحة وعلى الذين هادوا أى تابوا حرمنا من موانع الوصول ما قصصنا عليك فى بدو نبوتك حتى كنت محترزا عن صحبة خديجة وتنحيت الى حراء أسبوعا أو اسبوعين وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل أنعمنا به عليهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين ممن له شركة مع الله فى الوجود اتبع ملة ابراهيم فى الظاهر حتى يتبعك هو فى الباطن ولهذا ذهب الى ربه ماشيا انى ذاهب الى ربى وأسرى بمحمد راكبا سبحان الذى أسرى بعبده فهو خليل وأنت حبيب اتبعت الخليل فى الدنيا فيتبعك الخليل فى الآخرة الناس محتاجون الى شفاعتى يوم القيامة حتى ابراهيم عليه السلام وان عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا أى بالغوا فى عقابها بالفطام عن مألوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع من مواد التوفيق والمواهب ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عقاب الحبيب على قدر عقاب العدو وأعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك واصبر على معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله لان الصبر من صفات الله ولا يقدر أحد أن يتصف بصفاته الا به بأن يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومآلهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه والله أعلم

﴿فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري﴾

﴿تم فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير ابن جرير﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع عشر من تفسير النيسابورى الذى بهامش الجزء الرابع عشر من تفسير ابن جرير ﴾

﴿ تم فهرست الجزء الرابع عشر من النيسابورى ﴾